الجمهورية الجزائرية الديمقرطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د.الطاهر مولاي –سعيدة–

كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة : تاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي

الموسومة بـــ:

الصراع المذهبي بين المالكية و الشيعة العُبيدية بإفريقية خلال الفترة (ق3و4هـ/9و10م)

-دراسة لجهود فقهاء المالكية في الدفاع عن عقيدة أهل السنة -

من إعداد الطالب:

➢ ولد العربي بلال

تحت إشراف الأستاذ:

د.دلباز محمد

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ:.....رئيساومناقشا

د.دلباز محمد .....مشرفاومقررا

الأستاذ:.....مناقشا

السنة الجامعية :

1435-1436هـ/2014-2015م

الجمهورية الجزائرية الديمقرطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د.الطاهر مولاي –سعيدة–

كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة : تاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي

الموسومة بـ:

الصراع المذهبي بين المالكية و الشيعة العُبيدية بإفريقية خلال الفترة (ق 3 و 4هـ/9 و 10م)

- دراسة لجهود فقهاء المالكية في الدفاع عن عقيدة أهل السنة -

من إعداد الطالب:

- ولد العربي بلال

تحت إشراف الأستاذ:

د.دلباز محمد

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ:.....رئيساومناقشا

د.دلباز محمد .....مشرفاومقررا

الأستاذ:.....مناقشا

السنة الجامعية :

1435–1436هـ/2014–2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

بالله يا قارئا كتبي وسامعها

أسبل عليها رداء الحلم والكرم

واستر بلطفك ما تلقاه من خطأ

أو أصلحنه تثب إن كنت ذا فهم

وكلنا يا أخي خطاء ذو زلل

والعذر يقبله ذووا الفضل والشيم

إهداء:

إلى اللذين قال الله سبحانه وتعالى في حقهما بعد بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ سورة الإسراء -الآية -(23-24)

أهدي هذا العمل إلى والدي العزيزين -أطال الله في عمرهما -اللذين ما فتآ يحرصون علي بكل جد في سلوك سبيل طلب العلم.

إلى إخوتي (ماحي-أمين-عمر)

إلى كل أصدقائي طلبة التاريخ المتخرجين دفعة 2015/2014 وبالأخص: زاوي بوبكر، مكاني تهامي، طيبي عبد العالي

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة

بلال

شكر وعرفان :

أشكر الله عز وجل بما وفقنا أن سلك بنا طريقا لطلب العلم وسخر لنا رجالا نقتبس منهم صنوف المعرفة .

كما أتقدم بالشكر والإمتنان والعرفان بالجميل إلى الأستاذ دلباز محمد الذي رعى هذا المنجز تقويما و تهذيبا ..... ، وأبدا أبقى شاكرا لفضله حافظا له .

وكم أود أن تسعفني الكلمات للتعبير عن امتناني للأعضاء لجنة المناقشة على صبرهم و رحابة صدورهم في قراءة هذا العمل و تثمينه وكم تشرفت بهم لمناقشة هذه المذكرة .

وأتقدم بالشكر و التقدير للأساتذة الكرام في قسم التاريخ وعلى رأسهم الأستاذ شباب عبد الكريم ، سحولي البشير، بوحسون عبد القادر، الذين ما فتئوا ينيروا لنا طريق العلم بتوجيهاتهم القيّمة .

كما لا يفوتني أن أخص بالشكر كل من ساعدني من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة على إتمام هذا العمل

وأقول للجميع جزاكم الله عني كل خير وجعل الجنة مثواي و مثواكم آمين يارب العالمين...

بـــلال

قائمة المختصرات

1/- القسم العربي:

الرمز	الشرح
ج	الجزء
ص	الصفحة
م	ميلادي
هـ	هجري
أكم	أكمله
تح	تحقيق
تص	تصحيح
تع	تعليق
تق	تقديم
ت	توفي
ط	طبعة
مر	مراجعة
مج	مجلد

2/- القسم الأجنبي :

p	page
pp	Page continue
puf	Presses universitaires de france

مقدمة

مقدمـة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ظلّ إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ظالّ تائه قد هدوه، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين...

وصلى الله على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته الغرِّ الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

مع نهاية القرن الثالث الهجري /العاشر ميلادي شهدت بلاد إفريقية حدثا تاريخيا بارزا، تمثل في نجاح الشيعة من الإسماعليين و لأوّل مرة في تاريخهم في تأسيس خلافة مترامية الأطراف، والمتمثلة في الخلافة العبيدية، استطاعت بسبب دهاء دعاتها و قوة جيوشها أن تسحق جميع الدويلات التي كانت قائمة ببلاد المغرب الإسلامي ، و توحيد هذه الأخيرة تحت هاته المظلة الشيعية العبيدية، واستطاعت أن تحكم بلاد المغرب الإسلامي عامة و إفريقية على وجه الخصوص ردحا من الزمن.

لكن وبعد تأسيس دولتهم جعلت سلطتها المركزية و مركز ثقلها السياسي ببلاد إفريقية، لعلمهم مدى قوة نفوذ المذهب المالكي السني وانتشاره بتلك البلاد وتمكنه من أهل إفريقية، ومدى الحقد والكراهية الذي يختلج نفوس هؤلاء الفقهاء و أتباعهم من المالكية على الشيعة، فحرص الخلفاء العبيديين على انتهاج سياسة خطيرة تمثلت في محاولة القضاء على المذهب المالكي بالتنكيل بالفقهاء و العلماء ومحاولة فرض مذهبهم الشيعي بالقوة مانتج عنه صراعا مذهبيا عنيفا بين السنة المالكية والشيعة الإسماعيلية، سخر فيه كل طرف مختلف الوسائل و الأساليب للظهور على الطرف الآخر و القضاء عليه.

وبما أن موضوع بحثنا يرتكز بالأكثر على بيان موقف الفقهاء المالكية من الصراع المذهبي، سنركز بصفة خاصة على الجهود التي بذلها هؤلاء الفقهاء، والمواقف التي وقف بها هؤلاء في التصدي للمد الشيعي العبيدي حتى رحيلهم من إفريقية سنة361هـ/ 972هـ، ليظل المجتمع الإفريقي خاصة وبلاد المغرب الإسلامي عامة سليما من كل فكر يصطدم و ثقافته و مرجعيته السنية المالكية.

علما أن هذا البحث جاء بتحريك جملة من الدوافع و الأسباب التي أقنعتني بتناول هذا الموضع الموسوم بـــ:" **الصراع المذهبي بين المالكية والشيعة العبيدية بإفريقية خلال الفترة (ق3و4هـ/9و10م)– دراسة لجهود فقهاء المالكية في الدفاع عن عقيدة أهل السنة –**" وهي أسباب ممزوجة بين الموضوعية و الذاتية يمكن تلخيصها كالآتي:

الدوافع الموضوعية:

1- أنه موضوع بكر لم يُسبق في **– حدود علمي –** دراسته من قبل دراسة مستقلة سواء ماجستير أو دكتوراه.

2- انطواء الموضوع على عدة جوانب مختلفة منها تاريخية ودينية وحتى سياسية تنم عن ثراء مثل هكذا مواضيع **– الصراع المذهبي بإفريقية–** وتكشف الكثير من الحقائق التاريخية التي يعيشها واقع المسلمين اليوم، فما أشبه الحاضر بالماضي وكما قيل التاريخ يعيد نفسه.

3- إبراز تاريخ الدولة العبيدية في شقه الديني الخفي، ويسلط الضوء أكثر على ما انبرت عليه السياسة المذهبية العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي عامة و افريقية خاصة، القائمة على سياسة الهدم و البناء و محاولة تغيير الخارطة الدينية للمجتمع الإفريقي.

4- أنه يعرِّف بجملة من مشاهير العلماء و الفقهاء المالكية، وتاريخهم المشرق بالحاضرة القيروانية في العصر الإسلامي التي تعود مرجعية هذا القطر –الجزائر–إلى تراثهم المالكي، ومعرفة مدى الجهد الذي بذلوه و المشعل الذي حملوه في ذودهم عن السنة، و المحافظة عليها في تلك الديار، والذي لا يزال كثير منهم مجهولا لدى كثير من المختصين فضلا عن غيرهم من عامة المثقفين.

هذا فيما يخص الدوافع الموضوعية أما **الدوافع الذاتية:**

1-اطلاعي على بعض المصادر و المراجع في مرحلة التدرج والتي وجدت فيها بعض المعلومات المتناثرة هنا وهناك ولمست من خلالها إمكانية معالجة هذا الموضوع.

2- الميل الشخصي لدراسة التاريخ الإسلامي وخاصة بلاد المغرب الإسلامي الذي ينتمي وطننا العزيز إليه، لربط حاضر هذه الأمة بماضيها، وجعله قبس نور يضيء لنا الطريق لإستعادة ذلك المجد و المكانة في شتى دروب الحياة.

3-إبراز مكانة **حاضرة القيروان** ودورها في استقطاب النخبة المثقفة وخاصة المالكية منهم، ومدى الجهد الذي بذلوه هؤلاء على مر العصور في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، وبالتالي تذكيرا لشبابنا **بعظمة سلفهم الصالح،** وما كابدوه من المحن و المشاق ليصلنا هذا الدين غضا طريا كما أنزل.

ولا ريب أن القارئ لعنوان المذكرة **الصراع المذهبي الشيعي – المالكي** بإفريقية، سوف تثار في ذهنه جملة من الإشكاليات، ولا شك أن الإجابة عنها هي التي ستحدد طبيعة الموضوع و الجوانب المراد دراستها في هذه المذكرة وهي كالآتي :

– ما طبيعة الصراع المذهبي الذي كان قائما بين المالكية و العبيديين بإفريقية، وما هي خلفياته و أسبابه الحقيقية؟

– من هم العلماء المالكية الذين وقفوا سدا منيعا في وجه العبيديين الشيعة، وأعلنوا معارضتهم لهم؟ وفيم تمثلت آليات الصراع التي اعتمدوها في مقاومة الشيعة الإسماعيلية بإفريقية؟ وماهي أبرز الآثار المنبثقة عن ذلكم الصراع الطويل على مختلف جوانب الحياة بإفريقية؟

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها، ولكشف اللثام عن خبايا هذا الموضوع، اعتمدنا على خطة رأيناها تتناسب ووتتناسق وموضوع البحث، وهي مكونة من مقدمة كخلفية حول الموضوع وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة مع ملاحق تخدم الموضوع وفهارس للأعلام و الأمم و المذاهب وثبت للمصادر و المراجع.

الفصل التمهدي بمثابة التمهيد للدخول في صلب الموضوع، وهو عبارة عن لمحة تاريخية وتغطية عامة حول الأوضاع السياسية و الدينية التي سادت إفريقية حتى زمن قيام الخلافة العبيدية297هـ/910م، **كخلفية مهمة**

لا يستغني عنها القارئ لتكتمل لديه الصورة التاريخية في معرفة السر وراء تكاثف جهود فقهاء المالكية في نصرة المذهب المالكي السني و الدفاع عن عقيدة السلف الصالح.

أما الفصل الأول تناولنا فيه التاريخ السياسي و الخلفية العقدية للخلفاء العبيديين ببلاد المغرب الإسلامي عامة وإفريقية خاصة، باعتبارها الطرف الأول و الأخير في خلق هذا النوع من الصراع المذهبي بإفريقية.

ثم الفصل الثاني حاولنا فيه إبراز الملابسات و الأسباب الحقيقية لحدوث مثل هذا الصراع المذهبي بين المالكية و الشيعة العبيدية بإفريقية، وسلطنا الضوء أكثر على تلكم الجرائم التي سلطها خلفاء الدولة العبيدية على فقهاء المذهب المالكي، حتى تعرضوا لمحنة شديدة لم يشهدوا لها مثيلا طيلة وجودهم بإفريقية.

أما الفصل الثالث و الأخير فركزنا بالدراسة أكثر على رد فعل الفقهاء المالكية من الإضطهاد و التنكيل الذي مورس في حقهم، وحددنا موقف هؤلاء من فتنة التشيع العبيدي، وأهم الوسائل و الأساليب التي تمثلها هؤلاء الفقهاء في مقاومة العبيديين بإفريقية لنختمه بأهم و أبرز الآثار التي انبثقت عن هذا الصراع المذهبي على مختلف أوجه الحياة بإفريقية.

وأخيرا خاتمة دوّنا فيها مجموعة من الإستنتاجات التي خرجنا بها من هذه الدراسة، وبمثابة إجابة على الإشكاليات و التساؤلات المختلفة التي طرحت في المقدمة.

وبغية تحقيق دراسة متوازنة و جامعة لتفاصيل البحث حول هذا الموضوع، اعتمدنا على **مناهج بحث متعددة**، في مقدمتها **المنهج التاريخي** القائم على تصفح المادة العلمية حول الموضوع، وسردها في سياق تاريخي ترابطي تسلسلي للحوادث والحقائق التاريخية، **ثم المنهج الوصفي** لوصف طبيعة الصراع المذهبي العقدي و الفقهي بين المالكية و الشيعة العبيدية، وأبرز الأحداث التي شهدتها البلاد الإفريقية في خضم ذلك الصراع، إضافة إلى **المنهج التحليلي** النقدي الذي يعتمد على جمع المادة ومقارنتها بعضها ببعض و تفسيرها ومناقشتها ونقدها، وذلك كله قصد التحلي بالموضوعية و الدقة و الوضوح.

كما تجدر الإشارة هنا، إلى أننا واجهتنا ونحن في مباشرتنا لدراسة موضوع المذكرة العديد من الصعوبات والعقبات لعل من أبرزها : قلة المادة العلمية، وقلة الدراسات الأكاديمية المتخصصة سواء ماجستير أو دكتوراه حول الصراع المذهبي ببلاد المغرب الإسلامي عامة و **الصراع المذهبي الشيعي– المالكي** على وجه الخصوص بإفريقية، ما صعب من مهمة الجمع والإنتقاء والفرز للحقائق التاريخية، وأيضا اعتماد أغلب المصادر و المراجع على دراسة الموضوع من شقه الديني الصرف دون ربط الأحداث بالناحية التاريخية وانعكاس ذلك على أوجه الحياة بإفريقية...، لكن ورغم ذلك لم يثني من عزيمتنا في اختراق هذا الموضوع ومواصلة البحث.

ونظرا لطبيعة الموضوع فإنا عملنا قدر الإمكان على أن تكون المصادر و المراجع متنوعة والتي لها صلة بموضوع المذكرة ويمكن ترتيبها كالآتي:

كتب الطبقات و التراجم:

وتأتي هذه المصادر في المقدمة، نظرا لأهميتها في كونها متخصصة في تراجم الفقهاء و العلماء بإفريقية والإحاطة بجهودهم في نصرة المذهب المالكي والدفاع عنه من أفكار الفرق والمذاهب المخالفة لمذهب السلف، وأولها «**كتاب طبقات علماء إفريقية**» لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت333هـ/944م)، وتكمن أهميته في أنه أول مصدر وصل إلينا في طبقات علماء إفريقية، وقد أفاد البحث على وجه الخصوص في الإحاطة بتراجم هؤلاء الفقهاء وذكر الأوائل الذين ساهموا في نشر المذهب المالكي بإفريقية، وثاني مصدر استفدنا منه في هذا الشأن «**كتاب قضاة قرطبة و علماء إفريقية**» لأبي عبد الله محمد بن الحارث بن أسد الخشني (ت361هـ/971م) بتصحيح و مراجعة عزت العطار الحسيني، وهذا الكتاب يضم في أصله جزئين: الأول عن قضاة قرطبة أيام الخلافة الأموية، والثاني عن علماء إفريقية وفقهائها، وقد استفدنا من هذا الجزء الأخير كون صاحب الكتاب يمتاز بباع كبير في العلم وقد تفقه في القيروان واعتنى بتراث المذهب المالكي تدريسا و تأليفا، وقد أعطى تراجم مفصلة لأغلبية فقهاء المالكية في القيروان وما تعرضوه من المحن إبان عهد الخلافة العبيدية، وأيضا «**كتاب رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من**

أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم» لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي الذي عاش في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بتحقيق و مراجعة المؤلفين (بشير بكوش و محمد العروسي مطوي) وهو من جزأين استفدنا على الخصوص من الجزء الأول منه بنشر من دار الغرب الإسلامي سنة 1994م، وكونه قد جمع كتابه من المصادر التي سبقته أمثال طبقات علماء إفريقية لأبي العرب وغيره، حيث يمتاز برصد وجهات النظر السنية حول الصراع المذهبي الشيعي – المالكي بإفريقية، ويصور أبرز الأحداث التي شهدتها هاته الأخيرة في ظل الصراع المذهبي و موقف الفقهاء المالكية منه، كما لا يفوتنا مصدر مهم في هذا الشأن وهو «**كتاب ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**» للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (476-544هـ /1083-1149م)، جاء هذا الكتاب في أجزاء عديدة استفدنا منها كونه تراجم لغالبية الفقهاء المذهب المالكي الأوائل و المتأخرين على حد السواء، وجاء بأسلوب منهجي تسلسلي مما سهل علينا رصد هؤلاء الفقهاء والمحن التي تعرضوا لها وأساليب مقاومتهم للتشيع العبيدي بإفريقية...، كما استفدنا من غيرها من المصادر التي تعنى بالتراجم و الطبقات والسير.

كتب التاريخ العام:

وهذه الكتب و المصادر أفادتنا كثيرا في معرفة التاريخ السياسي ببلاد المغرب الإسلامي عامة و إفريقية خاصة في ظل الحكم العبيدي، كما تظمنت بين طياتها نتفا من الجوانب التي يمكن استخلاصها عن الصراع المذهبي و خلفياته بإفريقية، ولعل أهمها : «**كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**» لأبي العباس أحمد بن عذارى المراكشي (ت بعد712هـ/1312م) والذي نشره ج.س كولان و ليفي بروفنسال، وقد أفادنا خاصة في الجزء الأول منه كونه رصد لنا تاريخ الدولة العبيدية ببلاد المغرب عامة وإفريقية خاصة، وذكر الانحرافات العقدية والفقهية العبيدية و ما ارتكبته من جرائم على الفقهاء المالكية قد لا نجدها في غيره من المصادر التاريخية، و أيضا «**كتاب تاريخ ابن خلدون المسمى العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**» لعبد الرحمان بن خلدون (732-808هـ/1332-1406م) وهو من أهم مصادر تاريخ المغرب الإسلامي، فيه سبعة أجزاء وقد استفدنا من الجزء الرابع منه، حيث يتطرق بالتفصيل

عن أخبار الشيعة بالمشرق إلى حين تأسيس دولتهم ببلاد المغرب الإسلامي، ويذكر بقية أخبارهم إلى رحيلهم إلى مصر ويرصد أهم الأحداث التي جرت في عهدهم من ثورات وفتن ومحن. وأيضا «**كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**» لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت732هـ/1331م)، الذي أفادنا كثيرا في بيان عمليات التقتيل التي طالت الشيعة العبيدية في أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي وما تمخض عنه من أثر سياسي في توسيع هوة الخلاف بين الخلفاء العبيديين بالقاهرة و الزيريين بالقيروان، وانتصار المذهب المالكي وزوال الصراع المذهبي بإفريقية.

كتب الجغرافيا و الرحلات :

وهذه المصادر أيضا لا تقل أهمية من سابقيها، كونها أفادتنا في التعريف بأشهر المدن و الأماكن بإفريقية، وخاصة المناطق التي يكثر بها التواجد المالكي كالقيروان و سبيطلة وسوسة وغيرها، ويأتي في مقدمتها «**كتاب معجم البلدان**» لياقوت بن عبد الله الحموي، يظم خمسة أجزاء وتكمن أهميته في التعريف بأشهر المدن و البلدان و الأمكنة مشرقا ومغربا ، واستفدنا منها جميعا في التعريف بالمدن المتواجدة بإفريقية، كما لا يخلوا من ذكره لبعض الحوادث التاريخية إقتبسناها من خلال حديثه عن بعض المدن و القرى المشهورة بإفريقية، وأيضا «**كتاب رحلة التيجاني**» لعبد الله بن محمد التجاني (ت718هـ/1318م)، الذي استفدنا منه في تراجم بعض المدن بإفريقية، إضافة إلى كونه اعتنى بتراجم لبعض العلماء المالكية الذين برزوا في مختلف المدن بإفريقية، كما استفدنا أيضا من «**كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**» لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت727هـ/1326م) وكونه جاء كتابه متأخرا من الناحية الزمنية ما أضفى عليه بعض الإضافات لم نجدها في غيره من المصادر في التعريف ببعض المدن الغير المشهورة بإفريقية .

كتب الملل و النحل :

أمدتنا هذه المصادر بمعلومات هامة في التعريف بالفرق الإسلامية و المذاهب المختلفة التي انتشرت بإفريقية كالخوارج والإسماعيلية وغيرها، ومن أهمها: «**كتاب الملل و النحل**» لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم

الشهرستاني (ت548هـ/1153م) و «**كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل**» لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم (ت456هـ/1063م).

كتب الدراسات الحديثة:

ومن أهمها «**كتاب الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**» لعبد العزيز المجدوب وبتقديم الدكتور علي الشابي، نشرت هذا الكتاب الدار التونسية بتونس و الشركة الوطنية بالجزائر، ويعتبر هذا الكتاب من الدراسات المتقدمة في هذا الجانب في العصر الحديث، وقد أسهم مساهمة مباشرة في إفادتنا بصورة واضحة عن الصراع المذهبي عامة والصراع الشيعي – المالكي خاصة بإفريقية، إلا أنه تختلجه بعض النقائص كونه اقتصر في دراسته لهذا الموضوع كثيرا على الجانب الديني الصرف، فجاء كتابه ديني أكثر منه تاريخي تحليلي، وأيضا استفدنا كثيرا من «**كتاب جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**» لتهامي إبراهيم، وهذا الكتاب في أصله رسالة دكتوراه دولة في العقيدة، وقد أمدنا بمعلومات قيمة حول جهود تلك الثلة المباركة من فقهاء المذهب المالكي و أساليبهم في مقاومة التشيع العبيدي بإفريقية...، وغيرها من المراجع القيمة التي خدمت موضوع البحث.

وختاما أجدد شكري و امتناني لأستاذي المشرف **دلباز محمد** الذي أسهم في هندسة هذا العمل الفكري، وأشكر جميع أساتذتي في قسم التاريخ وجزاكم الله عنا كل خير في العاجل و الآجل، والله أسأل التوفيق و القبول، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه، إنه ولي ذلك و القادر عليه...آمين.

وكتبه ولد العربي بلال في 10ماي 2015م

الموافق 21 من شهر رجب 1436هـ

سعيدة – الجزائر.

فصل تمهيدي:

التطورات السياسية والدينية بإفريقية حتى قيام الخلافة العبيدية سنة 297هـ/910م.

أولا: التطورات السياسية بإفريقية

1)- الفتح الإسلامي وعصر الولاة

2)- الدولة الأغلبية

ثانيا: التطورات الدينية بإفريقية

1)- إنتشار الإسلام

2)- دخول وانتشار المذهب المالكي

أوّلا: التطورات السياسية بإفريقية :

1) الفتح الإسلامي و عصر الولاة:

1- أ) الفتح الإسلامي لإفريقية(*) (21-95هـ /642 - 714م):

ما إن تم المسلمون الفاتحون الفتح النهائي لمصر سنة 21هـ/642م، حتى سارع عمرو بن العاص[1] في مواصلة الفتح وتأمين الحدود الغربية لمصر، ففتح برقة[2] سنة22هـ/643م، وطرابلس[3] سنة23هـ/644م(*)، ثم أرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- يستشيره في فتح إفريقية ، فامتنع بقوله : « ماهي بإفريقية و لكنها المفرِّقة غادرة مغدورٍ بها »[4].

بقي الأمر كذلك إلى خلافة عثمان بن عفان-رضي الله عنه- سنة24هـ/645م،فعين على مصر القائد

(*) إختلف الجغرافيون في تحديد هذه البلاد على أقوال:

- قيل أنها اسم لبلاد واسعة قبالة صقلية، وحدُها من طرابلس إلى بجاية. **ينظر: ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، بيروت – لبنان : دار صادر ،1397هـ-1977م ، ص288.**

- وقيل حدُها من الإسكندرية إلى مدينة تاهرت. **ينظر : ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تح و مر : (ج. س كولان ، ليفي بروفنسال) ، ج1 ، ط2 ؛ بيروت – لبنان : دار الثقافة للنشر و التوزيع ، 1403هـ- 1983م ، ص5.**

- وقيل أنها عمل كبير غرب مصر، أي مدينة القيروان قبل أن تمصر. **ينظر : محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، ط2 ؛ بيروت – لبنان : مكتبة لبنان للنشر و التوزيع ، 1404هـ- 1984م ، ص47.**

ويرجع هذا الإختلاف إلى الظروف السياسية التي أحاطت بلاد المغرب في تلك الفترة الأولى من الفتح ، ولم تتضح حدودها الجغرافية إلا ببناء مدينة القيروان سنة50-55هـ /670-675م ، وأصبح يُطلق على إفريقية في عهد الأغالبة المغرب الأدنى و عاصمتها القيروان.

(*) **عن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي، ينظر : الملحق رقم 1.**

[1] - هو عمرو بن العاص بن وائل الإمام أبو عبد الله، داهية قريش ومن يُضرب به المثل في الفطنة و الدهاء و الحزم، هاجر إلى رسول الله - عليه الصلاة و السلام - في أوائل سنة ثمان، له أحاديث ليست بالكثيرة، وهو من فتح مصر، تُوفي بها و له من العمر بضع و ثمانون سنة. **ينظر : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تح : (محمد نعيم العرقوسي ، مأمون صاغرجي) ، ج3 ، ط2 ؛ بيروت – لبنان : مؤسسة الرسالة للنشر و التوزيع ، 1402هـ-1982م ، ص54، 55،77.**

[2] - **برقة:** اسم صقع كبير يشتمل على مدن و قرى بين الإسكندرية و إفريقية. **ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص388.**

[3] - **طرابلس:** أو أطرابلس، مدينة في أرض برقة وأول أرض إفريقية. **نفسه ، ص217.**

(*) لمعرفة تفاصيل أكثر عن أحداث الفتح الإسلامي لبرقة و طرابلس، **ينظر : أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان ، تح و تق : عبد الله أنيس الطباع ، بيروت- لبنان : مؤسسة المعارف للنشر ، 1407هـ -1987م ، ص314-316 . ابن عبد الحكم ، فتوح مصر و المغرب ، ج1 ، تح : عبد المنعم عامر ، القاهرة – مصر : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ص229-231.**

[4] - **أبي العباس البلاذري ، المصدر السابق ، ص316.**

عبد الله بن سعد بن أبي السرح[1] ، فأعدَّ سنة27هـ/648م غزوة عظيمة شارك فيها العديد من الصحابة و التابعين، وتمكن من دخول إفريقية، وهزم جيش الروم و قتل قائدهم "جرجير"[2]، وذلك في موضع يقال له سبيطلة[3] وسميت الغزوة بغزوة العبادلة[4].

بعدها توقفت عملية الفتح فجأة، بسبب تلك الفتن و القلاقل التي عصفت بمركز الخلافة بالمشرق[5]، ولما إستتب الأمن وآلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان–رضي الله عنه– سنة41هـ/661م، عين على إفريقية القائد معاوية بن حديج[6]، فقاد هذا الأخير غزوة سنة45هـ/665م، ووصل إلى إفريقية و فتح بنزرت[7] و سوسة[8] و جربة[9] و استقر بموضع يدعى جبل القرن[10] قريبا من القيروان(*)[11].

---

[1] – هو عبد الله بن سعد بن أبي السرح بن الحارث، أبو يحيى القرشي العامري، و هو أخ عثمان من الرضاعة، له صحبة و رواية حديث، أسلم يوم الفتح، وشهد مع مع عمرو بن العاص فتح مصر، وغزا إفريقية في خلافة عثمان–رضي الله عنه– ، توفي مابين سنة 55و59هـ/ 675و679 م. **ينظر : شمس الدين الذهبي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 33–35.**

[2] – جرجير أو جريجوريوس، و هو البطريق الذي إستخلفه الإمبراطور البيزنطي هرقل على قرطاجة مركز حكم إفريقية، لكن جرجير خلع الحاكم هرقل و ضرب الدنانير بإسمه، وامتد نفوذه من برقة شرقا إلى طنجة غربا. **ينظر : ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ج1 ، ص9.**

[3] – **سبيطلة:** مدينة من مدن إفريقية، بينها و بين القيروان 70 ميلا. **ينظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص187.**

[4] – **ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ، ج1 ، ص11.**

[5] – هي حادثة مقتل الخليفة عثمان بن عفان–رضي الله عنه– سنة35هـ/ 655م، ثم الفتنة التي حدثت بين علي و معاوية–رضي الله عنهما– التي سميت بمعركة صفين سنة37هـ/657م. وللمزيد عن هذه الأحداث **ينظر : عثمان بن محمد الخميس ، حقبة من التاريخ ، ط3 ؛ القاهرة– مصر : مكتبة الإمام البخاري ، 1427هـ–2006م ، ص ص158–192.**

[6] – هو الصحابي الجليل، معاوية بن حديج بن جفنة السكوني، شهد فتح مصر، وغزا إفريقية 3 مرات، توفي سنة 52هـ/672م. **ينظر : عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الجزري ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ط1 ؛ بيروت– لبنان : دار ابن حزم للنشر و التوزيع ، 1433هـ–2012م ، ص1144– 1145.**

[7] – **بنزرت:** مدينة بإفريقية ، بينها و بين تونس يومان. **ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص499.**

[8] – **سوسة:** مدينة من بلاد إفريقية، بينها و بين القيروان يومان، و إليها تنسب الثياب السوسية الرفيعة. **نفسه ، ج 3 ، ص281–282.**

[9] – **جربة:** هي جزيرة من بحر إفريقية، أقرب بلاد إليها قابس. **نفسه ، ص158.**

[10] – **جبل القرن:** وهو جبل بإفريقية، معناه في اللغة الجبل الصغير، له ذكر في الفتوح. **نفسه ، ج4 ، ص332–333.**

(*)**القيروان:** إسم معرب وهو بالفارسية كاروان، وهي مدينة عظيمة بإفريقية بناها عقبة بن نافع، بمثابة معسكر و محط للجند الفاتحين، و قد أشاد بها الرحالة المسلمون، ومن يسكنها يقال له قيرواني و قيروي، وكانت من أهم الحواضر العلمية في بلاد المغرب الإسلامي. **نفسه ، ص 420–421.** ولمعرفة أهمية القيروان في الحضارة الإسلامية **ينظر : محمد محمد زيتون ، القيروان ودورها في الحضارة العربية الإسلامية ، ط1 ؛ القاهرة – مصر : دار المنار للنشر و التوزيع ، 1408هـ–1988م.**

[11] – **أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية ، تح و مر : (بشير بكوش ، محمد العروسي مطوي) ، ج1 ، ط2 ؛ بيروت– لبنان : دار الغرب الإسلامي للنشر و التوزيع ، 1414هـ–1994م ، ص 28–29.**

وفي سنة 50هـ/670م، بدأت إفريقية الإسلامية عهد جديد مع القائد عقبة بن نافع[1]، حيث أسس مدينة القيروان وبنى جامعها لتكون معسكرا قريبا من المسلمين الفاتحين في بلاد المغرب الإسلامي[2].

بعدها ولي إفريقية القائد أبو المهاجر دينار[3] سنة55هـ/675م، قضاها في حملته على المغرب الأوسط حيث افتتح ميلة[4] ، وظفر بكسيلة[5] فأسلم هذا الأخير، فأحسن إليه أبو المهاجر واستبقاه[6].

في خلافة يزيد بن معاوية، أعاد القائد عقبة بن نافع إلى ولاية إفريقية سنة62هـ/682م، فتمكن من فتح جميع بلاد المغرب الأوسط و الأقصى، وعند عودته دخل في معركة غير متكافئة مع الروم بالقرب من منطقة تهودة[7]، فقتل القائد عقبة ومن معهما من المسلمين[8].

بعدها أعقبه على إفريقية القائد زهير بن قيس البلوي[9] سنة69هـ/688م، الذي تمكن من قتل زعيم البربر كسيلة، وعند عودته دخل في معركة مع الروم في طرابلس، و قُتل القائد زهير و من معه جميعا[10].

بعد مقتل القائد زهير البلوي، عقبه بإفريقية القائد المشهور حسان بن النعمان الغساني[11]سنة 73هـ/692م

---

[1] – هو عقبة بن نافع بن عبد قيس القرشي الفهري، ولد على عهد رسول الله – عليه الصلاة و السلام – ولا تصح له صحبة ، ولاه معاوية على إفريقية فبنى القيروان ، وله فتوحات عظيمة ببلاد المغرب الإسلامي، توفي سنة63هـ/683 بالقرب من تهودة. **ينظر : عز الدين بن الأثير ، المصدر السابق ، ص858.**

[2] – **أبي العباس أحمد بن خالد الناصري ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح وتع : (جعفر الناصري ، محمد الناصري) ، ج1 ، الدار البيضاء– المغرب : دار الكتاب للنشر و التوزيع ، 1419هـ–1997م ، ص 134–135.**

[3] – هو أبو المهاجر دينار، والي إفريقية سنة55هـ/675م، وقد وصل في غزواته بالغرب حتى ضواحي تلمسان، و قُتل سنة63هـ/683م. **ينظر : ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 21 ، 28.**

[4] – **ميلة:** مدينة على أربعة مراحل من قلعة حماد، هي مدينة حسنة كثيرة الأشجار ومياهها عذبة، وبينها وبين قسنطينة ثمانية عشر ميلا. **ينظر : محمد عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص568–569..**

[5] – هو كسيلة بن لمزم البرنسي الأوربي ، من أهل المغرب الأقصى، من عظماء البربر، كان نصرانيا ثم أسلم، وقتله القائد زهير بن قيس البلوي سنة 63هـ /683 م. **ينظر : أبي العباس الناصري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 136–147.**

[6] – **نفسه ، ص136.**

[7] – **تهودة:** منطقة من بلاد الزاب ، بالقرب من بسكرة حاليا. **محمد عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص142.**

[8] – **عبد الله المالكي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 41–42.**

[9] – هو أبو شداد زهير بن قيس البلوي، معدود في الصحابة، غزا إفريقية، و قُتل في جهاده ضد الروم بإفريقية سنة69هـ/688م. **نفسه ، ص93–94.**

[10] – **ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 32–33.**

[11] – هو حسان بن النعمان بن منذر الغساني، من ملوك العرب، وجهه معاوية لولاية المغرب سنة77هـ/ 694م، فصالح البربر، ورتب الخراج، وانعمرت البلاد، وله غزوات مشهودة بعد قتل الكاهنة، كان بطلا شجاعا، كان يلقب بالشيخ الأمين، توفي سنة85هـ/704م. **ينظر : شمس الدين الذهبي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص140.**

في جيش عظيم ففتح قرطاجنة[1]، وتمكن سنة78هـ/697م، من القضاء على ملكة جبال الأوراس الكاهنة[2]، و انكسرت شوكة الروم و البربر نهائيا[3].

وظلَّ الأمر كذلك إلى أن قدم إفريقية القائد المحنك موسى بن نصير اللخمي[4] سنة86هـ/705م، الذي تمَّ على يديه و لأول مرة غزو صقلية[5](*) بعد أن تم له فتح كافة أقطار بلاد المغرب الإسلامي، و تثبيت الإسلام نهائيا بها[6] ،و تسابق البربر إلى اعتناق الإسلام، فكلف من يعلمهم اللغة العربية و تعاليم الدين الحنيف.

ب- 1) **عصر الولاة بإفريقية:(96- 184هـ/715-800 م):**

يُطلق عصر الولاة بإفريقية في التاريخ الإسلامي، على تلك الحقبة الزمنية الواقعة ما بين إتمام عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي سنة96هـ/715م، حتى قيام الدولة الأغلبية سنة184هـ/800م، وفي هذه الفترة كان ولاة إفريقية يُعينون من قبل الخليفة ببلاد المشرق، و تذكر المصادر التاريخية أن أول الولاة بها هو محمد بن يزيد القرشي(96-99هـ/715-718م)، و آخرهم إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي سنة 184هـ /800 م[7](*).

---

[1] – **قرطاجنة:** اسم لمدينة قديمة بنواحي إفريقية، كانت دار ملك إفريقية. **ينظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص323.**

[2] – لم أجد لها ترجمة ، و كل ما ذكر عنها أنها كانت تتزعم قبائل البربر و ملكة عليهم إلى أن قتلها القائد حسان.

[3] – **عبد الرحمان بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، مر : سهيل زكار ، ج4 ، بيروت- لبنان : دار الفكر للنشر و التوزيع ، 1421هـ-2000م ، ص 238-239.**

[4] – هو أبو عبد الرحمان موسى بن نصير اللخمي، متولي إقليم المغرب فاتح الأندلس، كان مهيبا ذا رأي و حزم ، وهو معدود في التابعين، رجع إلى المشرق بعد فتح الأندلس، فلم يُسمع له خبر، و قيل أنه حج مع سليمان بن عبد الملك و مات بالمدينة النبوية. **ينظر : شمس الدين الذهبي ، المصدر السابق ،ج4 ، ص 496-500.**

[5] – **صقلية:** جزيرة من جزائر المغرب، مقابلة إفريقية. **ينظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص416. محمد عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص366.**

(*) عن فتح المسلمين لصقلية، ينظر : الملحق رقم2.

[6] – **عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الجزري ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مر : محمد يوسف الدقاق ، ج4 ، ط1 ؛ بيروت- لبنان : دار الكتب العلمية ، 1407هـ-1987م ، ص 252.**

[7] – **عبد العزيز شهبي ، تاريخ المغرب الإسلامي ، ط1 ؛ الأبيار- الجزائر : مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع ، 1434هـ-2012م ، ص ص 26-28.**

(*) عن أسماء الولاة بإفريقية، ينظر : الملحق رقم3.

تميز عصر الولاة بإفريقية بفترتين: عهد القوة و عهد الضعف، وذلك نتيجة تباين سياسة الولاة بأهل إفريقية بين محسن بهم و مسيئ لهم، ما نتج عنها قيام العديد من الثورات، لعل أشهرها ثورة ميسرة المطغري الخارجي الصفري[1] سنة122هـ/740م[2]، وأصبح همُّ الخليفة بالمشرق القضاء عليها، إلى أن تمَّ ذلك في عهد يزيد بن حاتم(155-171هـ/772-787م)، فركدت ريح الخوارج[3] وتداعت بدعتم إلى الإضمحلال، و انتعشت الحياة العلمية في عهده[4]، ثم ما لبث الوضع أن عادت الاضطرابات السياسية و لم تهدأ الأحوال إلاَّ بعد قيام الدولة الأغلبية.

2) الدولة الأغلبية (184- 296هـ/800- 909م):

ورث العباسيون سنة 132هـ/750م، خلافة مترامية الأطراف، من بينها بلاد المغرب، و نتيجة الاضطرابات السياسية التي كانت تشهدها إفريقية، قرر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، تعيين أمير عليها لاستبقائها في حوزة الخلافة و بمثابة حاجز يقيها خطر ثورات الخوارج، فعين لهذا الأمر الأغلب بن سالم بن عقال التميمي[5]، و بعد مقتل هذا الأخير من طرف الخوارج تولىَّ الأمر من بعده ابنه و هو إبراهيم بن الأغلب[6]،

---

[1] – هو ميسرة المدغري رأس الخوارج الصفرية، كان أمير على البربر و قد تسمى بالخلافة و بويع عليها، ثار على عامل طنجة عمر بن عبد الله المرادي وقتله، ثم بدت منه سوء السيرة فقتله البربر سنة122هـ/740م. **ينظر : ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 52-53.**

[2] – **ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المصدر السابق ، ج4 ، ص416-419.**

[3] – **الخوارج:** هم الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أثناء معركة صفين سنة37هـ/657 م، حيث لم يرض الخوارج بالتحكيم بين فريقي معاوية و علي –رضي الله عنهما- ،ثم تبلور فكر هذه الطائفة و أصبح لهم مبادئ خاصة بهم :كالتكفير بالكبيرة و الخروج على الإمام إذا خالف السنة ...،وقد افترقت الخوارج عل عدة فرق أهمها: الأزارقة، النجدات، المحكمة....وغيرها، وللمزيد عن الخوارج **ينظر : أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل و النحل ، تح : أحمد فهيمي محمد ، ج1 ، ط2 ؛ بيروت – لبنان : دار الكتب العلمية ، 1413هـ-1992م ، ص 106 و ما بعدها** . و لمعرفة مفصلة عن الخوارج ببلاد المغرب الإسلامي، **ينظر : محمود إسماعيل عبد الرازق ، الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الرابع هجري ، الدار البيضاء- المغرب : دار الثقافة للنشر و التوزيع ، 1406هـ-1985م.**

[4] – **سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال ، ج1 ، الإسكندرية – مصر : منشأة المعارف للنشر و التوزيع ص ص366-371.**

[5] – هو جد الأغالبة ملوك إفريقية من بعده، كان من ذوي الشجاعة و الرأي و ذوي المشورة، و من أصحاب أبي مسلم الخرساني، ولي افريقية سنة 184هـ/800م، ثم قتلته الخوارج سنة 150هـ/767م، و كانت ولايته سنة واحدة و ثمانية أشهر. **ينظر : أبي العباس الناصري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 185.**

[6] – هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي، كان فقيها دينا عالما شاعرا، ذا رأي و بأس و حزم و علم بالحرب و مكائدها، حسن السيرة، ولاه هارون الرشيد على إفريقية أميرا عليها عام 184هـ/800م، و توفي بالقيروان سنة 196هـ/ 812م. **ينظر : الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية و المغرب ، تق وتح وتع : محمد زينهم محمد عزب ، ط1 ؛ القاهرة – مصر : دار الفرجاني للنشر ، 1414هـ-1994م ، ص27.**

الذي منحته الخلافة العباسية ولاية مستقلة على المغرب الأدنى مع إبقاء الإرتباط بها إسميا[1] (*).

هكذا نشأت الدولة الأغلبية و تطورت، و أصبحت لها هيبة سياسية و نفوذ عسكري، تجسد فعليا في مباشرتها إحياء شعيرة الجهاد، حيث في سنة 210هـ /827م، أرسل الأمير الأغلبي زيادة الله الأول[2] جيشا لفتح صقلية[3].

كما اعتنوا بالناحية العمرانية فأسسوا مدن :كالعباسية سنة 185هـ/801م، ورقادة سنة 263هـ/877م، وبنوا المحارس و الحصون و القصور و الرباطات و مواجل المياه، كما وُصف عامة أمراء الأغالبة(*) بحسن السيرة و الإحسان إلى الرعية إلا إذا استثنينا البعض منهم[4]، ثم قامت العديد من الثورات في آخر أيام الأغالبة، استنزفت قواهم و ضعفت حامياتهم، ما أدى إلى سقوط الدولة على يد العبيديين الشيعة وذلك سنة 296هـ /909م[5].

ثانيا: التطورات الدينية بإفريقية:

1) إنتشار الإسلام:

يعدّ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بمثابة ميلاد حياة دينية جديدة على سكان أهل المغرب عامة و إفريقية خاصة، ومن خلال استقراء ذلك التاريخ السياسي لمرحلة الفتح الإسلامي و ما تكبده المسلمون الفاتحون من مجهودات عظيمة، و دخولهم معارك و غزوات حاسمة، يستشعر الباحث المنصف ذلك المسعى و الهدف النبيل

---

[1] – ابن وردان ، تاريخ مملكة الأغالبة ، تق و تح و تع : محمد زينهم محمد عرب ، ط1 ؛ القاهرة – مصر : مكتبة المدبولي للنشر و التوزيع ، 1408هـ–1988م ، ص 53– 54.

(*) حول حدود الدولة الأغلبية، ينظر : الملحق رقم4.

[2] – هو زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، رابع الأغالبة، ولي بعد وفاة أخيه سنة 201هـ/816م، كان فصيحا أديبا، و هو من غزا صقلية سنة 212هـ/ 827م، توفي في القيروان. ينظر : خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج3 ، ط15 ؛ بيروت – لبنان : دار العلم للملايين للنشر و التوزيع ، 1423هـ–2002م ، ص56.

[3] – الحسين بن محمد شواط ، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري ، ج1 ، ط1 ؛ الرياض– السعودية : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، 1411هـ–1990م ، ص ص 56–57.

(*) عن أسماء أمراء الأغالبة بإفريقية، ينظر : الملحق رقم5 .

[4] – الحسين بن محمد شواط ، المرجع السابق، ج1 ، ص64–65.

[5] – عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 45.

الذي كان يُراود نفوسهم، وهو حرصهم على نشر رسالة الإسلام و تعاليم الدين الحنيف و إبلاغ الدعوة الإسلامية إلى أمم الأرض.

والجدير بالذكر هنا، أن قادة الفتح أنفسهم هم الذين كانوا يتولون توعية الناس و تعليمهم أمر دينهم و نشر الإسلام فيهم، بالموازاة مع ما كان يشغلهم عن القيام بأمر التعليم مهمات أخرى مثل: إعداد الجيوش، و تنظيم البلاد و الغزو و غيرها[1].

و لعلَّ أول عمل نراه بهذا الصدد، ما قام به القائد "عقبة بن نافع" بعد فتح إفريقية، وهو بناء جامعها و صرحها العظيم "القيروان" و ذلك سنة 55هـ/675م، حيث جعل من هذا الصرح مركزا أساسيا تنطلق منه الجيوش الإسلامية لإستكمال الفتح، و جعل من مسجدها منارة علمية لنشر تعاليم الإسلام الحنيف في إفريقية[2]، حيث تذكر المصادر التاريخية ذلك الدعاء المأثور عن القائد "عقبة" أثناء بناء جامع القيروان و ذلك المقصد العظيم من وراءه : « اللهم املأها علما و فقها، و اعمرها بالمطيعين العابدين، و اجعلها عزا لدينك، و ذلا لمن كفر بك، و أعز بها الإسلام و امنعها من جبابرة الأرض »[3].

ومن هذا المسجد انطلقت الدعوة الإسلامية في ربوع سكان إفريقية، وأقبل المغاربة على أهل العلم ليتعلموا أمور دينهم و ينهلوا من علومه المختلفة.

و لما جاء دور القائد "موسى بن نصير" سنة 85هـ/704م، ركز هو الآخر على جانب التعليم، فسخر سبعة عشرة رجلا من العرب ممن ساهموا معه في الفتح لتعليم أهل إفريقية الدين الإسلامي، فانعكس ذلك بصورة إيجابية واضحة في تحسن الأوضاع الدينية بإفريقية، وتثبيت الإسلام نهائيا بحاضرة القيروان عاصمة إفريقية[4]، يقول

---

[1] – إبراهيم التهامي ، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : مؤسسة الرسالة للنشر و التوزيع ، 1426هـ–2005م ، ص 29.

[2] – نفسه ، ص ص29–30.

[3] – ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص23.

[4] – عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ، ص239. ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص42.

الإمام ابن أبي زيد القيرواني[1] بهذا الصدد : « ارتدت البربر 12 مرة من طرابلس إلى طنجة، ولم يستقر الإسلام نهائيا إلا على يد موسى بن نصير »[2].

كما لا ننسى تلك الخطوة الهامة و الفعالة التي قام بها الخليفة الأموي "عمر بن عبد العزيز" سنة 99هـ/ 718م، و التي اصطلح عليها عند المؤرخين باسم : « بعثة الفقهاء العشرة »، ليفقهوا أهل المغرب عامة و إفريقية خاصة، تعاليم الدين الإسلامي و يعلموهم الحلال و الحرام[3].

وعليه كان للفتح الإسلامي أثره الواضح في انتشار الإسلام و التعريب بإفريقية، و ذلك بما بذله هؤلاء القادة الفاتحون و العلماء من التابعين، من جهود عظيمة في نشر الإسلام و تفقيه تعاليمه أهل افريقية، و ذلك من خلال بناء المساجد و جلب العلماء المشارقة[4]، حتى أضحت إفريقية امتدادا لرقعة الدولة الإسلامية بالمشرق وتتأثر مدا و جزرا بكل الأحوال السياسية و الدينية بها.

2) دخول و انتشار المذهب المالكي:

في النصف الأول من القرن الثاني الهجري/التاسع ميلادي كان أمر الإمام "مالك بن أنس"[5] قد بدأ يعلوا،

---

[1] – هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد النفزي نسبا، القيرواني مولدا و منشأ و مدفنا، ولد سنة 310هـ/922م بالقيروان، وأخذ العلم عن عدد من العلماء كابن اللباد و أبو الحسن الخولاني و أبو العرب و غيرهم، حتى ذاع صيته و أصبح إمام المالكية في وقته و قدوتهم، حتى لقب "بمالك الصغير" له تصانيف عديدة خاصة في المذهب المالكي "كالرسالة"...،توفي بالقيروان سنة386هـ/996م.وللمزيد **ينظر : عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الدباغ ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، إكم و تع: أبو القاسم أبو الفضل بن عيسى بن ناجي التنوخي ، تح و تع : محمد ماضور ، ج3 ، تونس : المكتبة العتيقة للنشر و التوزيع ، ص109. ابن فرحون المالكي ، الذيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تح : مأمون بن محي الدين الجنان ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع ، 1417هـ–1996م ، ص222–223.**

[2] – **أبي العباس الناصري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 156.**

[3] – هي بعثة فقهية، قام بها الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموي، جمع فيها عشرة من أهل الفضل و العلم من علماء التابعين منهم: بن حي المعافري و إسماعيل بن عبيد الله القرشي و طلق بن جابان و غيرهم....، أرسلهم إلى افريقية لتعليم أهلها أمور دينهم و يبينوا لهم الحلال و الحرام ، ولمعرفة أكثر عن هذه البعثة الفقهية **ينظر: أوكيل مصطفى باديس ، إنتشار الإسلام في بلاد المغرب و آثاره على المجتمع خلال القرن الأول الهجري ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف : صالح بن قربة ، قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة الجزائر ، 1426هـ–2005م ، ص ص 74–75.**

[4] – **إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص 32.**

[5] – هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي، ولد بالمدينة و اختلف في سنة ولادته ما بين 90و 97هـ/709 و716م، و هو إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة المتبوعة، كان إماما جليلا غزير العلم مجتهدا، ومن أشهر ما صنف كتابه الموطأ، و عُرف مذهبه في الأحكام بالمذهب المالكي نسبة إليه، توفي –رحمه الله– بالمدينة النبوية سنة 179هـ/795م. **ينظر : القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام علماء مذهب مالك ، ضبط و تص : محمد سالم هاشم ، ج1 ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع ، 1418هـ–1998م ، ص**

و أخذ مذهبه[1] في الفقه يتحدَّد، بما امتاز به من التزامه بالكتاب و السنة و الإبتعاد عن التأويل، و الاقتصاد في القياس ما أمكن، فأقبل عليه طلبة العلم من كل جانب وخاصة من أهل إفريقية، عن طريق الرحلة في طلب العلم إلى المشرق(*) ، ووجدوا فيه ضالتهم التي كانوا ينشدونها، فهو يدرس في مسجد رسول الله – عليه الصلاة والسلام – ، فهي في عرفهم أقرب إلى روح الإسلام ممن يدرس في الكوفة أو البصرة...، و لا يفتي إلا بحذر شديد و بحث طويل، عالما بدقائق الكتاب و السنة، حافظ لحديث رسول الله – عليه الصلاة و السلام– عارفا بصحيحة من سقيمه[2].

و تذكر المصادر التاريخية أن أوَّل من أدخل موطأ[3] الإمام مالك إلى إفريقية، الفقيه علي بن زياد (ت 183هـ /799م)[1] ، حيث فسر لهم قول مالك، فأقبل عليه أهل إفريقية إقبال منقطع النظير، و أخذوا ينشرون ما تلقوه من مذهبهم المالكي، فبرزت ثلة من العلماء البارزين في المذهب المالكي، و صاروا يتصدرون مجالس

44–129. و للمزيد عن الإمام مالك ، **ينظر** : **محمد بن علوي المالكي ، إمام دار الهجرة مالك بن أنس ، ط2 ؛ بيروت– لبنان : دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع ، 1431هـ–2010م**.

[1] – **المذهب لغة:** مصدر ميمي يطلق على الطريق و مكان الذهاب، و يقال ذهب القوم مذاهب شتى، إذا صاروا طرائق مختلفة.

أما **اصطلاحا:** هو ما ذهب إليه إمام من الأئمة في الأحكام الاجتهادية، و يُطلق المذهب عند المتأخرين على الفتوى، فيقولون المذهب في هذه المسألة كذا، و عليه فالمذهب المالكي هو الطريق الذي سلكه الإمام مالك في استنباط الأحكام الاجتهادية. و للمزيد **ينظر** : **عمر الجيدي ، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ، ط1 ؛ الرباط – المغرب : الهلال العربية للطباعة و النشر ، 1414هـ–1993م ، ص ص9–11**.

(*)لقد ساهمت الرحلة في طلب العلم إلى المشرق بشكل مباشر في دخول الفرق الكلامية و المذاهب الفقهية إلى إفريقية، وأولى هذه الفرق الخوارج بقسميها (الإباضي و الصفري) وفرقة المعتزلة، أما بالنسبة للمذاهب الفقهية فأولاها "المذهب الحنفي" الذي ينسب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان ابن ثابت (80–150هـ/700–768)، ولعل أول من ركز قواعد المذهب الحنفي بإفريقية نجد عبد الله بن المغيرة و عبد الله ابن فروخ وأسد بن الفرات... وغيرهم، وانتشر هذا المذهب في أوائل العصر الأغلبي لأنه مذهب الخلافة العباسية، ثم ضعف بعد دخول المذهب المالكي وأصبح مذهب الدولة الرسمي، وللمزيد عن هاته الفرق الكلامية و المذاهب الحنفي بإفريقية ينظر: **عبد العزيز المجذوب ، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية ، تق : علي الشابي ، تونس : الدار التونسية للنشر و التوزيع ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1395 هـ–1975 م ، ص ص 61–64. الحسين بن محمد شواط ، المرجع السابق ، ص ص90، 104**.

وحول دور رحلة طلب العلم في إنتقال المذاهب الفقهية إلى إفريقية، **ينظر**: **نجم الدين الهنتاتي ، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي ، تونس : منشورات تبر الزمان للنشر و التوزيع ، 1425هـ– 2004م ، ص ص65–70** .

[2] – **إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص 33**.

[3] – **الموطأ** : هو أقدم مؤلف معروف في الحديث، ألفه إمام دار الهجرة مالك بن أنس، حيث جمع فيه أحاديث رسول الله – عليه الصلاة و السلام – ، ورتبها على أبواب الفقه ، و سُمي بالموطأ لأنه وَّطء به الحديث أي يسره للناس، أو لمواطئة علماء المدينة له فيه و موافقتهم عليه.

كما يعتبر هذا الكتاب العمدة بالنسبة لجمهور المالكية، ومن أشهر شروحات الموطأ: كتاب الإستذكار لابن عبد البر القرطبي. و للمزيد **ينظر** : **جلال الدين السيوطي ، تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك ، تح : هشام بن محمد حيجر الحسيني ، ط1 ؛ الدار البيضاء– المغرب : دار الرشاد الحديثة ،1431هـ–2010م ، ص 87–89. مناع القطان ، تاريخ التشريع الإسلامي ، ط5 ؛ القاهرة – مصر : مكتبة وهبة للنشر والتوزيع ، 1422هـ– 2001م ، ص ص 92–93**.

التدريس و الإفتاء و القضاء[2] نذكر منهم : علي بن زياد التونسي، و أبي سعيد بن أشرس[3]، و أبي عمرو بن راشد[4]، يقول القاضي عياض في كتابه " ترتيب المدارك" : « و أما إفريقية و ما وراءها من المغرب، فكان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين، إلى أن دخل علي بن زياد و ابن الأشرس و البهلول بن راشد و بعدهم أسد بن الفرات[5] و غيرهم بمذهب مالك، فأخذ به الكثير من الناس، و لم يزل يفشوا إلى أن جاء سحنون التنوخي[6] فغلب في أيامه، وفضَّ حلق المخالفين و استقرَّ المذهب»[7].

و قد ساهم هؤلاء العلماء مساهمة عظيمة في نشر المذهب المالكي بإفريقية و تثبيته بها(*)، فهذا الإمام سحنون التنوخي قد جمع في مدونته علم مالك و فقهه، و بإشتغاله في منصب القضاء كان لا يفتي ولا يقضي بين الخصوم إلا بأحكام المذهب المالكي، فكثر أتباعه و تلامذته حتى بلغو نحو سبعمائة[8].

---

[1] – هو أبو الحسن علي بن زياد التونسي العبسي، ولد بطرابلس، ثم انتقل إلى تونس، فسكنها ، سمع من مالك و سفيان الثوري و الليث بن سعد و غيرهم....، و روى عن مالك الموطأ، و دَّرسه بإفريقية، كان ثقة مأمونا خيرا متعبدا بارعا في الفقه، و هو من أوائل الذين أدخلوا المذهب المالكي إلى إفريقية. **ينظر : القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 185–187.**

[2] – **حفيظ كعوان ، أثر فقهاء المالكية الإجتماعي و الثقافي بإفريقية من ق(2 – 5هـ/8–11م) ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف : إسماعيل سامعي ، قسم التاريخ و علم الآثار ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة ، 1430هـ–2009م ، ص ص22–23.**

[3] – هو أنصاري من العرب من أهل تونس، كان ثقة فاضلا، سمع من مالك و ابن القاسم، كان أحفظ على الرواية، و كان شديد الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و ممن روى الموطأ في إفريقية. **القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 187–188.**

[4] – هو أبو عمرو البهلول بن راشد، من أهل القيروان ولد سنة 128هـ/746م، و سمع من مالك بن أنس و سفيان الثوري و غيرهم....، كان ثقة مجتهدا ورعا مشتغلا بالعبادة، سمع الموطأ من علي بن زياد و ابن غانم، و يعتبر من أبرز علماء المذهب المالكي في القيروان، و توفي بها سنة 183هـ/799م. **وللمزيد عنه ينظر : أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم ، كتاب طبقات علماء إفريقية ، جمع : أحمد بن محمد الطلمنكي ، بيروت – لبنان : دار الكتاب اللبناني للنشر و التوزيع ، ص52–60.**

[5] – هو أسد بن الفرات بن سنان، كان مولى سليم بن قيس و كنيته أبو عبد الله، ولد ما بين سنة 145هـ أو 142هـ/759أو762م ، قيل أنه من خراسان أو من حران، قدم به أبوه إلى إفريقية ، تفقه على يد علي بن زياد بتونس، ثم رحل إلى المشرق و جمع مذهب مالك، و صنف كتابه الأسدية.

كان أسد بن الفرات ثقة ، لم يُرم ببدعة ، ولي القضاء في الدولة الأغلبية ، و توفي في غزوته لصقلية سنة 213هـ/828م. **نفسه ، ص 81–83.**

[6] – هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، أصله شامي من حمص ولد سنة 160هـ/777م، قدم به أبوه إفريقية، أخذ العلم من علماء القيروان كعلي بن زياد و بهلول بن راشد ....، ثم رحل إلى مصر و الحجاز وسمع من علمائها، كان سحنون ثقة حافظا للعلم فقيها شديدا على أهل البدع ، ولي قضاء إفريقية سنة 234هـ/848م، و له كتاب المدونة، توفي بالقيروان سنة 240هـ/854م. **القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 339–362.**

[7] – **نفسه ، ص 15.**

(*) **حول التوزيع الجغرافي لعلماء المالكية بإفريقية خلال القرنين 2و5هـ/8و11م، ينظر : الملحق رقم 6.**

[8] – **محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ج1 ، القاهرة – مصر : المطبعة السلفية و مكتباتها للنشر و التوزيع ، 1349هـ–1930م ، ص 69.**

كما لا ننسى الدور الكبير الذي قام به الإمام "ابن أبي زيد القيرواني"، الذي اهتم بدراسة المذهب المالكي و التأليف فيه، حتى لقب « بمالك الصغير» فهو الذي : « لخص المذهب و ضمَّ نشره و ذبَّ عنه و ملأت الدنيا تآليفه »[1].

و استمر المذهب المالكي في نمو و انتشار حتى أصبح أواخر القرن 3 هـ/10 م، و تزامنا مع قيام الدولة العبيدية أن كان معظم أهل إفريقية يدينون به، و لم يأت مطلع القرن5 هـ/12 م، حتى أضحى المذهب الرسمي و الوحيد بلا منازع بإفريقية خاصة و بلاد المغرب الإسلامي عامة، و إلى يومنا هذا[2].

و هكذا أصبحت إفريقية و حاضرة القيروان، هي المركز الثاني للمذهب المالكي بعد المدينة المنورة، و قد وجد أهل افريقية في علماء هذا المذهب المثال الصادق للالتزام بالإسلام من التقوى و الورع و القيام بالحق[3]، ما أهّلهم لأن يرتقوا و يرتفعوا في أعين الناس من أهل إفريقية، فالتفوا حولهم و شكلوا جبهة قوية، أصبحت كحصن قوي أمام تلك الحركات المعارضة من "خوارج" و "شيعة" و غيرهم[4] (*).

---

[1] – ابن فرحون المالكي ، المصدر السابق ، ص223.

[2] – الحسين بن محمد شواط ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 95.

[3] – عبد الله المالكي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 442.

[4] – الحسين بن محمد شواط ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 95.

(*) لمعرفة المزيد عن المذهب المالكي و أسباب إنتشاره بإفريقية ينظر:

–محمد عز الدين الغرياني ، المذهب المالكي النشأة و الموطن وأثره في الإستقرار الإجتماعي ، طرابلس – ليبيا : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية .

– محمد المختار محمد المامي ، المذهب المالكي – مدارسه و مؤلفاته ، خصائصه و سماته – ، ط1 ؛ العين– الإمارات : مركز زايد للتراث و التاريخ ، 1422هـ–2002م .

الفصل الأول:

الخلافة العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي (297-362هـ/910-973م).

المبحث الأول: مرحلة الدعوة الإسماعيلية ببلاد المغرب الإسلامي

أولا: طبيعة المذهب الإسماعيلي

ثانيا: نسب العبيديين

ثالثا: جهود الدعاة الحلواني وأبو سفيان

رابعا: جهود أبي عبد الله الداعي

المبحث الثاني: خلفاء الدولة العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي

أولا: عبيد الله المهدي (297-322هـ/910-934م)

ثانيا: القائم بأمر الله أبو القاسم محمد (322-334هـ/934-945م)

ثالثا: المنصور بنصر الله أبو الطاهر إسماعيل (334هـ-341هـ/945-952م)

رابعا: المعز لدين الله أبو تميم معد (341-362هـ/953-973م)

الفصل الأول: الخلافة العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي

(297هـ – 362هـ/910 – 973م).

تمهيد:

شهد بلاد المغرب الإسلامي مع نهاية القرن الثالث هجري/العاشر ميلادي حدثا تاريخيا بارزا، تمثل في قيام و لأول مرة دولة شيعية الأصل إسماعيلية المذهب، تمثلت في الخلافة العبيدية حيث استطاع خلفائها بتخطيط عسكري محكم توحيد بلاد المغرب تحت هاته المظلة الشيعية، وحاولوا بكل وسائل الدعاية المتوفرة لديهم، القضاء على كل ما من شأنه أن يهدد كيانهم ويزعزع عقيدتهم في نفوس أتباعهم، ما نجم عنه ظهور العديد من الثورات المناهضة لحكمهم، وقيام صراعات مذهبية خطيرة، لعلَّ من أبرزها موضوع بحثنا وهو"الصراع الشيعي – المالكي بإفريقية".

ولا نستطيع فهم أسباب ومجريات هذا الصراع المذهبي وخلفياته العقدية، إلا بالحديث عن أحوال بلاد المغرب الإسلامي عامة و إفريقية خاصة تحت وطأة الخلافة العبيدية من بداية نشأتها إلى آخر حكمها[1]، باعتبارها الطرف الأساسي في خلق هذا النوع من الصراع المذهبي بإفريقية المالكية.

(*) – لمعرفة الحدود الجغرافية للدولة العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي، ينظر : الملحق رقم 7 .

المبحث الأول: مرحلة الدعوة الإسماعيلية

أوّلا: طبيعة المذهب الإسماعيلي:

ينتمي العبيديون [1] إلى الطائفة الإسماعيلية من الشيعية الرافضة[2] ، وهم القائلون بإمامة إسماعيل [3] الإبن الأكبر لجعفر الصادق[4] رغم اتفاق أهل التاريخ على وفاة إسماعيل في حياة أبيه، ويعتبرون أن "عبيد الله" صاحب إفريقية هو رابع أئمتهم المستورين[5]، يقول المؤرخ "البغدادي" في كتابه "الفرق بين الفرق" : « والإسماعيلية هم الذين ساقوا الإمامة إلى جعفر، وزعموا أن الإمام بعده لابنه إسماعيل، وافترقت إلى فرقتين: فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موته في حياة أبيه، وفرقة قالت إنما نصب إبنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل »[6].

---

[1] – نسبة إلي عبيد الله الذي لقب نفسه بالمهدي، أول ملوك الرافضة بإفريقية.

[2] – **الشيعة:** هم الذين شايعو عليا– رضي الله عنه – على الخصوص، وقالوا بإمامته نصا ووصية، إما جليا أو خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وقالوا: لسيت الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، ويتنصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز إغفاله أو تفويضه إلى العامة وإرساله. و يُجمع الشيعة القول بوجوب التنصيص والتعيين، وثبوت عصمة الأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولا وفعلا وعقدا إلا في حالة التقية. وهم خمس فرق : كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه. **ينظر : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص144–145.**

ويعرِّف ابن حزم بأن "الشيعة "هم القائلون : " بأن الإمامة لا تكون إلا في ولد علي – رضي الله عنه –، وأنه أفضل الناس بعد رسول الله – عليه الصلاة والسلام– ، و له نص منه أنه أول الخليفة من بعده كما يزعمون" . **ينظر : علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تح : (محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمن عميرة) ، ج4 ، ط2 ؛ بيروت – لبنان : دار الجيل للنشر والتوزيع ، 1416هـ–1996م ، ص156–157. وينظر : –dominique sourdel , lislam médievel , p.u.f , paris , 1979 , pp107–110.**

[3] – هو إسماعيل بن جعفر الصادق، ويلقب بالأعرج، وكان أكبر إخوته و أحبهم إلى أبيه، وقد توفي في حياة أبيه جعفر الصادق بالعريض في المدينة المنورة، ودفن بالبقيع سنة145هـ/762م وهو الراجح، وقيل سنة 138هـ/755م . **ينظر : حسن إبراهيم حسن ، طه أحمد شرف ، عبيد الله المهدي إمام الشيعية الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، الأزهر – مصر : مكتبة النهضة المصرية للنشر والتوزيع ، 1366هـ–1947م ، ص30 .**

[4] – هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زيد العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أحد الأئمة الاثني عشرية، لقب بالصادق لصدقه في مقالته ،كان موالده سنة 80هـ/699م وتوفي في شوال سنة148هـ/765م بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع. **ينظر : أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، ج1 ، بيروت – لبنان : دار صادر للنشر والتوزيع ، ص327.**

[5] – **عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ، ص39.**

[6] – **أبي منصور بن محمد البغدادي ، الفرق بين الفرق ، تح : محمد عثمان الخشت ، القاهرة – مصر : مكتبة بن سينا للنشر والتوزيع ، ص62–63.**

ويلقبون بألقاب عديدة : كالباطنية[1]، والرافضة[2]، كما سموا بالمشارقة لقدومهم من المشرق[3].

أما الحديث عن عقائد هذه الطائفة الإسماعيلية ومبادئهم، فخلاصة القول فيها أن أصحابها يصفون الإمام من أئمتهم بأوصاف تضعه فوق مصافِّ البشر[4]، ومذهبهم هو مزيج من تعاليم الديانات والمذاهب والآراء الفلسفية، والصوفية الشرقية، والفلسفة اليونانية والهندية والفارسية[5].

إن عقائد الإسماعيلية هي مزيج عجيب متعدد الأصول والمنابع، فالتأثر بالفلسفات التي سبقتهم مع النظريات التي عاصرتهم مما لا ُينكر، مع صبغهم الغشاء الفلسفي بالنصوص الإسلامية شكلا لا مضمونا[6]، ويؤكد هاته الحقيقة شيخ الإسلام "ابن تيمية"، حيث يرى أن هذا التأثر بالفلسفة اليونانية نتيجة ما ظهر في المائة الثانية الهجرية وما بعدها، أن اجتلبت كتب اليونان والروم وترجمت، و كان من نتائج ذلك أن ظهرت فرق باطنية، أخرجوا للمسلمين عقائد ما أخذوه من تلك الكتب المترجمة[7].

هذه بعض النتف البسيطة التي سقناها في الحديث عن الطائفة الإسماعيلية وأهم عقائدهم و حقيقة مذهبهم، ويبقي الموضوع أوسع من ذلك ورجائنا أن تكون قد أعطت للقارئ لمحة عن هذا المذهب الذي ينتمي إليه

---

[1] – **الباطنية:** ُلقبوا به لدعواهم أن لظواهر القرآن و الأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر.....، وغرضهم الأقصى إبطال الشرائع ، فإنهم إذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر، وقدروا على الحكم بدعوى الباطن على حساب ما يوجب الانسلاخ عن قواعد الدين، إذ لا يبقى للشرع عصام يرجع إليه ويعول عليه. و للمزيد عن هذه الطائفة **ينظر : أبي حامد الغزالي ، فضائح الباطنية ، مر : محمد علي قطب ، صيدا – بيروت : المكتبة العصرية للنشر والتوزيع ، 1422هـ –2001م ، ص 21–22.**

[2] – **الرافضة:** مصطلح يشمل فرقة الإثني عشرية و الاسماعيلية، وظهر هذا اللقب عندما خرج زيد بن على بن الحسين في أوائل القرن الثاني للهجرة، في خلافة هشام بن عبد الملك واتبعه الشيعة وناصروه، فسأله الشيعة عن رأيه في أبي بكر وعمر– رضي الله عنهما– فقال زيد :غفر الله لهما، ما سمعت أحدا من أهلي تبرأ منهما... ، فرفضوه فسموا الرافضة و أطلقوا على أتباع زيد الزيدية . **ينظر: أحمد محمد أحمد جلي ، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين – الخوارج والشيعة – ، ط2 ؛ السعودية : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، 1408هـ–1988 م ، ص ص180–181.**

[3] – **أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي ، افتتاح الدعوة ، بيروت – لبنان : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، 1426هـ–2005م ، ص39.**

[4] – **سعد زغلول ، المرجع السابق ، ج2 ، ص539 .**

[5] – **برنارد لويس ، أصول الإسماعيلية و الفاطمية و القرمطية ، مر : خليل أحمد خليل ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : دار الحداثة للنشر والتوزيع ،1401هـ–1980م ، ص30.**

[6] – **سليمان عبد الله السلومي ، أصول الإسماعيلية – دراسة، تحليل، نقد – ، ج1 ، ط1 ؛ الرياض – السعودية : دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، 1422هـ –2001م ، ص404 .**

[7] – **تقي الدين أحمد بن تيمية ، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، تع : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، ج1 ، ط1 ؛ مكة – السعودية : مطبعة الحكومة ، 1391هـ–1971م ، ص 374.**

الخلفاء العبيديون[1]، وذلك لفهم مجريات الأحداث في الفصول القادمة، ومعرفة السر وراء تلك الأساليب التي استخدمها العبيديون في نشر مذهبهم بإفريقية.

ثانيا: نسب العبيديين:

من الأمور المعقدة في التاريخ الإسلامي و التي صارت أحد مجالات الخلاف في العصر الحديث، مسألة نسب الدولة العبيدية[(*)2] ، ما بين مؤيِّد لما ادَّعوه من النسب الشريف، وطاعن في نسبهم.

إن لقب الفاطميين الذي ُعرف به خلفاء عبيد الله المهدي، يدلُّ للوهلة الأولى على أنهم علوُّيون، على أن مسألة النسب العبيدي لم يتفق فيها المؤرِّخون قديما وحديثا لأمرين اثنين:

1- التباين السياسي والمذهبي الذي ساد المسلمون مند وقوع الفتنة الكبرى.

2- إمتناع العبيديون من إعلان نسبهم خاصة في فترة "دور الستر"[3].

ومن بين المؤيِّدين للنسب الفاطمي نجد : العلامة المؤرخ "عبد الرحمان بن خلدون" والمؤرخ "تقي الدين المقريزي" ، يقول بن خلدون بهذا الصدد : « من الأخبار الواهية، ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين و الأثبات في نسب العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة، من نفيهم عن أهل البيت- صلوات الله عليهم - والطعن في نسبهم إلى إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق، يعتمدون في ذلك على أحاديث ُلفقت للمستضعفين من

---

[1] - لمعرفة المزيد عن عقائد الطائفة الإسماعيلية ينظر:

- إحسان إلاهي ظهير، الشيعة والتشيع - فرق و تاريخ - ، ط1 ؛ لاهور- باكستان : إدارة ترجمان السنة للنشر والتوزيع ، 1415هـ-1995م .

-إحسان إلاهي ظهير ، الإسماعيلية - تاريخ و عقائد - ، لاهور- باكستان : إدارة ترجمان السنة للنشر والتوزيع .

- سليمان عبد الله السلومي ، المرجع السابق . و هذا الكتاب في أصله رسالة دكتوراه ، وقد ألمَّ بجميع جوانب البحث بخصوص هذه الطائفة الإسماعيلية.

(*) **لمعرفة شجرة نسب الدولة العبيدية، ينظر : الملحق رقم 8 .**

[2] - **سعد بن موسى الموسى ، الإمام الذهبي وموقفه من الدولة العبيدية نسبا و معتقدا ، ط1 ؛ الرياض - السعودية : دار القاسم للنشر و التوزيع ، 1427هـ-2006م ، ص23.**

[3] - **دور الستر:** من محمد بن إسماعيل حتى عبيد الله المهدي ،كانوا يحملون ألقاب حركية تخفي حقيقتهم . **ينظر : نوار نسيم : الخلافة الأموية في الأندلس في عهد الناصر والمستنصر (ما بين التحديات الداخلية و العلاقات الخارجية) ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد 01 ، مركز البصيرة ، الجزائر ، ديسمبر 2013م ، ص68.**

خلفاء بني العباس...، وكيف يقع هذا كله – قيام دولتهم في كثير من البلدان – لدعيٍّ في النسب، يكذب في انتحال أمره »[1].

كما يضيف "المقريزي" تأكيدا على هذا الكلام : « وأنت إذا سلمت من العصبية والهوى، وتأملت ما قد مرَّ ذكره من أقوال الطاعنين في أنساب القوم ...، تبين لك منه ما تأبى الطباع السليمة قبوله، ويشهد الحس السليم بكذبه، فإنه قد ثبت أن الله تعالى لا يمدُّ الكذاب المفتعل ما يكون سببا لانحراف الناس إليه، وطاعتهم له على كذبه »[2].

بينما إذا نظرنا في الطرف الآخر الذين يمثلون فئة كبيرة من المؤرِّخين المعارضين لصحة النسب، فهم أكثر من يُحصوا، لكن سأكتفى بإيراد نموذجين اثنين منهم و هما: الإمام "شمس الدين الذهبي" و "الإمام ابن خلكان".

فباعتبار الإمام الذهبي إماما في الجرح و التعديل، فهو مختص في الحكم على الرجال، و بيان مشاربهم و أنسابهم و عقائدهم، وقد ألف موسوعة "سير أعلام النبلاء" هي من أمهات المصادر في السير و التراجم يقول فيها : « وفي نسب المهدي أقوال حاصلها : أنه ليس بهاشمي ولا فاطمي »[3].

أما بالنسبة للمؤرخ الكبير والإمام العلم "ابن خلكان" فيطعن في نسب الفاطميين و يكذِّبه بقوله : « أبو محمد عبيد الله الملقب بالمهدي ، وجدت في نسبه اختلافا كبيرا، وأهل العلم بالأنساب من المحققين يُنكرون دعواه في النسب »[4].

ومن القرائن الدالة على عدم انتساب العبيديين لآل البيت–رضي الله عنهم–، موقف أهل مصر من "المعز لدين الله العبيدي"، حينما قدم عليهم من المغرب وسألوه : « إلى من ينتسب مولانا ؟ فجمع الناس في مجلس

---

[1] – عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 27– 29 .

[2] – تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تح : جمال الدين الشيال ، ج1 ، ط2 ؛ القاهرة – مصر : لجنة إحياء التراث الإسلامي ، 1416هـ–1996م ، ص52 .

[3] – شمس الدين الذهبي ، المصدر السابق ، ج15 ، ص151.

[4] – أبي العباس بن خلكان ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 117– 118 .

و سلَّ سيفه وقال : هذا نسبي، ونثر عليهم كثيرا من المال وقال هذا حسبي » . فيعلق "ابن خلكان" على موقف المعز قائلا : « وفيه دلالة على ذلك – أي عدم صحة نسبه – ، فإنه لو عرف نسبه لذكره وما احتاج إلى ذلك المجلس»[1].

لقد ظلَّ الطعن في نسب العبيديين مُثار استفزاز لهم، حتى بعد رحيلهم إلى المشرق واستقرارهم بمصر[2]، حيث تذكر المصادر التاريخية حادثة عجيبة وقعت في ظلِّ الدولة الفاطمية في مصر، ما يؤِّيد أدلة القائلين بعدم صحة نسبهم الشريف، ومن ذلك أن حاكم مصر العبيدي العزيز بالله (365 – 386 هـ/975-996 م) بعث الى صاحب الأندلس "المستنصر"[3] برسالة يسبه فيها و يهجوه، فكتب إليه "المستنصر" مجيبا : « أما بعد، فإنك قد عرفتنا فهجوتنا و لو عرفناك لأجبناك و السلام » فاشتدَّ على العزيز بالله هذا القول و أفحمه عن الجواب[4].

ومن لطائف ما ذُكر في الطعن في نسب العبيديين، ما ذكره العلامة "ابن خلكان" أن العزيز بالله صعد المنبر يوم الجمعة في أول ولايته، فوجد ورقة مكتوب فيها :

إنا سمعنا نسبا منكرا ... يُتلى على المنبر في الجامع

إن كنت فيما تدَّعي صادقا ... فاذكر أبا بعد الأب السابع

و إن تُرد تحقيق ما قلته ... فانسب لنا نفسك كالطائع [5]

أو فدع الأنساب مستورة ... و ادخل بنا في النسب الواسع

---

[1] – **أبي العباس بن خلكان ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 118.**

[2] – **نوار نسيم ، المرجع السابق ، ص70.**

[3] – هو أمير المؤمنين بالأندلس، الخليفة الأموي المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمان، ولي الخلافة يوم الخميس لثلاث خلون من شهر رمضان سنة 350هـ/961م، وتوفي يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة 366هـ/976م، كانت خلافته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر . **ينظر : عبد الله بن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، تح و تع : بشار عواد معروف ، ج 1 ، ط1 ؛ تونس : دار الغرب الإسلامي ، 1492هـ–2008م ، ص37.**

[4] – **نوار نسيم ، المرجع السابق ، ص70.**

[5] – هو الخليفة أبو بكر بن مطيع الله العباسي، تولى الخلافة سنة 363هـ /974م في بغداد ، وكانت دولته 18 سنة، توفي سنة 393هـ/1003م . **ينظر : شمس الدين الذهبي ، المصدر السابق ، ج15 ، ص 118، 119 ، 126.**

فإن أنساب بني هاشم يقصر عنها طمع الطامع [1].

ثالثا: جهود الدعاة الحلواني و أبو سفيان:

بدأت الحركة الإسماعيلية كتنظيم ثوري سري، يعتمد على مجموعة من الدعاة النشطين المنتشرين في أرجاء العالم الإسلامي إعتبارا من منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع ميلادي، وقد قصد هؤلاء الدعاة بوجه خاص الأطراف التي غلب على أهلها الغفلة و الجهل، وعلى الأخص أقاليم إيران و خراسان و الشمال الإفريقي و اليمن[2].

وتذكر المصادر التاريخية أن أوَّل تسرُّب للدَّعوة الشيعية الإسماعيلية في بلاد المغرب ، بدأت على يد الداعيين أبو سفيان[3] والحلواني[4] ، اللذين أرسلهم الإمام جعفر الصادق (ت148هـ/765م) في حدود سنة286هـ/ 899م ، وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة من آل محمد- عليه الصلاة و السلام - وينشر فضائلهم ، وأمرهما أن يتجاوزا إفريقية إلى حدود البربر[5].

كما ذكر "ابن خلدون" في كتابه "العبر" مقالة الإمام جعفر الصادق إلى الداعيين بقوله : « بالمغرب أرض بور، فاذهبا و احرثاها، حتى يجيء صاحب البذر »[6].

تحرَّك الداعيين قاصدين بلاد المغرب ووصلا إلى منطقة ُتعرف بمرماجنة[7] أرض كتامة، فنزل أحدهما وهو أبو

---

[1] - **ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج5 ، ص373.**

[2] - **أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر – تفسير جديد – ، القاهرة – مصر: الهيئة المصرية للكتاب للنشر والتوزيع ، 1428 هـ–2007م ، ص 109.**

[3] - لا ُيعرف عنه شيئا، سوى ما ذكره بن خلدون أن أباه وجدُّه اسمه بكار. **ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ، ص41.**

[4] - هو عبد الله بن علي بن أحمد المعروف بالحلواني، منسوب إلى حلوان وهي مدينة من سواد العراق، مما يلي بلاد الجبل ، ولا يعرف عنه أكثر من ذلك . **ينظر : إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص293.**

[5] - **النعمان بن محمد ، المصدر السابق ، ص23.**

[6] - **عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ، ص46.**

[7] - **مرماحنة:** قرية من قرى هوارة بإفريقية، وقد ذكر الحموي أنها تبعد عن الإربس بمرحلة . **ينظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص109.**

سفيان بموضع يقال له تالا[1] فمن قبله تشيع من تشيع من أهل مرماجنة، وكذلك أهل الإربس[2] ، وقيل أنه كان سبب تشيع أهل نفطة[3].

يُستفاد مما ذُكر أن المؤلف لا يعتبر إفريقية من بلاد البربر، وقد يعود هذا إلى عدم معرفته بحدود بلاد البربر الجغرافية، كما يستفاد منه أن الداعي "أبي سفيان" هو الذي نشر المذهب الإسماعيلي ببلاد قسطيلية[4].

أما بخصوص الحلواني ، فقيل أنه تقدم حتى وصل إلى منطقة سوجمار[5] ، فنزل بموضع يقال له الناظور[6] ، فبنى مسجدا وتزوج امرأة ... فاشتهر ذكره ، وضرب الناس من القبائل إليه، وتشيع الكثير منهم على يديه من أهل كتامة[7].

وقد كرَّس الداعيتين وقتهما للدعوة الإسماعيلية عن طريق التعليم، وأصبحا مقصد الكثير من سكان البربر، فدأبا ينشرون مذهبهم، ويتحدثون عن مزايا أهل البيت – رضي الله عنهم – حتى ذاع بين الناس خبر فضلهما وعلمهما[8].

إن النصوص التاريخية تشير إلى نجاح الداعيين أبي سفيان و الحلواني في تذليل الصعوبات في بلاد المغرب، وتمهيد الأرض وتهيئة النفوس لتقبل الدعوة التي سيقوم بها داعي آل البيت، ولم يبقى أمام الداعي أبو عبد الله

---

[1] – **تالا:** لم أجد لها ذكرا في كتب الرحلات الجغرافية، فيذكر "مرمول محمد الصالح" أنها تقع شرق تبسة على الحدود الجزائرية التونسية حاليا . **ينظر : مرمول محمد صالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، 1403هـ–1983م ، ص31.**

[2] – **الإربس:** تقع غرب جبل زغوان، بينها وبين القيروان مسيرة 3أيام. **ياقوت الحموى ، المصدر السابق ، ج5 ، ص136.**

[3] – **النعمان بن محمد ، المصدر السابق ، ص23.**

[4] – **قسطيلية:** هي كورة واسعة من بلاد الجريد التونسية، ومن مدنها : توزر و نفطة، وتشتهر بكثرة نخيلها . **ينظر: أبي عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك و الممالك ، القاهرة : دار الكتاب الإسلامي للنشر و التوزيع ، ص84–85.**

[5] – ورد ذكره عند ابن خلدون بلفظ "سوق جمار" أو "حماد" ، وأنه من أرض كتامة. **ينظر : عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 41.**

[6] – ذكر الإدريسي أن حصن الناظور يقع بضواحي بجاية . **ينظر : أبي عبد الله الشريف الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج1 ، مصر : مكتبة الثقافة الدينية للنشر و التوزيع ، ص262.**

[7] – **النعمان بن محمد ، المصدر السابق ، ص23.**

الشيعي غير البذر وهو أسهل من الحرث والتنقية والإعداد[1].

من خلال ما تقدم يتجلى لنا أن الدعوة الإسماعيلية وُجدت ببلاد المغرب قبل أبي عبد الله الشيعي بزمن طويل، وأصبح لها أتباع ومراكز انطلاق الدعاة للبث بها، بعد أن سخر هؤلاء مختلف الوسائل لأجل خدمة الأغراض المذهبية، وخلق كيان سياسي، والأبعد من ذلك كله أنها أوَّلت القرآن الكريم تأويلا يتماشى وأهوائها ومصالحها الخاصة[2]، ورأت أنها ظاهر وباطن، والباطن لا يفهمه سوى الإمام على زعمهم، كما أوَّلت كثيرا من الأحاديث النبوية لخدمة أغراضها المذهبية[3].

رابعا: جهود أبي عبد الله الدَّاعي:

- تثبت كل المصادر التي أرخت للفترة العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي ، أن الداعي الذي خلف "الحلواني و أبو سفيان" في دعوتهم هو أبو عبد الله الشيعي الصنعاني[4]، حيث وجد الأمر ممهدا له والمذهب الإسماعيلي مبثوث فيهم، فسار على نفس منوال سابقيه في الاعتدال والتدرج عند بث دعوته[5].

---

[9] – **موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1399هـ–1979م ، ص217.**

[1] – **كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، تر : (نبيه أمني فارس ، منير البعلبكي) ، ط5 ؛ بيروت – لبنان : دار العلم للملايين للنشر والتوزيع ، 1387 هـ–1968 م ، ص 251.**

[3] – **فاطمة بلهواري ، الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي ، تلمسان – الجزائر : دار المسك للنشر و التوزيع ، 1432هـ–2011م ، ص ص 14–15.**

ومما يذكر بهذا الصدد ، أن أسلوب الدعاية في نشر مذهبهم قد شابه الكثير من الأساليب والحيل بقصد التأثير والكسب ، حيث قام هؤلاء الدعاة بنشر ما سموه بالدعوات التسع ، لتهيئة الجو المناسب لخروج عبيد الله المهدي مؤسس دولتهم ، وللمزيد **ينظر : ابن أيبك الدواداري ، الدرة المضنية في أخبار الدولة الفاطمية ، تح : صلاح الدين المنجد ، القاهرة – مصر : مطبعة طيبة للنشر والتوزيع ، 1380 هـ–1961م ، ص97 وما بعدها.**

[4] – هو أبوعبد الله حسن بن أحمد بن محمد بن زكرياء الشيعي، من أهل صنعاء ، وقد صار إلى بن حوشب النجار ، وصحبه بعدن ، وصار من كبار أصحابه، وكان له علم وفهم، وذكاء ومكر، بعث به إلى أرض كتامة لنشر الدعوة الإسماعيلية . **ينظر : تقي الدين المقريزي ،كتاب المقفى الكبير ، تح : محمد اليعلاوي ، ج1 ، ط1 ؛ بيروت– لبنان : دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع ،1407هـ – 1987م ، ص25.**

[5] – **مرمول محمد الصالح ، (المكانة التاريخية للشرق الجزائري في نهاية القرن الثالث الهجري) ، مجلة الأصالة ، العدد 64 ، مج20 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان ، 1432هـ– 2011م ، ص109.**

كان أبو عبد الله مقيما بالكوفة عاصمة الشيعة، ومنها رحل إلى رجل يعرف "بابن حوشب"[1] باليمن ، ليتدرب عليه أصول المذهب الإسماعيلي وسياسة نشره حتى صار من أكبر أتباعه، وذلك سنة 296هـ/891م، ثم بعثه إلى بلاد المغرب[2].

وقد أكدت المصادر التاريخية ، أن أول عمل قام به أبو عبد الله، أن توجه من اليمن بعد أن أحسن الاستعداد إلى مكة المكرمة وتناسب مع موسم الحج، والتقى بحجاج قبيلة "كتامة البربرية"[3]، وأخذ يتعرف منهم على أحوال البلاد ويسألهم عن أوضاعهم، فأدرك أن ليس في قبائل إفريقية أكثر عددا ولا أشدَّ شوكة ولا أصعب مراما على السلطان من كتامة[4] .

بعدها ارتحل معهم إلى بلاد المغرب ونزل في بلد كتامة ، عند "بني سكتان" ، وبعد أن تزود بمبلغ كبير من المال، بدأ اتصالاته بسكان قبيلة كتامة، وأخذ في استمالة القلوب إليه، حيث أخذ يشيد "بفج الأخيار" وبأهله قائلا : « والله ما سمي هذا الفج إلا بكم، وقد جاء في الحديث أن للمهدي هجرة تنبؤ على الأوطان، في زمان محنة وافتتان، وينصره الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم مشتق اسمهم من الكتمان، فأنتم هم كتامة ، وبخروجكم من هذا الفج سمي بفج الأخيار »[5].

---

[1] – هو الحسن بن فرح بن حوشب بن زاذان الكوفي المعروف بمنصور اليمن وصاحب دعوة اليمن، كان من أكبر دعاة المذهب الإسماعيلي بالمغرب والمؤسس له، ولمعرفة أخباره ببلاد اليمن . **ينظر : الداعي إدريس عماد الدين ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب – القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار– ، تح : محمد اليعلاوي ، ط1 ، بيروت– لبنان : دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع ، 1405هـ –1985م ، ص59وما بعدها** . وللمزيد حول هاته الشخصية **ينظر : سيف الدين القصير ، ابن حوشب و الحركة الفاطمية في اليمن ، دمشق – سوريا : دار الينابيع للطباعة و النشر و التوزيع** .

[2] – **عز الدين ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المصدر السابق ، ج6 ، ص450**.

[3] – يقول النعمان بن محمد : " وصل أبو عبد الله مع جملة من الحجيج من أهل اليمن إلى مكة... ، فمر على جماعة من رجال كتامة ممن حج تلك السنة، وهم في رحالهم، وفيهم من الشيعة الذين كانوا تشيعوا بأسباب الحلواني... " . **ينظر : النعمان بن محمد ، المصدر السابق ، ص29** . ويضيف ابن عذارى تعقيبا على هذه الرحلة : "..... فلما وصل للموسم لا للحج ، لأن الحج ليس من مذهبهم الفاسد، بل تكلف حضوره ليتسبب في مراده .... " . **ينظر : ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 124**.

[4] – **نفسه ، ص 125**.

[5] – إن اختيار الداعي أبي عبد الله في دعوته قبيلة كتامة لم يكن صدفة، بل كان مخطط لها قبل خروجه من اليمن ، لعلمه مدى نفوذ هذه القبيلة داخل بلاد المغرب، وكونها ُيقدرون العلم وأهله بدون دراية وتمحيص، وفي هذا الصدد يقول النعمان بن محمد : " وكذلك شأن كتامة إلى اليوم، يعظمون من كان لديه أقل شيء من العلم ويقدمونه، حتى المعلم الذي يكون عندهم و إن كان لا يحسن غير قراءة القرآن، فإن له عندهم قدرا وحالا ومكانا ". **ينظر : النعمان بن محمد ، المصدر السابق ، ص 30–37** .

بعد استمالتهم بهذا المدح والإطراء، أُعجب به أهل كتامة ، وزاد عدد أنصاره و أتباعه يوما بعد اليوم، كما استخدم أساليب دعائية كالتنبؤ والسحر والشعوذة والجدل لتحقيق أهدافه[1]، إضافة إلى لبسه الخشن من الثوب وأكله الغليظ من الطعام، وحثه على مكارم الأخلاق والمعاملة الحسنة مع أهل البلدان التي افتتحها خلال صراعه مع الأغالبة ، كل ذلك رفع من مكانته في أعين أهل كتامة و أُعجبوا به[2].

وهكذا التف حول "أبي عبد الله الشيعي" جمع عظيم من قبيلة كتامة ، كانت بمثابة النواة الأولى لتكوين جيشه، مما أتاح له الفرصة في التفكير أن دولة سيده لن تقوم بأرض المغرب إلا بالقضاء على الدُّويلات القائمة بها ، فاتجه بجيشه نحو مملكة الأغالبة ، واستطاع أن يحقق انتصارات باهرة عليها ، والحصول على غنائم وأموال لا تحصى[3].

وهكذا ظلت البلاد تتساقط في يد الشيعة واحدة تلو الأخرى، حتى تمكنوا من الاستيلاء على العاصمة رقادة[4]، و التي بسقوطها ينتهي حكم الأغالبة بإفريقية سنة 296هـ/909م[5].

---

[1] – يقول ابن الاثير : " أن أبا عبد الله صنع من الحيل و المكيدات ما أذهل به عقول أهل البربر...، وانتهى الأمر أن تفرقت كلمة البربر وكتامة بسببه ". **ينظر : عز الدين ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المصدر السابق ، ج6 ، ص451 .**

[2] – **عبد المنعم محمد الصادق ، في تاريخ المغرب الإسلامي – دراسة للحياة السياسية و الاقتصادية بإفريقية (261–365هـ/875–975م) – ، ط 1 ؛ القاهرة – مصر : دار الفكر العربي للنشر والتوزيع ، 1453هـ–2014 م ، ص63–65.**

[3] – **النعمان بن محمد ، المصدر السابق ، ص136 وما بعدها.**

[4] – **رقادة** : بلدة بإفريقية ، بينها وبين القيروان أربعة أيام ، أسسها إبراهيم بن أحمد بن أغلب سنة 263هـ/877م، وبنى بها قصورا عجيبة ومسجدا ، عمرت بالأسواق والحمامات والفنادق، فلم تزل دار ملك بني الأغلب إلى أن هرب عنها زيادة الله من أبي عبد الله الشيعي، وسكنها عبيد الله المهدي، إلى أن انتقل إلى المهدية سنة 208هـ/823م . **ينظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 55–56 .**

[5] – **عبد الله محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش ، القاهرة – مصر : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1411هـ–1991م ، ص30.**

بعدها وجه الداعي أنظاره اتجاه منطقة بلاد الزاب[1]، وسيطر عليها كلها واستفحل أمره ، ثم قصد تيهرت[2] التي كانت تمر بأوضاع سياسية مضطربة، فاستولى عليها الداعية أبو عبد الله دون قتال يُذكر ، لأنه وجد أمة بلا حكومة و حكومة بلا أمة[3].

ثم توجه الداعي بملء الأرض من الخيل والرجال إلى سجلماسة[4] سنة296هـ/909م، و استخلف على إفريقية أخاه أبا زاكي تمام بن معارك، فوصل إلى سجلماسة، وأحاط بها وحازها و افتتحها واستنقذ سيده عبيد الله الملقب بالمهدي و ابنه أبو القاسم، وتوجها معا إلى إفريقية ، ثم تنحى عنها إلى موضع قريب منها سماها " المهدية "نسبة إليه، وقتل الداعي أبي عبد الله و أخاه أبا العباس ومن والاهما من شيوخ كتامة، لأنهما ارتدا عليه وحاولا فضح أمره[5].

وبعد هذه الرحلة الطويلة والجهود التي بذلها أبي عبد الله، إستطاع بما امتاز به من ذكاء وحيل ، وبما حققه من تكوين جيش كتامي كان من أقوى جيوش المغرب آنذاك ، أن يوطد دعائم المذهب الإسماعيلي بالمغرب، ويعطي نقطة البدء الفعلي لقيام أول دولة شيعية عبيدية، حكمت بلاد المغرب ردحا من الزمن ، وتوالى عليها حكام

---

[1] – **بلاد الزاب**: كورة عظيمة وبلاد واسعة و قرى متواطئة بين تلمسان و سجلماسة ، والنهر متسلط عليها. **ينظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص123–124.**

[2] – **تاهرت**: إسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لأحدهما تاهرت القديمة و الأخرى تاهرت المحدثة أو الحديثة، بينهما وبين المسيلة ست مراحل، وهي مدينة بالوسط الجزائري كانت عاصمة لدولة بني رستم الإباضية ، ومعروفة بشدة البرد حتى قيل فيها :

ما أخشن البرد وريعانه وأطرف الشمس بتاهرت

تبدو من الغيم إذا ما بدت كأنها تنشر من تخت

فنحن في بحر بلا لجة تجري بنا الريح على سمت

تفرح بالشمس، إذا ما بدت كفرحة الذمي بالسبت

ينظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 7–8.

[3] – **مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، تق وتص : محمد الميلي ، ج 2 ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، ص88.**

[4] – **سجلماسة**: مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، وأكثر أقوات أهل سجلماسة من التمر وغلتهم قليلة، وأهل هذه المدينة من أغنى الناس و أكثرهم مالا ، لأنها على طريق من يريد السودان الغربي معدن الذهب، و لأهلها جرأة على دخولها، وكانت في حكم دولة بني مدرار الصفرية . **ينظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 192.**

[5] – **محمد بن علي بن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تح : (التهامي نقرة ، عبد الحليم عويس) ، القاهرة – مصر : دار الصحوة للنشر و التوزيع ، ص40–43.**

حاولوا بشتى الوسائل و الطرق فرض المذهب الإسماعيلي على أهل المغرب ، وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث اللاحق عن خلفاء الدولة العبيدية و أبرز أعمالهم السياسية ببلاد المغرب الإسلامي.

المبحث الثاني: خلفاء الدَّولة العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي

(269هـ – 362هـ/910م – 973م).

قد سبق و أن تحدثنا في المباحث السابقة عن الإرهاصات الأولى لقيام الدولة العبيدية، حيث تطرقنا بشيء من التفصيل عن تلك الجهود المضنية التي بذلها أنصار و دعاة المذهب الإسماعيلي في تهيئة الجو المناسب لبث روح المذهب الإسماعيلي الشيعي، وما نتج عنها من قلب كل أنظمة الحكم السائدة آنذاك ومحو آثارها، وقيام أول دولة شيعية ببلاد المغرب الإسلامي، ولربط الأحداث السابقة باللاحقة، واكتمال صورة ومجريات الأحداث في ظل الدولة العبيدية، لا بد وأن نتطرق في الحديث عن خلفاء هذه الدولة، والمجهودات الجبارة التي بذلوها حتى أضحت الدولة العبيدية ذات خلافة مستقلة إقتصاديا وسياسيا عن الخلافة العباسية بالمشرق، والخلافة الأموية بالأندلس.

أولا: عبيد الله المهدي (297–322هـ/910–924م):

تُجمع كل المصادر التاريخية على أن أوَّل خليفة من خلفاء الدولة العبيدية هو "عبيد الله المهدي"، حيث يذكر الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلاء" ترجمة لعبيد الله المهدي فيقول : « عبيد الله أبو محمد، أوَّل من قام من الخلفاء الخوارج العبيدية الباطنية، الذين قلبوا الإسلام، وأعلنوا بالرفض، وأبطنوا مذهب الإسماعيلية ، وبثوا الدُّعاة يستغلون الجبلية والجهلة »[1].

ولد عبيد الله بسلمية[2] ببلاد الشام، وقيل ببغداد سنة 260هـ/874م، ووصل إلى مصر في زي التجار وهو يطلب الأمور الكبار سنة 289هـ/902م، و كان الطلب عليه من بني العباس حثيث بأن يُقبض عليه متى

[1] – **شمس الدين الذهبي ، المصدر السابق ، ج15 ، ص 141.**

[2] – **سلمية:** هي بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة، بينهما مسيرة يومين و كانت تعد من أعمال حمص، ولا يعرفها أهل الشام إلا بسلمية. **ينظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 240.**

وقد اتخذها أئمة الإسماعيلية مركزا لنشر دعوتهم إلى كافة الأقطار الإسلامية، وللمزيد **ينظر : سيف الدين القصير ، المرجع السابق ، ص40.**

عُرف، لكنه استطاع الفرار ودخول بلاد المغرب ووصل إلى سجلماسة، حيث اعتقل فيها هو وابنه أبو القاسم إلى أن حرره الداعي أبي عبد الله 296هـ/909م[1].

بعد خلاص عبيد الله المهدي وابنه أبو القاسم ، رحل مع رفقة داعيه إلى رقادة يوم الجمعة 21 ربيع الثاني من عام 297هـ/911م ، يقول "ابن عذرى المراكشي" في وصف هذا المشهد : « وفيها وصل عبيد الله إلى مدينة رقادة، ومعه ابنه أبو القاسم.....، ولقيه الفقهاء ووجوه أهل القيروان، وسألوه التأمين لهم في الأموال فأعرض عنهم، فخافه أهل العقل من ذلك الوقت.....، وأظهر عبيد الله التشيع القبيح ، وسب أصحاب النبي – عليه الصلاة و السلام – وأزواجه...» [2].

وما إن استقامت الأمور لعبيد الله المهدي و دُعي له بالخلافة برقادة و القيروان، حتى قرر الخلاص من الداعي أبي عبد الله وأخوه أبي العباس، وبدأ السباق بين الرجلين، وأصبح كل منهما يعمل على سبق الآخر في الفتك به، لكن عبيد الله تمكن من قتلهما[3]، حيث أرسل جماعة إلى قصر أبي عبد الله ، فقال: لا تفعلوا فقالوا : " إن الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك "، فقتل هو و أخوه ، وذلك يوم الإثنين من جمادى الآخرة سنة 298هـ /912م برقادة [4].

---

[1] – **محمد بن علي بن حماد ، المصدر السابق ، ص 35–36.**

[2] – كما منع القاضي المروزي الفقهاء أن لا يُفتي أحدهم إلا بمذهب الإسماعيلية ، كما أُنشدت أشعار تمدح عبيد الله بالكفر ، فاستجازه ، كقولهم:

حل برقادة المسيح — حل بها آدم ونوح
حل بها أحمد المصفى — حل بها الكبش والذبيح
حل بها الله ذو المعالي — وكل شيء سواه ريح

فرد عليه أهل القيروان برسالة كُتب فيها :

الجور قد رضينا — لا الكفر والحماقة
يا مدعي الغيوب — من كاتب البطاقة

وللمزيد **ينظر : ابن عذرى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 160–185 .**

[3] – **علي حسين الخربوطلي ، أبو عبد الله الشيعي – مؤسس الدولة الفاطمية – ، مصر : المطبعة الفنية الحديثة للنشر والتوزيع ، 1392هـ–1972م ، ص 63 – 64.**

[4] – مما يُذكر في سبب قتلهما ، تشكيك الداعي وأخوه أهل كتامة في صحة لقب عبيد الله بالمهدي، حتى إن بعضهم قد واجه عبيد الله الملقب بالمهدي بذلك و قال : " إن كنت المهدي فأظهر لنا آية، فقد شككنا فيك ". **ينظر : تقي الدين المقريزي ، إتعاظ الحنفا ، المصدر السابق ، ج1، ص 68.**

وقد ترتب عن مصرع أبي عبد الله وأخوه أبي العباس، أن استاء الكتاميون وثاروا على عبيد الله في طرابلس واشتبك مع أهالي القيروان[1]، لكنه استطاع إخماد الثورات، وهدأت البلاد وتوقفت الفتن، واعتزم بناء مدينة على ساحل البحر يتخذها معصما لأهل بيته، وملاذا من ثورات أهل الكتامة، و اختط هذه المدينة على بعد ستين ميلا جنوبي القيروان و سماها المهدية(*)، وذلك سنة303هـ/915م[2].

ومما يذكر من أعمال عبيد الله المهدي بعد حلوله رقادة ومبايعته فيها، أن قسم أعمال إفريقية على أهل كتامة، فاتَّسعت أموالهم وكثرت نعمهم، لما أصابوا من الأعمال وملكوا من البلدان ، وأجرى عليهم مع ذلك الصلات وأسبغ عليهم العطايا ودَّون الدواوين[3]، وقد توفي عبيد الله في مدينة المهدية سنة 322هـ/934م بعد أن حكم البلاد أكثر من أربع وعشرون سنة، وهكذا انطوت صفحة عبيد الله المهدي مؤسس الدولة العبيدية، بعد أن قضى وقتا طويلا خليفة دولة امتد نفوذها من المحيط الأطلسي غربا إلى بلاد العراق شرقا[4].

ثانيا: أبو القاسم محمد القائم بأمر الله (322 – 334هـ/934 – 945م):

– بعد وفاة عبيد الله المهدي ، خلفه في حكم الدولة العبيدية ابنه القاسم، وهو أبو القاسم محمد بن المهدي بن عبيد الله، ُولد في سلمية سنة 278هـ/981م، وبويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه سنة 322هـ/934م[5]، يقول عنه لسان الدين بن الخطيب : « كان ملكا كبيرا، يركب بالمضلة، وغزا جنوة[6]، فكان الفتح عليه جليلا، وأغزى

---

[1] – **علي محمد الصلابي ، الدولة الفاطمية ، ط1 ؛ مصر– القاهرة : دار بن الجوزي للنشر والتوزيع ، 1428هـ–2007م** ، ص ص**47–53**. ولعرفة المزيد عن ثورات أهل طرابلس و برقة ضد الحكم العبيدي، **ينظر : علي محمد الصلابي ، الصراع بين أهل السنة و الرافضة نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية ، ط1 ؛ الإمارات – الشارقة : مكتبة الصحابة للنشر ، القاهرة – عين شمس : مكتبة التابعين للنشر ،1427هـ–2007م** ، ص ص**57–60**.

(*) **المهدية:** مدينة صغيرة ، استحدثها عبيد الله المهدي بالمغرب ، وسماها باسمه ، وهي في نحر البحر، بينها وبين القيروان مرحلتين ،كانت كثيرة التجارة حسنة السور والعمارة منيعة . **ينظر : أبي القاسم بن حوقل ، صورة الأرض ، بيروت – لبنان ، منشورات دار مكتبة الحياة ، 1416هـ –1996م** ، ص**73**.

[2] – **عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، تاريخ المغرب و الأندلس ، القاهرة – مصر : مكتبة نهضة المشرق للنشر والتوزيع ، ص ص 178– 179**.

[3] – **النعمان بن محمد ، المصدر السابق ، ص 184**.

[4] – **حسن إبراهيم حسن ، طه أحمد شرف ، المرجع السابق ، ص ص 320–321**.

[5] – **شمس الدين الذهبي ، المصدر السابق ، ج15 ، ص 152**.

[6] – **جنوة:** مدينة في بلاد الروم على ساحل بحر الشام، وهي مدينة قديمة البناء، حسنة الجهات، شاهقة البناء، وافرة البشر،كثيرة المزارع و القرى والعمارات . **ينظر : محمد بن عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص 173**.

فتاه "جوهرا"[1] المغرب، فعظم أثره ووصل البحر المحيط »[2].

وقد كان القائم على دراية تامة بشؤون الدولة وأمور السياسة، حيث يتضح من خلال تاريخ ميلاده أنه عاصر فتر ة حكم أبيه، حيث تقلد مسؤوليات كبيرة في عهده، وحين توفي عبيد الله المهدي توقع قيام ثورات ضده فأخفى موت أبيه سنة حتى هيأ الأمور لنفسه ، ووَّطد أركان دولته ، يقول "ابن الأثير" بهذا الصدد : « وأخفى ولده القاسم موت أبيه سنة ، لتدبير كان له »[3].

كان أول ما بدأ به القائم بأمر الله الشيعي ، أن أمر عُماله في سائر البلدان بعمل السلاح وجميع الآلات الحربية، وأخرج فتاه "ميسور الفتى" في عدد عظيم إلى المغرب، فانتهى إلى فاس وهزم "ابن أبي العافية" وأخذ إبنه أسيرا، وأخرج " يعقوب بن إسحاق" في الأسطول إلى بلد الروم، فافتتح جنوة، وأقرَّ "أبا جعفر البغدادي" على البريد والكتابة، وفوض إليه كثيرا من أمور المملكة[4].

و يذكر المؤرخ "المقريزي" في كتابه "إتعاظ الحنفا": « أنه في سنة 332 هـ /934 م، خرج عليه "أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري الخارجي"[5] بإفريقية، واشتدت شوكته خاصة في أيام القائم و كثرت أتباعه، وهزم كثيرا من الجيوش »[1].

---

[1] – هو القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله، المعروف بالكاتب الرومي، كان من موالي المعز بن المنصور بن القائم صاحب إفريقية، وجهزه إلى الديار المصرية ليأخذها بعد موت الأستاذ كافور الإخشيدي، وأقام بها حتى وصل إليه مولاه المعز وهو نافذ الأمر، واستمر على علو منزلته، وارتفاع درجته متوليا للأمور، إلى أن عزله المعز، توفي سنة إحدى وثمانين وثلاثة مئة هجرية . **ينظر : أبي العباس بن خلكان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 375–376.**

[2] – **لسان الدين بن الخطيب ، رقم الحلل في نظم الدول ، تونس : المطبعة العمومية للنشر والتوزيع ، 1316هـ–1898م ، ص34.**

[3] – **عز الدين ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المصدر السابق ، ج7 ، ص99** . لكن المؤرخ "ابن حماد" يخالفه في هذا القول، فيذكر أن القائم كتم موت أبيه مدة شهر فقط . **ينظر : محمد بن علي بن حماد ، المصدر السابق ، ص 50** .

[4] – **ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 209.**

[5] – هو أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري الخارجي، من قبيلة زناتة من مدينة توزر، نشأ بها وتعلم القرآن، وخالط جماعة من النكارية فمالت نفسه إلى مذهبهم، ثم سافر إلى تاهرت فأقام بها يعلم الصبيان، وكان مذهبه تكفير أهل الملة واستباحة الأموال والدماء والخروج على السلطان، فابتدأ بعمل الحسبة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فصار له جماعة يعظمونه، فأعلن الثورة على الدولة العبيدية في عهد عبيد الله المهدي وابنه أبو القاسم، ولم يتمكنوا من قتله إلا في خلافة المنصور سنة 366هـ/947م . **ينظر : تقي الدين المقريزي ، إتعاظ الحنفا... ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 75– 85**. وللمزيد عن أبي يزيد الخارجي **ينظر :**
-mohammed ben abi el raini el kairaouani , histoire de lafrique , traduite de larabe par : pellisier et rémusat , commission académique sciences historiques et geographiques , paris , pp97–104.

وقد كان القائم مهيبا شجاعا قليل الخير فاسد العقيدة، وقد جرت بينه وبين هذا الخارجي حروب وملاحم ، وحصره مخلد بالمهدية وضيق عليه واستولى على بلاده ، ثم وسوس القائم ، و اختلط وزال عقله ، وكان يراسل قرامطة البحرين ، و يأمر بإحراق المساجد والمصاحف[2].

إستغل أبو يزيد الخارجي جرائم أبي القاسم، وألب عليه إباضية المغرب وجموع القبائل وفقهاء وزُّهاد القيروان، وكاد أن يمتلك أبو يزيد المغرب بأجمعه[3]، وقد أيد الناس أبو يزيد أملا في التخلص من ظلم القاسم وجبروته، وقد توفي القائم وشبح هذه الثورة جاثم على صدر هذه الخلافة العبيدية، وكانت وفاته يوم الأحد الموافق لـ 12 شوال عام 334هـ/964م، حيث كانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة وسبعة أشهر[4]، وعمره خمس وخمسون سنة، و أُخفيت وفاته خوفا من ضعف عزائم رجاله في قتال "صاحب الحمار"[5] ، ومات القائم وخصمه النكاري محاصرا سوسة وقتل منها خلقا كثيرا [6].

ثالثا: المنصور بنصر الله أبو الطاهر إسماعيل (334هـ –341هـ/945 – 952م):

لما توفي القائم تولى الأمر من بعده ابنه إسماعيل المنصور [7]، وحسب الإخباريين الإسماعيليين والسنيين على حد سواء لم يذكروه إلا بالخصال الحميدة[8]، من حيث الشجاعة والفصاحة، بالإضافة على ما كان يتميز به من حزم، حيث يذكر صاحب كتاب "عيون الأخبار " أنه لم تمض سبعة أيام على دفن القائم بأمر الله حتى أخذ

---

[1] – **تقي الدين المقريزي ، إتعاظ الحنفا... ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص75.**

[2] – **شمس الدين الذهبي ، المصدر السابق ، ج15 ، ص152.**

[3] – **علي محمد الصلابي ، الدولة الفاطمية ، المرجع السابق ، ص54 .**

[4] – **ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 208.**

[5] – لُقب بهذا اللقب عند دخوله مدينة مرماحنة، فلقيه رجل من أهلها فأهدى له حمارا أشهب مليح الصورة، فركبه من ذلك اليوم وصار يعرف براكب الحمار.
ينظر : تقي الدين المقريزي ، إتعاظ الحنفا... ، المصدر السابق ، ج1، ص 75– 76.

[6] – **نفسه ، ص ص81–82.**

[7] – هو أبو الطاهر إسماعيل بن محمد القائم بن عبيد الله المهدي الشيعي العبيدي، ولد بالمهدية سنة 203هـ/915م ، وبويع له في شوال سنة 334هـ/945م .
ينظر : تقي الدين المقريزي ، إتعاظ الحنفا... ، المصدر السابق ، ج1 ، ص88.

[8] – من ذلك ما قاله الإمام شمس الدين الذهبي : « وكان بطلا شجاعا،رابط الجأش، فصيحا مفوها، يرتجل الخطب، وفيه إسلام في الجملة وعقل بخلاف أبيه الزنديق » . **ينظر : شمس الدين الذهبي ، المصدر السابق ، ج15 ، ص157.**

ابنه إسماعيل الإستعدادات اللازمة ليقود لنفسه العمليات الحربية ضد أبي يزيد الخارجي، فتحول يوم 19 شوال سنة334هـ/945م إلى دار الصناعة المهدية[1]، و أخذ يُعد الرجال والمراكب لقتال أبي يزيد[2].

كانت هذه التحركات أول عمل قام به الخليفة الثالث العبيدي، وهو عزمه القضاء على ثورة صاحب الحمار، التي تعتبر أكبر خطر واجه العبيديين ببلاد المغرب خاصة بين سنتي (332هـ - 336هـ/943-947م)، وخير دليل على ذلك قول المنصور بمناسبة انتصاره في وقعة تعرف بوقعة "يوم الجمعة" ما نصه : « اليوم فتحنا مشارق الأرض ومغاربها، ازداد الحق ضياءا وسناءا وعلاءا »[3].

ويذكر المؤرخ "ابن أبي دينار" أن أيام أبي يزيد أزيد عن ثلاثين سنة، دَّمر فيها غالب الإقليم الإفريقي[4]، ولكن لما لم يكن لها أساس متين، لم يكتب لها النجاح مدة طويلة، وتعتبر آخر محاولة بربرية للتخلص من نفوذ العبيديين بالمغرب، كما كانت لها نتائج عكسية على المذهب النكاري لأن أعمال صاحبها أظهرته بمظهر الوحشية والفوضوية وسفك الدماء وزرع الرعب[5](*).

ورغم كثرة مشاكل منصور الداخلية وتنوعها، فإنها لم تثنه عن القيام بنشاطات أخرى، من ذلك أنه ولى "محمد بن أبي المنظور الأنصاري" قضاء القيروان، وكان هذا الأخير من كبار أصحاب الحديث [6]، ومن ذلك أيضا أنه أي – المنصور– لعب دورا هاما في إعادة الحجر الأسود إلى مكانه، فنال بذلك سمعة طيبة على

---

[1] – **دار الصناعة بالمهدية**: بناها عبيد الله المهدي، وكانت في بناءها من عجائب الدنيا، وتقع شرقي قصر المهدي، وبها مراسي الأسطول . للمزيد عنها **ينظر : أبو محمد التجاني ، رحلة التجاني ، تق : حسن حسني عبد الوهاب ، ليبيا – تونس : الدار العربية للنشر والتوزيع ، 1415هـ–1981م ، ص 322–323.**

[2] – **عماد الدين إدريس ، المصدر السابق ، ص 351–352.**

[3] – **مرمول محمد صالح ، السياسة الداخلية... ، المرجع السابق ، ص99.**

[4] – **ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ط1 ؛ تونس : مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية ، 1286هـ–1869م ، ص56.**

[5] – **أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ، تح : إبراهيم طلاي ، ج1 ، قسنطينة – الجزائر : مطبعة البعث للنشر و التوزيع ، ص100–102 .**

(*) لكن وإن كانت سلبية على المذهب النكاري، إيجابية على المذهب السني المالكي، حيث استطاعت ثورة أبي يزيد الخارجي أن تهدد كيان الدولة العبيدية، من خلال إلحاق الخسائر المتتابعة، ما نجم عنها عدم الشعور بالأمن والاستقرار السياسي ببلاد المغرب، والتفكير في الانتقال إلى مصر، وبالتالي عودة النفوذ و القوة للمذهب المالكي التي ذاع صيته، وانتشر واعتنقه غالبية سكان المغرب وإفريقية.

و لمعرفة المناطق التي شملتها أحداث ثورات أبي يزيد الخارجي ببلاد المغرب الإسلامي، ينظر : الملحق رقم 10.

[6] – **علي محمد الصلابي ، الدولة الفاطمية ، المرجع السابق ، ص 55.**

مستوى العالم الإسلامي، حيث انتزعه القرامطة[1] من الكعبة سنة 317هـ/931م ونقلوه إلى الأحساء بالبحرين[2]، يقول "ابن الأثير" بهذا الخصوص في أحداث سنة 339هـ/951م : « وفي هذه السنة أعاد القرامطة الجحر الأسود إلى مكانه، وقالوا أخذناه بأمر وأعدناه بأمر، وكان قد بُذل لهم في رده خمسين ألف دينار فلم يجيبوا، وردوه الآن بغير شيء » [3].

من خلال ما تقدم يتضح أن هذا الخليفة قد بذل جهود جبارة في القضاء على ثورات الخوارج وتذليل الصعوبات التي كانت تواجه خلفاء الدولة العبيدية، ما انعكس إيجابا على الأوضاع الداخلية للدولة العبيدية، حيث أعاد لها هيبتها ومكانتها، ويعتبر المؤسس الثاني للدولة العبيدية.

توفي المنصور الشيعي في شوال عام 341هـ/953م بسبب برد وريح عظيمة أصابته مع جنوده وحاشيته، واعتل منها وتوفي وعمره 39سنة ومدة خلافته أكثر من سبع سنوات[4].

رابعا: المعز لدين الله أبو تميم سعد (341 – 362هـ/953–973م):

هو أبو تميم معد بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله، ولد بالمهدية في 11 من رمضان عام319هـ/931م [5]، عهد له والده بالخلافة بعده، وذلك يوم الجمعة من شهر شوال سنة 341هـ/953م، وولي وله اثنان وعشرون سنة[6].

---

[1] – **القرامطة:** اختلف المؤرخون حول القرامطة ، فمنهم من يقول أنهم كان لديهم رئيس قبطي من السواد يلقب "بقرطومة" فنسبوا إليه، ومنهم من يقول أن قرمطا كان غلاما لإسماعيل بن جعفر، فأحدث مقالاتهم وانتسبوا إليه وحملوا اسمه، ومنهم من يقول أن بعض دعاتهم شخص يقال له "كرمية " ثم خفف الإسم فقيل "قرمط" . **ينظر : محي الدين اللاذقي ، ثلاثية الحلم القرمطي ، ط1 ؛ القاهرة : مكتبة مذبولي للنشر و التوزيع ،1413هـ–1993م ، ص ص 24–25** .

[2] – **مرمول محمد صالح ، السياسة الداخلية... ، المرجع السابق ، ص102.**

[3] – **عز الدين ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المصدر السابق ، ج7 ، ص234.**

[4] – يذكر الذهبي على أن وفيات عام 341هـ/362م إسماعيل منصور العبيدي . **ينظر : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الإعلام بوفيات الأعلام ، تح : (مصطفي بن علي عوض ، ربيع أبو بكر عبد الباقي) ، ج1 ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : مؤسسة الكتب الثقافية للنشر و التوزيع ، 1413هـ–1993م ، ص234.**

[5] – **تقي الدين المقريزي ، إتعاظ الحنفا... ، المصدر السابق ، ج1 ، ص93** .

[6] – **ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 221.**

و بالرغم من قيام عدة ثورات ضده، إلا أنه تمكن من إخمادها بوسائل شتى سياسية وعسكرية، وكان عهده على العموم أزهى عهود الخلافة العبيدية في المرحلة المغربية، وامتد نفوذه على كامل بلاد المغرب ثم مصر و الشام والحجاز ، وهدَّد العباسيين في عقر دارهم، وأجبر الروم على طلب الهدنة[1].

دخل في أيامه اليهود إفريقية، وأصبحت مملكته إلى حدود مصر، ومن ثمة استطاع أن يتابع أحوال الحكام والأمراء في مصر عن كثب وأصبحت نفسه تسوِّل له الإستيلاء عليها، وتم له ذلك بموت "كافور الإخشيدي" عام355هـ/966م[2]، فاختار "جوهر الصقلي" قائدا لتلك الجيوش التي كانت تزيد على مائة ألف، وتحركت الجيوش العبيدية لنقل المذهب الباطني إلى مصر، ودخلها في جمادى الآخرة سنة 385هـ/969م، وجوهر الصقلي هذا هو الذي بنى الأزهر سنة 361هـ/972م لجعله منبرا لبث معتقداتهم الفاسدة[3].

وبعد توجه المعز إلى مصر واستقراره بها، أسند زعامة الشمال الإفريقي إلى الأمير الصنهاجي "بلكين بن زيري"[4]، وكان مع المعز في رحيله شاعره "محمد بن هانىء الأندلسي" الذي غالى في مدحه[5]، وقد كان المعز

---

[1] – **مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية ...، المرجع السابق ، ص ص 103– 104.**

[2] – يذكر المقريزي أن كافور الإخشيدي مات يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى الأولى لعام 355هـ/966م . **ينظر : المقريزي ، إتعاظ الحنفا... ، المصدر السابق ، ج1 ، ص96** .

[3] – **الطاهر أحمد الزاوي ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ط4 ؛ بيروت – لبنان : دار المدار الإسلامي للنشر و التوزيع ، 1425هـ– 2004م ، ص ص198–199.**

[4] – هو بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، كان زعيم قبيلة صنهاجة، وقد أمده المعز بالرجال والعتاد للاحتفاظ بإفريقية، فاستولى عليها وعلى المغرب الأوسط، وحكم إفريقية سنة361هـ/972م وكان مخلصا ومؤيدا للفاطميين بمصر، توفي في 21ذي الحجة سنة 373هـ/983م في مكان بين سجلماسة وتلمسان، وخلفه على المغرب ابنه المنصور. **ينظر : تقي الدين المقريزي ، إتعاظ الحنفا... ، المصدر السابق ، ج1 ، ص100** . ولمعرفة أحوال إفريقية في عهد بلكين الصنهاجي ، **ينظر : الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، تر : حمادي الساحلي ، ج1 ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : دار الغرب الإسلامي ، 1412هـ–1992م ، ص ص 69–73.**

[5] – من ذلك قوله في المعز:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

وكأنما أنت النبي محمد وكأنما أنصارك الأنصار

هذا الذي تجدي شفاعته غدا حقا وتخمد أن تراه النار

وغيرها من هذه الأقوال الكفرية، كان يسمعها خلفاء بني عبيد و لا ينكرونها . **ينظر: سعد موسى الموسى ، المرجع السابق ، ص32.**

وكذلك أجداده يستمعون إلى هذه الكفريات ولا ينكرونها ويقرونهم عليها، وكان استيلاء المعز على مصر تماما في سنة 362هـ/973م[1].

وقد حاول المعز أن يضم الأندلس السنية إلى بلاده، إلا أن خلفاءها تصدوا له ورفضوه، وإلى جانب إخماد الثورات الداخلية فإنه أصبح ضائقا بأهل كتامة في المغرب، وكان يُبدي ضجره من بلاد المغرب في أكثر من مناسبة، ومن ذلك قوله عند وفاة والده المنصور بالمغرب : « فامتحنني الله بفقده والإنفراد في الديار الموحشة، والقصور الخالية، والبلد المشاقق بين كل عدو و فاسق"[2]، وتوفي بالقاهرة في السابع من ربيع الأول سنة 365هـ/976م، ودامت ولايته بإفريقية ومصر ثلاثا وعشرين سنة، يقول المؤلف "الطاهر الزاوي" : « دامت دولة الفاطميين 260 سنة، منها اثنتان وخمسون سنة بالمغرب، وثماني سنوات بمصر، وعدد خلفاءها أربعة عشر خليفة...، وانقرضت الدولة الفاطمية من المشرق و المغرب، والملك لله وحده يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء » [3].

---

[1] – علي محمد الصلابي ، الدولة الفاطمية ، المرجع السابق ، ص 57.

[2] – أبو علي منصور العزيزي الجوذري ، سيرة الأستاذ جوذر ، تح : (محمد كامل حسين ، محمد عبد الهادي شعيرة) ، مصر : دار الفكر العربي للنشر والتوزيع ، 1373هـ–1954م ، ص73.

[3] – الطاهر الزاوي ، المرجع السابق ، ص204 .

الفصل الثاني:

ملابسات الصراع المذهبي ومظاهر محنة فقهاء المالكية بإفريقية

خلال الفترة (ق 3-4هـ/ 9-10م).

المبحث الأول: السياسة المذهبية العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي

أولا: نشر المذهب الإسماعيلي

ثانيا: قمع المذاهب الأخرى

1)-المذهب الخارجي

2)-المذهب المالكي

المبحث الثاني: أسباب الصراع المذهبي الشيعي –المالكي بإفريقية

أولا: الأسباب الدينية (عقائديا وفقهيا)

ثانيا: الأسباب السياسية

المبحث الثالث: مظاهر محنة فقهاء المالكية

أولا: الإنحرافات العبيدية

ثانيا: محنة فقهاء المالكية

الفصل الثاني: ملابسات الصراع المذهبي ومظاهر محنة فقهاء المالكية بإفريقية خلال الفترة (ق3–4هـ/9–10م).

تمهيد:

عرفت الفرق الإسلامية قيمة الدعاية منذ ظهورها كوسيلة للتعرف على مبادئ مذهبها و نشر أفكاره والدفاع عنه، كما استخدمتها أيضا في محاربة بعضها البعض وإن امتازت بالطابع الديني المتمثل في مجالس المناظرات[1]، إلا أنها لم تتوصل إلى ما حققته فرقة الإسماعيلية من وضع كيان سياسي ذات توجه مذهبي ببلاد المغرب الإسلامي.

وبنجاح هذه الأخيرة وقيام الدولة العبيدية، وضعت خطة محكمة في توجهها الديني المذهبي، القائم على ركيزتين اثنتين:

1- نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي ببلاد المغرب الاسلامي، وذلك لكسب السند الشعبي، وتقوية نفوذها السياسي.

2- قمع المذاهب الأخرى سواء من الخوارج بنوعيها (الإباضية والصفرية) أو السنة المالكية، مطالبة بحق الإمامة في آل البيت، والتستر وراءه لتولي زعامة العالم الإسلامي تحت هاته المظلة الشيعية الإسماعيلية.

[1] – فاطمة بلهواري ، المرجع السابق ، ص262 .

المبحث الأول: السياسة المذهبية للدولة العبيدية.

أوَّلا: نشر المذهب الإسماعيلي:

– تعدُّ الدعاية السياسية والمذهبية في مقدمة العوامل التي تساعد على نشر أي مبدأ من المبادئ، وتمكينه وغرسه وتهيئة الأفكار لتقبله، ولاشك أن المسلمون الأوائل عرفوا قيمة الدعاية السياسية (*) وأهميتها في تنوير الرأي العام والتعريف بمبادئ الإسلام السمحة، و الرد على الدعاية المضادة لهم[1]، ولكنها لم تتوصل إلى تنظيم جهاز للدعوة المذهبية والسياسية مثل ما وصلت إليه فرقة الإسماعيلية، التي جعلت لها هيئة خاصة على رأسها داعي الدعاة أو باب الأبواب[2]، وكل فرد في هذه الهيئة له مهمته المحددة[3].

لقد برع رجال الدولة العبيدية في هذا المجال، واستفادوا من مختلف الخبرات السياسية والمذهبية السابقة والمعاصرة لهم، واشتغلوا على ما وجدوه صالحا منها لنشر مذهبهم وإنجاح دعوتهم، واختاروا لهذه المهمة أمير الدعاة وفي مقدمتهم بالمغرب "أبو عبد الله الشيعي"[4].

وقد خصصت هيئة خاصة يترأسها داعي الدعاة، وكان يساعده اثنا عشر نقيبا في نشر تعاليم الدعوة، بحيث يستوجب نظام الدعاية الإسماعيلية على أتباعه أن ُيلموا بمختلف عقائد الفرق والمذاهب المعاصرة لهم[5].

وبذلك توصلت الفرقة الإسماعيلية إلى تنظيم أسلوب في الدعوة مشوب بأسرار دينية وبخطط سياسية ماهرة

(*) كانت الدعاية قديما في عهد الخلفاء الراشدين تتجسد في صورة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ما يحث عليه الدين الإسلامي لنشر الدعوة الإسلامية و التعريف بالإسلام لأمم الأرض، عكس فرقة الإسماعيلية التي جعلت من الدعاية مطية لها لبلوغ أغراضها السياسية ببلاد المغرب الإسلامي .

[1] – **مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية ، المرجع السابق ، ص129.**

[2] – **داعي الدعاة:** معناه عند الشيعة هو خازن علم الإمام ومستودع سره ، والواسطة بينه وبين أتباعه . **ينظر : محمد كامل حسين ، في أدب مصر الفاطمية ، القاهرة – مصر : مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة ، 1433هـ – 2012م ، ص42.**

[3] – **أبي حامد الغزالي ، المصدر السابق ، ص23 – 32.**

[4] – **مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية ... ، المرجع السابق ، ص129.**

[5] – الغالب على الظن أن هذا الشرط قد وضع حتى يكون الداعي منهم على دراية بخبايا عقائد المذاهب والفرق على تعددها واختلافها، كي يتسنى له عقد مجالس للمناظرات معها، كما اشترط أيضا فيه أن يكون قادرا على التمويه وتقمص عدة شخصيات. **ينظر : محمد كامل حسين ، المرجع السابق ، ص43.**

ماكرة[1]، وبذلك استطاعوا أن يجلبوا إلى صفوفهم آلاف الأتباع، وتمكنت الدعوة من النجاح في عهد عبيد الله المهدي، وذلك في الوقت الذي تخاذلت فيه الفرق الشيعية الأخرى عن القيام بأي عمل إيجابي، وقد سخرَّ هؤلاء العبيديون شتى الوسائل والطرق حتى الإسلام نفسه ومختلف العقائد الدينية الأخرى لخدمة الأغراض السياسية والمذهبية، و تفسير النصوص الشرعية (القرآن و السنة) تفسيرا يتماشى مع خدمة أغراضهم المذهبية[2].

إن أسلوب الدعاية الإسماعيلية قبل قيام الخلافة العبيدية يختلف ما بعد قيامها، فقبل قيامها لم يكن لها قوةعسكرية تساندها، بل اعتمدت في الغالب على الإقناع السلمي[3]، فحين جاء أبي عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب وجد الأمر ممهدا له، والمذهب الإسماعيلي سار فيهم خاصة قبيلة كتامة، فآثر السير على منوال سابقيه في الاعتدال والتدرج عند بث دعوته[4].

وقد أحكم أبو عبد الله الشيعي التصرف وفق هذه السياسة عند دخوله القيروان يوم السبت عشرة من شهر رجب 296 هـ/فبراير909 م، إذ منع جنوده من استباحة المدينة [5]، و بادر ببسط نفوذ المذهب سياسيا و عقائديا لكن بالتدرج، و استعمال أسلوب الود و الاحترام، حيث استقبل فقهاء و تجار هذه المدينة بود ظاهر، و أمنهم في أرواحهم و أموالهم لكسب تأييدهم له نظرا للمكانة الاجتماعية التي يتبوأونها في التأثير على العامة[6].

استمر أبو عبد الله الشيعي في غرس المذهب الإسماعيلي و تمكينه تدريجيا بين الأهالي، فحارب بعض

---

[1] – **ابن أيبك الداواداري ، المصدر السابق ، ص07.**

[2] – **كارل بروكلمان ، المرجع السابق ، ص251.** ولمعرفة المزيد عن تأويلات العبيديين للنصوص الشرعية، وتحريف معانيها وفق خدمة أغراضهم المذهبية. **ينظر : ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 150.**

[3] – **مرمول محمد الصالح ، المكانة التاريخية للشرق ...، المرجع السابق ، ص 109.**

[4] – **ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 221.**

[5] – **تقي الدين المقريزي ، اتعاظ الحنفا... ، المصدر السابق ، ج1 ، ص63 .**

[6] – **مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية ... ، المرجع السابق ، ص130.**

السلوكيات القبيحة لأهل المغرب كشرب الخمر الذي انتشر بينهم، فعاتبهم عليه بأمرهم بالكف عن ذلك(*)[1].

يبدوا أن الداعي قد فضل هذه السياسة من التدرج في نشر المذهب الإسماعيلي لأنه ألفه في مسيرته الأولى إلى أيكجان[2]، ورأى أن نجاح مثل هذه السياسة في استقطاب جموع غفيرة من أهل كتامة، وأهم الأعمال التي قام بها في نشر المذهب الإسماعيلي أنه أمر بإسقاط صلاة التراويح في رمضان لأنها من سنة عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه –، كما أمر بزيادة قول – حي على خير العمل – في أذان الفجر وقال لهم : « إعملوا بمذهب أهل البيت و اتركوا الفضول »[3].

لكن هذه السياسة أثارت غضب الناس، و أبدوا معارضة لمثل هذا التحريف والتبديل لأحكام تعاليم الدين الإسلامي، التي ورثوها صافية نقية من مذهبهم المالكي السني، القائم على اتباع هدي خير البرية محمد – صلى الله عليه وسلم – وصحابته الكرام – رضوان الله عليهم –، فأعلن سكان المغرب استنكارهم لمثل تلك الأعمال والأقوال الشنيعة[4]، و بذلك قد فتح على نفسه باب المعارضة التي كادت تعصف بأركان هذه الدعوة الشيعية ببلاد المغرب، إلا أن أبا عبد الله الشيعي تدارك الموقف بفضل قدراته الشخصية في الجدل و الإقناع و صنع

(*) و الملاحظ أن أسلوب الدعاية المذهبية الذي اعتمده الفاطميون لجلب الأنصار، قد مكنهم إلى حد بعيد من بلوغ أهدافهم السياسية، هذا الأسلوب الذي أثبت نجاعته في التفاف القبائل حولهم، ولعل تلك الشعارات البراقة التي حاول أبو عبد الله الشيعي وخلفاء الدولة العبيدية من بعده تمريرها بين أهل كتامة، قد لقيت تجاوبا كبيرا معهم كوصفهم "بالأخيار" و إشاعة الأخلاق الحميدة، وذلك لتمرير مشروع مذهبي اجتماعي يخرج عن حدود القبيلة الواحدة ليشمل كافة أقطار المغرب الإسلامي . وللمزيد **ينظر : رفيق بوراس : الأوضاع الإجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296–362هـ/908–972م) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف : محمد الصالح مرمول ، قسم التاريخ و الآثار ، كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية ، جامعة منتوري قسنطينة ، 1427هـ–2008م ، ص ص17 – 18** .

[1] – يذكر المؤلف "موسى لقبال " : " أن الداعي أبا عبد الله تستر بالتعليم لنشر المذهب الشيعي بين كتامة، واعتمد على تغيير المناكير لكسب مزيد من الأنصار". **ينظر : موسى لقبال ، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها) ، ط1 ؛ الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1391هـ–1971م ، ص ص46–47**.

[2] – **أيكجان**: جبل بين سطيف وقسنطينة، فيه قبائل كتامة، وبه حصن حصين ومعقل منيع. **ينظر : محمد عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ، ص 71–72**.

[3] – **ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1، ص 151– 152**.

[4] – و من أمثلة هذا الاستنكار قول ابن عذارى :" أن رجلا وقف عند القاضي المروزي – قاضي الشيعة – و قال له :" قد لطفت لنا أصلحك الله في قطع شهر رمضان، فلو أحللت لنا في ترك صيامه لكفيتنا مؤنته كلها !" و ذلك استهزاءا به و طعنا في مذهبه الشيعي . **ينظر : نفسه ، ص 152** .

الحيل و المكيدات من سحر و شعوذة كأساليب دعائية في نصرة مذهبهم الإسماعيلي[1].

و لما قدم عبيد الله المهدي من سجلماسة، شدَّد الخناق على مخالفيه أكثر من السابق وعمل على كبت معتقدهم[2]، حيث أمر دُعاته بالجلوس في المساجد و دعوة الناس إلى مذهبه بالقوة، فمن أجاب أحسنوا إليه، و من أبى عُذِّب أو قُتل[3].

لقد قامت سياسة عبيد الله المهدي في نشر المذهب الإسماعيلي على فرض المذهب بالعنف والقوة العسكرية، و هذه المرحلة الثانية من مراحل الدعوة و هي بعد قيام الدولة العبيدية، فقد تجرأ عبيد الله على الزيادة و النقصان في بعض أركان الإسلام، حيث أمر بصيام يومين قبل رمضان و القنوت في الجمعة قبل الركوع و الجهر بالبسملة في الصلوات الخمسة[4].

كما وجد قاضيه "محمد بن عمر المروزي"[5] الحرية المطلقة في بث أفكاره المنحرفة، و نكل بالفقهاء و العلماء المالكية، حتى كانت أيامه صعبة و خافه أهل السنة[6].

وتذكر المصادر التاريخية أنه حين استقر بعبيد الله المهدي قرار الملك، أشهر سيفه على المخالفين له، و أنفذ رسله في كل الأنحاء[7] متبعا أسلوب (الترغيب و الترهيب) في نشر مذهبه[8]،كما لم يغفل عبيد الله المهدي جانب

---

[1] – حيث يقول ابن الأثير : " إن أبا عبد الله الشيعي صنع من الحيل و المكيدات ما أذهل عقولهم و آتاه البربر من كل مكان و عظم أمره ..... ". **ينظر : عز الدين ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المصدر السابق ، ج6 ، ص451.**

[2] – **مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية ... ، المرجع السابق ، ص 131 .**

[3] – **تقي الدين المقريزي ، إتعاظ الحنفا ... ، المصدر السابق ، ج1 ، ص66.**

[4] – **ابن حماد ، المصدر السابق ، ص50– 52 .**

[5] – هو محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المروزي، كان في القديم من جند خراسان، عينه عبيد الله الشيعي قاضيا في القيروان، كان شديدا على علماء المالكية و أحدث الكثير من البدع في الأذان، و أسقط صلاة التراويح . **ينظر : ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص151 – 152.**

[6] – و من ذلك أن علماء أهل السنة اتخذوا طابع التستر و التخفي خشية نقمة دعاة الإسماعيليين، و ظهرت مقاومتهم في هيئة مجالس المناظرات تفاديا لمزيد من التشيع، كما خرجوا لاستقبال موكب المهدي فكان ذلك تقية منهم لما يمكن أن يحل بهم من خطوب . **ينظر : فاطمة بلهواري ، المرجع السابق ، ص 25– 26.**

[7] – إذ أن الدعايات الفاطمية قد بلغت في هذا الوقت ذروة نشاطها في المشرق والمغرب، أما في المشرق كان الشيعة الإمامية في فارس والعراق، أما في المغرب فقد اختار عبيد الله المهدي دعاة ونقباء ينشرون دعوته الشيعية في صفوف القبائل البربرية . وللمزيد **ينظر : محمود علي مكي ، التشيع في الأندلس إلى نهاية ملوك الطوائف ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، العدد 1–2 ، 1373هـ–1954م ، ص8 – 10.**

[8] – فذكر المؤرخون أن رجلا يدعى الشريف ومعه الدعاة، أحضروا الناس بالعنف و الشدة ودعوهم إلى المذهب الإسماعيلي، فمن أجاب أحسن إليه، ومن رفض قُتل، وكان ذلك يوم دخول عبيد الله المهدي القيروان وإعلان الخلافة العبيدية. **ينظر : تقي الدين المقريزي ، إتعاظ الحنفا ...، المصدر السابق ، ج1 ، ص66.**

التعليم لبث معتقداته الإسماعيلية، فقد كانت مكتبات العبيديين مملوءة بالكتب التي تخدم مذهبهم، كما نبغت بعض الشخصيات الإسماعيلية في فقه هذا المذهب في المرحلة الإفريقية مثل: القاضي المروزي والقاضي النعمان[1]، وهذا نتيجة العناية و التشجيع من طرف الخلفاء العبيديين في المرحلة الإفريقية [2].

غير أننا نلاحظ بأن سياسة نشر المذهب بالقوة، طرأ عليها بعض الاعتدال في عهد كل من المنصور و المعز، وخاصة بعد ثورة "صاحب الحمار"، حيث رأوا أن مثل هذه السياسة القائمة على الاضطهاد و الإرغام على المذهب بالقوة، نتجت عنها قيام العديد من الثورات ضد الحكم العبيدي [3]، فخافوا من زوال ملكهم فاتبعوا سياسة المهادنة و الدعوة إلى المذهب الإسماعيلي بطريقة سلمية لتأليف القلوب و تحقيق بعض الإستقرار[4].

وعليه قد امتاز المذهب الإسماعيلي عن غيره من المذاهب الشيعية بدقة التنظيم، وبرع رجاله في تقمص أدوار دينية و سياسية عالية، كان لها الأثر الفعال في نشر تعاليم هذا المذهب بعيدا عن أعين الخلفاء العباسيين، وقد سخروا كافة الوسائل و الأساليب حتى الإسلام نفسه لصبغ مذهبهم بالصبغة الشرعية ما نتج عنه قلب أنظمة الحكم ببلاد المغرب الإسلامي، وتعرضت المذاهب الإسلامية المتواجدة آنذاك لقمع وضيق شديد كادت أن تعصف بهم، لولا تناقض أفكار العبيديين وانحرافاتهم العقدية التي زادت من بيان محاسن المذهب المالكي و التمسك به أكثر من السابق.

---

[1] – هو القاضي أبو حنيفة النعمان ابن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون المغربي التميمي، ولد في القيروان سنة 344هـ/955م، وكان من أبرز فقهاء الدولة العبيدية في عهدها المغربي، وتولى منصب قاضي القضاة، وحضي بمنزلة رفيعة داخل القصور العبيدية في المغرب و مصر، وقد صنف عدة مؤلفات تخدم المذهب الإسماعيلي، و التي أوضحت الثقافة الإسماعيلية ومصادرها المتنوعة، توفي سنة 389هـ/999م . **ينظر : ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج5 ، ص415 – 423.**

[2] – **حسن إبراهيم حسن ، طه أحمد شرف ، المرجع السابق ، ص ص256 –261.**

[3] – لمعرفة تفاصيل أحداث الثورات التي قامت في عهد المهدي، **ينظر : القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص195–197.**

[4] – **محمد حسين الأعظمي ، عبقرية الفاطميين – أضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين– ، القاهرة – مصر : منشورات مكتبة دار الحياة ، ص86.**

ثانيا: قمع المذاهب الأخرى:

بعد إعلان عبيد الله المهدي الخلافة بالقيروان، وأصبح يملك قوة عسكرية متمثلة في جيشه الذي استطاع أن يسحق به كافة خصومه، بات شغله الشاغل في التفكير في نشر مذهبه الإسماعيلي، واتبع في ذلك مختلف الوسائل لكنها باءت بالفشل، فعمد إلى أسلوب آخر من أساليب نشر المذهب وهي مقاومة غيره من المذاهب المنتشرة في بلاد المغرب الإسلامي عامة وإفريقية خاصة، وذلك من أجل فرض مذهبه بالقوة وفق ما يخدم تقوية نفوذ الدولة وخدمة مصالحها السياسية تارة، وخلق نوع من القطيعة المذهبية بين أهل المغرب ومذهبهم المالكي ليخلوا لهم الجو لكسب أنصار جدد للدعوة تارة أخرى، وسنحاول هنا معرفة الأساليب التي اتبعها العبيديون في قمع المذاهب الأخرى وخاصة الخوارج و المذهب المالكي السني، وهل نجحوا في ذلك أم لا ؟

1) المذهب الخارجي:

لقد عمل العبيديون على فرض وجودهم المذهبي والسياسي في بلاد المغرب بالتضييق على أتباع المذاهب الأخرى، و خاصة قمع المذهب المالكي و الخارجي كونها الأكثر المذاهب انتشارا واعتناقا من طرف سكان بلاد المغرب الإسلامي، وبذلك جاء موقفهم في ذلك محاولين تخلية الجو لنشر مذهبهم بكل يسر و سهولة دون التعرض لمعارضة أي معارض من قبل المذاهب السالفة الذكر، فجاء موقفهم من الخوارج بقسميها الإباضي[1] والصفري[2] بالاضطهاد والتنكيل بهم[3]، فقد قمعوا الخوارج الصفرية بسجلماسة سياسيا ومذهبيا منذ أن استولى

---

[1] – **الإباضية:** فرقة من الفرق الإسلامية، يرجع بروزها إلى النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وتنسب إلى عبد الله ابن إباض التميمي، واشتهرت الإباضية ضمن فرق الخوارج إلا أنها انشقت عنها لما ظهر غلو بعض المتطرفين من الخوارج، كما انشقت هذه الفرقة على نفسها بعد أن أصبح لها كيان سياسي في بلاد المغرب، فأنكر قوم منهم إمامة عبد الوهاب الرستمي، و الذين انضموا تحت طاعة إمامهم عبد الوهاب عرفوا بالوهابية، وهنالك فرق عديدة انشقت عن فرقة الإباضية أهمها : الحفصية ، اليزيدية .....للمزيد عن هذه الفرقة **ينظر : أبي الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج1 ، صيدا – بيروت : المكتبة العصرية للنشر والتوزيع ، 1411هـ–1999م ، ص183، 185. وينظر أيضا : محمود إسماعيل عبد الرازق ، المرجع السابق ، ص ص50 – 75.**

[2] – **الصفرية** : فرقة من الخوارج، هم أتباع زياد بن الأصفر، بينما البلاذري ينسبها إلى عبد الله بن صفار، وقد إتجه هذا الخارجي نحو المناطق الصحراوية خاصة لبث دعوته، واستقر في واحة تفيلالت، وتمتاز مبادئه بالغلو والتشدد . وللمزيد عن هذه الفرقة **ينظر : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص134. وينظر : محمود إسماعيل عبد الرازق ، الخوارج ببلاد المغرب الإسلامي ، المرجع السابق ، ص ص 44–55.**

[3] – **مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية... ، المرجع السابق ، ص 139 .**

أبو عبد الله الشيعي عليها سنة296هـ/910م، حيث نهب المدينة وأحرقها بالنار[1]، وقد قام السجلماسيون عدة محاولات ضد العبيديين بدافع الخصومة السياسية والمذهبية ولكن خصومهم العبيديين قضوا عليها بكل عنف وقسوة[2].

ومن جهة أخرى كان موقف العبيديين من الخوارج الإباضية بتاهرت أقسى وأعنف أيضا، وذلك منذ أن استولى الشيعي أبي عبد الله على عاصمتهم، حيث أطلق العنان لجيشه يفعل فيها ما يشاء، كما أمر عبيد الله المهدي بحرقها أيضا سنة 299هـ/649م، يقول ابن عذارى المراكشي : « وحوربت أهلها – تيهرت – ثلاثة أيام، ثم أخذوا بالكيد، ودخلت العساكر تيهرت سنة 299هـ/649م فقتلوا الرجال، وسبوا النساء والذرية، وانتهبوا الأموال، وحرقوا المدينة بالنار، وبلغ عدد القتلى بها ثمانية آلاف رجل »[3].

بالرغم من القتل والتشريد الذي تعرض له علماء الإباضية على أيدى العبيديين كما تعرضوا من قبل لاضطهاد – بني الأغلب –، فإنهم بقوا محافظين على ثقافاتهم المذهبية متضامنين فيما بينهم، و في خلافة المعز العبيدي تنفس الخوارج الصعداء، حيث سلك سياسة اللين و التفتح مع خصومه في مختلف المجالات [4]، غير أن المعز العبيدي كان في نفس الوقت حذرا من علماء الخوارج (*) فراقب تحركاتهم و فتك بالبعض منهم لما شك في نواياهم، وبقتل أحد علمائهم قامت الثورة الوهابية سنة 358 هـ/ 969 م بزعامة أبو خزر الزناتي[5]، و كان

---

[1] – **ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 153.**

[2] – **عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ، ص47 .**

[3] – وهذا يبين مدى فضاعة سياسة العبيديين في إباحة القتل و الإبادة لكل من ينتمي لغير طائفتهم، و ما رأيناه سابقا من إتباعهم سياسة اللين في نشر مذهبهم ما هو إلا تقية منهم وحين سنحت لهم الفرصة نكلوا بأهل المغرب لإرغامهم الدخول في مذهبهم بالقوة . **ينظر : ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 166.**

[4] – **مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية ... ، المرجع السابق ، ص140.**

(*) إن السياسة التي اتبعها خلفاء بني عبيد تجاه المذاهب الأخرى وخاصة العلماء منهم، مندرجة ضمن إتباع مبدأ التقية وهو من أهم مبادئ الطائفة الإسماعيلية، وذلك لعلهم يستجلبونهم إلى المذهب الإسماعيلي لزيادة نفوذه بين سكان أهل المغرب، أو على الأقل لدرء انتقاد علماء أهل السنة لمذهبهم الفاسد، و ذلك قصد الحفاظ على قداسته بين أهل المغرب .

[5] – **الدرجيني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص126–131 .**

يقطن الحامة في إقليم قسطيلية، و كان على مذهب الإباضية الوهابية[1]، غير أن المعز تمكن من إخمادها، و لاحقهم بعد ذلك في كل مكان[2].

و على هذا نستنتج أن الخلفاء العبيديين قد بذلوا جهدهم في قمع المذهب الخارجي، خاصة و معرفتهم بتاريخ هذا المذهب و أهم المبادئ التي يرتكز عليها، التي من أساسها الخروج على الأئمة إن جاروا أو ظلموا، فخوفا على زعزعة كيانهم السياسي جعل الخلفاء العبيديين يتصدون لهذا المذهب، و سخرو كافة الوسائل من قتل و تنكيل من أجل إخماد ثورات الخوارج، قصد إخلاء الجو للمذهب الاسماعيلي أن يشق طريقه في الإنتشار حتى يشمل معظم بلاد المغرب الإسلامي.

2) المذهب المالكي:

بقدوم بني عبيد إفريقية، راحوا يسلطون ألوان القمع و الإضطهاد لكل من يتصدى لبيان انحراف مذهبهم العقدي و يحاول زعزعة كيانهم السياسي، ولقد تلقى المالكية بصفة خاصة ضربات عبيدية خطيرة كادت تعصف بثراتهم ومذهبهم المالكي، لكن هؤلاء الآخرين لم يتخلوا عن مسؤوليتهم، وقاوموا الظلم والتسلط فتعرضوا لغضب الحكومة العبيدية وبطشها، لكن الأغلبية من هؤلاء العلماء ظلت وفية لمبادئ الإسلام الصحيحة، متمسكة بمذهب مالك السني[3].

أما بالنسبة لما انتهجه العبيديون في هذا الصدد، أنه بمجرد أن دخل عبيد الله إفريقية وجه أنظاره بالدرجة الأولى لقمع المذهب المالكي و التضييق عليه كونه يمثل دين الأغلبية الساحقة، ويمكن تلخيص سياسة العبيديين في قمع المذهب المالكي في النقاط التالية:

1- منع العلماء من التدريس في المساجد و نشر العلم وفق المذهب المالكي، وكانوا يمنعوهم من التحلق

[1] - فاطمة بلهواري ، المرجع السابق ، ص 322 .

[2] - مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية... ، المرجع السابق ، ص 141.

[3] - نفسه ، ص 141.

والاجتماع بالطلبة، ويحبسوهم في بيوتهم : « وغلظ الأمر على المالكية من هذا الحيز، ومنعوا من التحليق والفتيا، فكان من يأخذ منهم ويتذاكر معهم إنما يكون سرا، وعلى حال خوف ورقبة »[1]. وبهذا أقفرت بيوت الله من العلم، وركد سوق المذهب المالكي بإفريقية.

2 – مصادرة كتب ومؤلفات أهل السنة وخاصة من المالكية، ومنع الناس من الانتفاع بها، وذلك نكالا منهم بالمذهب المالكي وأهله وتضييقا عليه لعلهم ينحازون إلى مذهبهم العبيدي، وهذا ما جرى مع الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي هاشم مسرور التجيبي المعروف "بابن الحجام" ، يقول عنه الشيخ أبو الحسن بن القابسي: « ترك أبو محمد سبعة قناطير كتب بخط يده، وإنه لما توفي رفع جميعها إلى سلطان الوقت، فأخذها ووضعها في القصر، ومنع الناس منها كيدا للإسلام وبغضا فيه »[2].

هذه السياسة العامة التي ارتكز عليها خلفاء بني عبيد الشيعة بإفريقية لقمع المذهب المالكي و محاولة القضاء عليه، أجملتها هنا في مجموعة نقاط أساسية وسيأتي معنا بالتفصيل عن تلك الجرائم التي مارسها العبيديون في حق الفقهاء المالكية بإفريقية من قتل وتنكيل واضطهاد، ومحاولة منهم للقضاء على هذا المذهب وهذا ما سنراه في محنة فقهاء المالكية بإفريقية.

---

[1] – القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي ، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ج5 ، تح : محمد بن شريفة ، المملكة المغربية : وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، ص121.

[2] – أبي بكر المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص423.

المبحث الثاني: أسباب الصراع المذهبي الشيعي – المالكي بإفريقية.

إن أي صراع مذهبي حدث قديما و يحدث حديثا، إلا وتكمن بين طياته جملة من الأسباب بمثابة الدافع و المحرك لهذا الصراع، وقد تضافرت جملة من الأسباب أسهمت في توسيع هوة الخلاف بين الشيعة العبيدية والسنة المالكية بإفريقية إبان العصر الإسلامي، والسؤال المطروح هنا: فيما تكمن هذه الأسباب والدواعي في نشوء مثل هذا النوع من الصراع القائم بين المالكية والشيعة بإفريقية؟

أوَّلا : الأسباب الدينية (عقائديا و فقهيا):

إنّ ذلك الصراع المذهبي العنيف الذي جرى بين العبيديين والمالكية بإفريقية، كان أمرا طبيعيا نظرا للإختلاف المذهبي الديني بشقيه سواء من الناحية العقائدية أو من الناحية الفقهية بين المذهبين المالكي و الإسماعيلي[1].

فمن مبادئ الطائفة الإسماعيلية العبيدية : عقيدتهم في تأويل النصوص الدينية تأويلا باطنا في سبيل إقرار مذهبهم[2]، فالعلم في نظرهم علمان: علم الظاهر و علم الباطن، وقد علم الرسول – صلى الله عليه وسلم – العلمين معا لعلي –رضي الله عنه– الذي وَّرثهما بدوره إلى الأئمة من أبناءه، فترتب عن ذلك أن أوَّلوا القرآن الكريم تأويلات مجازية توافق نظريتهم الشيعية، وبعض تلك التأويلات تحمل آراء جد خطيرة خارجة عن الإسلام[3]، حيث يرى المؤلف "محمد أبو زهرة" أن بعضا من اعتقاداتهم في التأويل كانت من الخطورة إلى حد الذي كانوا يسترون كثيرا منها، ولا يعلنون عنها إلا بالقدر الذي تمسح به الظروف بإعلانه[4].

ومن مبادئهم العقائدية التي أخذت بالأفلاطونية الحديثة، ذلك الجانب الذي يتعلق بالأسماء والصفات التي وردت في القرآن الكريم، فقد جعلوها "العقل الكلي" الذي أشار إليه الفلاسفة الذي في زعمهم أنه "المبدع

---

[1] – يوسف بن أحمد حواله ، الحياة العلمية في إفريقية " المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90/450هـ) ، ج2 ، ط1 ؛ مكة مكرمة : مركز البحوث و الدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى ، 1421هـ–2000م ، ص67.

[2] – حسن إبراهيم حسن ، طه أحمد شرف ، المرجع السابق ، ص286 .

[3] – أحمد أمين ، فجر الإسلام ، القاهرة – مصر : مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة ، 1433هـ–2012م ، ص 292.

[4] – محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد و تاريخ المذاهب الفقهية ، ج 1 ، القاهرة – مصر : دار الفكر العربي للنشر و التوزيع ، ص 52.

الأول" الذي أبدع النفس الكلية.....الخ نظريتهم تلك[1]، وقد أثارت حفيظة المغاربة الذين رأوا في ذلك كفرا بواحا.

ومما يُذكر في هذا الباب، أن عبيد الله المهدي منذ جلس على عرش الخلافة راح يعلن عن تعاليم مذهبه العقدية، بواسطة بث دعاته في كل الأنحاء ليعلنوا أن المهدي رسول ونبي قبل كل شيء، وهذا ما أوغر صدور العلماء المالكية عليه[2]، خاصة بعد انتشار مقالته بين الناس فكانوا يقولون عند قسمهم: "وحق عالم الغيب والشهادة، مولانا المهدي الذي برقادة"[3] وغيرها كثير.

أما أهم المبادئ الفقهيه التي تميز بها المذهب العبيدي وأثارت تطبيقاتهم العملية ثائرة العلماء المالكية بإفريقية ، تلك التي تتعلق بجانب العبادات، فمن بين تلك القضايا : إبطال صلاة التراويح و إسقاط عبارة – الصلاة خير من النوم – من صلاة الفجر، وزيادة عبارة – حي على خير العمل – في الآذان، و الجهر – بالبسملة – في الصلاة، و زيادة – القنوت – في صلاة الجمعة في الركعة الثانية، و إبطال صلاة الضحى، وزيادة – تكبيرة خامسة – في صلاة الجنازة...، وتأخير الصلوات عن أوقاتها .....الخ [4].

إضافة إلى هذا كله، أن التشريع الشيعي العبيدي يخالف الفقه السني عموما و الفقه المالكي خصوصا مخالفة تكاد تكون مطلقة، فالعبيديون يرون سقوط الطلاق البتة و المراد به ثلاث بلا رجعة، و أحاطوا البنات بالميراث في وجود إبن الإبن [5]، و أباحوا نكاح المتعة ...الخ [6].

---

[1] – **محمد كامل حسين ، المرجع السابق ، ص 40.**

[2] – **عبد العزيز المجذوب ، المرجع السابق ، ص ص 169–170** .

[3] – حيث يذكر ابن عذارى أمثلة كثيرة عن تلك القداسة التي كان يدعو إليها عبيد الله ولمعرفة المزيد عن ذلك ، **ينظر : ابن عذراى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص159 – 160.**

[4] – **عبد الله بن محمد المالكي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 41–43** . و للمزيد عن انحرافات العبيديين الدينية بإفريقية، **ينظر : عبد العزيز المجذوب ، المرجع السابق ، ص ص 176 – 178.**

[5] – **نفسه ، ص 178 – 179.**

[6] – **يوسف بن أحمد حواله ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 74.**

هذه بعض ممارسات العبيديين سواء في الجانب العقدي أو الفقهي، والتي رأيناها أنها لا تمت بصلة إلى الدين الإسلامي على وجه العموم والمذهب السني المالكي على الخصوص، فكانت هذه التصرفات العبيدية سببا مباشرا في اضطراب الأوضاع بإفريقية، وقيام السنة المالكية في وجه الدعوة العبيدية الغريبة ببلاد المغرب الإسلامي.

ولا شك أن هذه العقيدة الشيعية قد أساءت إلى أهل افريقية، وخاصة علمائها من المالكية وهم المحافظون والمتمسكون بالسنة قولا وعملا، حيث رأوا ما لم يألفوه وما لم يكن يتماشى والمعرفة الدينية السائدة[1]، ما جعلهم يقفون في وجه العبيديين موقفا عدائيا، مبررين ذلك بما ذكره "الدباغ" في كتابه "معالم الايمان" وهي أحد خطبة علماء القيروان يحرِّض فيها الناس على الثورة و الانضمام إلى حركة أبي يزيد ويفسر ذلك بقوله : « يا أيها الناس جاهدوا من كفر بالله، وزعم أنه رب من دون الله، وغيرَّ أحكام الله عز وجل، وسب نبيه وأزواج نبيه – عليه الصلاة والسلام – »[2].

ثانيا : الأسباب السياسية:

وهذا سبب آخر من أسباب الصراع المذهبي الشيعي – المالكي بإفريقية، ويبقى دائما الطرف المفتعل له هم العبيديون، فقد رأينا سابقا تلك العقائد الغريبة لدى الشيعة الإسماعيلية والتي لا تمت إلى المذهب المالكي السني بصلة، وسأذكر هنا نظرية العبيديين من الناحية السياسية وشؤون الحكم و المغايرة تماما لما كان عليه الحكم في إفريقية.

فيرى الإسماعيلية بل ومعظم فرق الشيعة أن الإمامة تعد أصلا من أصول الدِّين، بل هي ركن الدِّين وقاعدة الإسلام، وهي واجبة بالتعيين والتنصيص وليس بالاختيار كما يذهب إليه أهل السنة والجماعة.

كما يرون جميعا – أي الشيعة – أن الإمامة وراثية إلى يوم القيامة في الوصي علي بن أبي طالب – رضي

---

[1] – الطاهر المنصوري ، علماء القيروان أمام المذهب الفاطمي ، ضمن كتاب الصراع المذهبي ببلاد المغرب ، تنسيق : حسن حافظي علوي ، الدار البيضاء – المغرب : كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط ، 1429هـ– 2008م ، ص44.

[2] – عبد الرحمان الدباغ ، المصدر السابق ، ج3 ، ص33.

الله عنه – وفي ذريته، بمقتضي حديث – غدير خُم– الذي نسبه الشيعة إلى الرسول – عليه الصلاة و السلام –[1].

ولقد رافق هذا المبدأ الخاص بالإمامة أربعة مسائل نشأت نتيجة له، وتلازمت معه، وهي العصمة أي عصمة الأئمة، والمهدوية والرجعة وهي متعلقة بالمهدي، ثم التقية[2] وهي ذات شأن عظيم عند الشيعة الإسماعيلية بالذات[3].

ولقد دفع هذا الاعتقاد في مسألة الإمامة فرقة الشيعة وخاصة الإسماعيلية العبيدية، إلى الطعن في خلافة الخلفاء الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم –، فضلا عن طعنهم في خلافة الأمويين والعباسيين، ولم يستثنوا سوى نفر يسير من الصحابة[4].

ومما يلحق بمسألة الإمامة "الولاية"، وهي إحدى الدعائم السبع عند الإسماعيلية، وقد كان لها دور خطير عند المعتقد الشيعي العبيدي، فلقد رأوا أنها أفضل دعائم الإسلام، ويقتضى مبدأ الولاية بوجوب اتباع الأئمة وأوامرهم والخضوع التام لهم، وليس مجرد محبتهم فحسب[5].

ولقد قام مبدأ الولاية عندهم على ثلاثة أسس:

---

[1] – **يوسف بن أحمد حواله ، المرجع السابق ،ج2 ، ص68. وعن مسألة الإمامة عند الشيعة الإسماعيلية ينظر : برنارد لويس ، المرجع السابق ، ص ص83–96.حسن إبراهيم حسن ، طه أحمد شرف ، المرجع السابق ، ص ص280–283.**

[2] – **التقية:** معناه الكتمان و السرية، وهو مصطلح يكثر تداوله عند الشيعة، ومعناه عندهم أن الأئمة من أئمتهم لا يفصحون عن تعاليم مذهبهم في حضرة الفرق الأخرى من سب للصحابة و القول بعصمة أئمتهم وغيرها....، وقد تكلم العلماء من أهل السنة و الجماعة في التقية و أحكامها، تتلخص بأنها تشرع و تجوز عند خوف المسلم على دينه أو نفسه أو ماله إذا كان بين أظهر الكافرين الغالبين، إذا أكرهوه على ذلك، فيظهر لهم بلسانه وظاهره ما يدفع به عن نفسه ضرهم و شرهم، وللمزيد **ينظر : فلاح بن إسماعيل بن أحمد ، العلاقة بين التشيع و التصوف ، رسالة دكتوراه في العقيدة ، إشراف : عبد الله بن محمد الغنيمان ، قسم الدراسات العليا ،كلية الدعوة و أصول الدين ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، المملكة العربية السعودية ، 1411هـ–1990م ، ص ص240–252.**

[3] – **محمد أبو زهرة ، المرجع السابق ، ص ص47–50.**

[4] – حيث يذكر ابن عذارى أسماء النفر من الصحابة الذين يستثنون وهم : على بن أبي طالب و المقداد بن الأسود و عمار بن ياسر و سلمان الفارسي و أبي ذر الغفاري – رضي الله عن جميع صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام – . **ينظر : ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 159 . يوسف بن أحمد حواله ، المرجع السابق ، ج2 ، ص69.**

[5] – **القاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي ، دعائم الإسلام وذكر الحلال و الحرام و القضايا و الأحكام ، تح : آصف بن علي أصغر فيضي ، ج1 ، القاهرة – مصر : دار المعارف للنشر و التوزيع ، 1383هـ–1963م ، ص24.**

1. الفيض الإلاهي: وهي عندهم فضل الله على أئمتهم من العلم والمعرفة.
2. مبدأ الإستتار: أو نظرية المهدوية، وأن الإمام لا يلزم أن يكون ظاهرا، وهي التي تلقب بها عبيد الله بإفريقية.
3. عصمة الأئمة: فالإمام عندهم معصوما من الخطأ، ولا يحاسبه أحد وتجب طاعته دون معرفة أوجه تصرفاته[1].

ومهما يكن من أمر، فإن بعض من الباحثين يرى أن السبب في ذلك هو تأثر الشيعة الإسماعيلية بالأفكار والنظريات الفارسية والهندية القديمة ، و الفلسفة الإغريقية المبنية على الرجعة والتناسخ والحلول.....إلخ[2].

كما لا ننسى سببا سياسيا مهما إضافة إلى هذه الأسباب، كون أن علماء المذهب المالكي كانوا يُدينون أي شكل من أشكال التمرد على السلطة حتى ولو جارت، فكانوا يرون أن الفاطميين غاصبون للسلطة ، وعليه أي موقف يصبغ الشرعية على الفاطميين يعتبر خروجا عن المذهب المالكي السني إن لم يكن مروقا من الدين[3] و كانوا ينعتون ذلك بعبارة التشريق[4].

---

[1] – **محمد أبو زهرة ، المرجع السابق ، ص ص 47–50.**

[2] – **يوسف بن أحمد حواله ، المرجع السابق ، ج2 ، ص71.**

[3] – **الطاهر المنصوري ، المرجع السابق ، ص46.**

4– كان فقهاء المالكية ينعتون عبيد الله وأتباعه من الشيعة بعبارة المشارقة، أي لقدوم دعوتهم من المشرق . للمزيد **ينظر : نفسه ، ص46.**

4

المبحث الثالث: مظاهر محنة فقهاء المالكية بإفريقية.

ما إن استقامت الأمور للدولة العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي عامة وإفريقية خاصة، حتى راح خلفاؤها يبذلون قصارى جهدهم وبشتى الوسائل لنشر المذهب الإسماعيلي، ومحاولة فرضه على أهل افريقية، خاصة وأن هذه الأخيرة قد توطد فيها المذهب المالكي السني و المناهض للمذهب الإسماعيلي، ما نجم عنه أن سجل العبيديين في تاريخهم سجلا حافلا بأنواع الاضطهاد والفتك للفقهاء المالكية بإفريقية، وهذا ما سنحاول الكشف عنه في هذا المبحث بخصوص انحرافات وجرائم العبيديين ببلاد المغرب الإسلامي عامة والقيروان خاصة، وتعرض الفقهاء المالكية لمحنة تاريخية لم تشهد بمثلها طيلة وجوده ببلاد المغرب الإسلامي.

أوّلا: الإنحرافات العبيدية:

إن المتتبع لأحداث تلك الفترة العبيدية وخاصة الممتدة بين عامي 297-310هـ/910-922م، سيلاحظ أنها كانت فترة صعبة الوطأة على أهل السنة ببلاد المغرب الإسلامي عامة وعلماء المالكية بإفريقية خاصة، فقد أخذ العبيديون يطبقون بكل شدة تعاليم مذهبهم السياسية والعقائدية والفقهية[1]، ولقد ارتكب هؤلاء الشيعة في أهالي افريقية من أهل السنة المالكية ما تشيب منه مفارق الولدان[2]، وكرَّسوا جهودهم لإماتة السنة ونشر البدع، مستعملين في سبيل ذلك أخسَّ الوسائل، فتعرض الناس في عهدهم لظلم عظيم وضيق شديد[3]، ويمكن أن نلخص في النقاط التالية انحرافاتهم الدينية وما نجم عنها في حق أهل إفريقية عامة، وفي حق العلم وحملته خاصة:

1- لقد ادَّعى عبيد الله الرسالة، فإنه لما وصل إلى ُرقادة أرسل إلى القيروان من أتاه بفقهين فاضلين، فلماوصلا إليه وجداه على سرير ملكه جالسا وعن يمينه أبو عبد الله الشيعي وعن يساره أبو العباس أخوه، فلماً وقفا بين يديه قال لهما أبو عبد الله وأبو العباس : أتشهدان أن هذا رسول الله – وأشار إلى عبيد الله – فقالا جميعا بلفظ واحد: والله الذي لا إله إلا هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان إنه رسول الله ما قلنا

---

[1] – يوسف بن أحمد حواله ، المرجع السابق ، ج2 ، ص79.

[2] – محمد علي الصلابي ، الدولة الفاطمية ، المرجع السابق ، ص59.

[3] – الحسين محمد شواط ، المرجع السابق ، ج1 ، ص71.

أنه رسول الله، فأمر عبيد الله حينئذ بذبحهما جميعا[1]، بل غلا فيه أصحابه حتى أَلَّهوه، فقد كانت أيمان كتامة أوَّل دخولهم إفريقية "وحق عالم الغيب والشهادة، مولانا المهدي الذي برقادة!"[2]....

2 – لقد كان شعراء الدولة العبيدية، يمدحون خلفاءها بشعر فيه الغلو وأنواع من الزندقة، وكانوا يقرُّونهم عليها ولا ينكرونها[3]....

3– أظهروا سب الصحابة – رضي الله عنهم –، وقاموا بأشنع عمل في التاريخ أن علقوا عظام ورؤوس أكباش وغيرها على أبواب الحوانيت والدروب، عليها قراطيس معلقة فيها أسماء يعنون بها رؤوس الصحابة – رضي الله عنهم – [4]....

4 – أحدثوا بدعا في الأذان والصلاة، منها أن زادوا في الأذان — حي على خير العمل – ، و أسقطوا – صلاة التراويح – وليس شيء أشدَّ على بني عبيد من هذه الصلاة[5]....

5 – إجبار الناس على الدخول في دعوتهم بالقوة، فمن أجاب تركوه ومن رفض ُقتل، وهذا ما يذكره المؤرخ "ابن الأثير" فيقول : « ووصل عبيد الله المهدي إلى رقادة سنة سبع وتسعين ومائتين، وجلس بعد الجمعة رجل يعرف بالشريف ومعه الدعاة، وأحضروا الناس بالعنف والشدة، ودعوهم إلى مذهبهم، فمن أجاب أحسن إليه، ومن أبى ُحبس...، و ُقتل الكثير ممن لم يوافقهم على قولهم » [6]....

---

[1] – **أبي بكر المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص49.**

[2] – **ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 208.**

[3] – منها قول شاعرهم ابن هانئ الأندلسي :

حل برقادة المسيح	حل بها آدم ونوح
حل بها أحمد المصفى	حل بها الكبش والذبيح
حل بها الله ذو المعالي	وكل شيء سواه ريح

ينظر : نفسه ، ص 160–184.

[4] – **عبد الرحمان الدباغ ، المرجع السابق ، ج3 ، ص32.**

[5] – **التيجاني ، المصدر السابق ، ص 266.**

[6] – **عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، المصدر السابق ، ج6 ، ص460–461.**

6 – لما ولي العبيديون الحكم بإفريقية، قاموا بطمس ومحو آثار من سبقهم من أمراء بني الأغلب، وخاصة من الناحية العمرانية، حيث أمروا أن يُزال من الحصون والمساجد إسم الذي بناها، وأن يكتب عليها اسم المهدي عبيد الله، كما أمروا بأخذ أموال الأحباس والحصون وذلك لقطع صلة أهل افريقية بماضيها وإرثها السني، وإحلال المذهب الشيعي بها [1]...

وعليه كانت هذه بعض تجاوزات العبيديين العقدية والفقهية وحتى السياسية، فوقف بذلك العبيديين ضدَّ كل نشاط مذهبي، وحدوا من حرية الفكر التي بعثها الأغالبة بإفريقية، فاليوم لا مذهب إلا مذهبهم، هذا المذهب الذي لا يعرف تأويله إلا هم، وهذا الدِّين العبيدي الذي لا يفهم سره سواهم[2]، لكن رغم كل هذا ظلَّ أئمة المالكية صابرون محتسبون على ما لقوه من جراء هذا التحريف العبيدي، فقد كانوا يُمثلون الفئة الغالبة في إفريقية ولهم مكانة دينية خاصة في نفوس أتباعهم، وهذا ما سنراه حول محنة فقهاء المالكية بإفريقية في ظل الإظطهاد العبيدي.

ثانيا: محنة فقهاء المالكية:

شنَّ العبيديون حربا شعواء ضد الفقهاء المالكيين منذ دخولهم القيروان، وقد ركز الخلفاء العبيديين سياستهم على قمع هذا المذهب بصفة في إفريقية دون غيره من المذاهب، كونه مذهب الأغلبية الساحقة لسكان أهل إفريقية، إضافة إلى قيامه على أصول أهل السنة والجماعة من الترضي عن جميع صحابة رسول الله – عليه الصلاة والسلام – دون تمييز، ما أثار حفيظة العبيديين وراحوا يسطلون على أتباع المذهب المالكي وخاصة العلماء منهم كل صنوف العذاب و التنكيل قصد تخلي الأتباع عن هذا المذهب واعتناق المذهب الشيعي الإسماعيلي.

[1] – عز الدين ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 56.

[2] – عبد العزيز المجذوب ، المرجع السابق ، ص 205.

ومما تذكره المصادر التاريخية بهذا الصدد، ما قام به قاضي الشيعة المروزي من التنكيل بعلماء المالكية، حيث ما فتئ هذا الأخير في الإيقاع بعلماء أهل السنة عامة والمالكية منهم خاصة، وتلفيق التهم ضدهم، مستغلا منصب القضاء في القيروان الذي كان له نفود وسلطة لدى الشيعة[1]، فتطاول وتجبر على علماء المالكية ليفرض عليهم مذهبه الإسماعيلي، يقول القاضي النعمان بهذا الصدد : « وولى قضاء مدينة القيروان محمد بن عمر المروزي وكان له تشيع قديم...، و ُجعل إليه تولية القضاة والحكام سائر البلدان »[2].

كما ذكر المؤلف "الخشني" أن تسلطه وجبروته يعود إلى ما قبل قدوم عبيد الله الشيعي من سجلماسة إلى القيروان حيث يقول : « وكان – أي المروزي – معتقدا مذهب الشيعة ومعروفا بذلك، فلما دخل الشيعي، بادر إليه ودخل في دعوته ولزمه ، فولاه قضاء إفريقية وتصلب وكابر وتجبر، وتطاول على رجال صالحين فضربهم و حبسهم.... »[3]، ومن جملة أعماله إصدار أمر إلى فقهاء القيروان يقضي بمنع الفتوى بمذهب مالك وغيره، ولا يفتي أحد إلا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر الصادق ، يقول ابن عذارى المراكشي : « ومنع المروزي الفقهاء أن لا يفتي أحدهم إلا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر بن محمد »[4] .

ولم يقف هذا القاضي في التهديد بالقول، بل تجرأ إلى استباحة قتل علماء المالكية، حيث تذكر المصادر التاريخية أنه قتل عدد كبير من العلماء، ومن ذلك أنه وشي بالفقيه أبي جعفر بن المعافري الأندلسي[5] حتى قتله شر قتلة في سنة 301هـ/915م ، قال عنه "الدباغ" في كتابه" معالم الايمان" : « حيث أمر– عبيد الله

---

[1] – **مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية ... ، المرجع السابق ، ص 143.**

[2] – **القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، المصدر السابق ، ص152.**

[3] – **أبي عبد الله محمد بن الحارث بن أسد الخشني ، قضاة قرطبة و علماء إفريقية ، تص و مر : عزت العطار الحسيني ، ط2 ؛ القاهرة – مصر : مكتبة الخانجي للنشر و التوزيع ، 1415هـ–1994م ، ص309.**

[4] – **ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص159.**

[5] – هو أبو جعفر محمد بن خيرون المعافري، الأندلسي الفرضي، رحل إلى العراق، وسمع من جماعة من أهل العلم ثم عاد إلى القيروان، وكان فقيها صالحا عابدا من خيار المسلمين، مع حسن سمت وخشوع، وكانت وفاته سنة إحدى وثلاثمائة للهجرة ، قتله عبيد الله المهدي بإيعاز من القاضي المروزي . **ينظر : عبد الرحمان الدباغ ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 288–290.**

المهدي- به فأدخل به إلى المجلس، و بُطح على ظهره وطلع السودان فوق سريره فقفزوا عليه بأرجلهم حتى مات، وذلك من أجل جهاده على دين الله تعالى، وبغضه لبني عبيد »[1].

كما وشي المروزي إلى أبي العباس المخطوم - أخ أبي عبد الله الشيعي- سنة297هـ/911م بكل من الفقيهين أبي إسحاق الضبي المعروف بابن البرذون[2] وبأبي بكر ابن هذيل[3] ، وكل منهما كانا من أعلام زمانهم فقها وعلما فقتلهما وَّمثل بهما[4].

وكثيرا ما تظلم الناس إلى عبيد الله من استبداد المروزي، ولكنه لم يول أي اهتمام، فحين حملت جماعة من الناس إليه أن المروزي يطعن في الدولة، حبسه على التوِّ وعذَّبه وقتله شرَّ قتلة[5].

لكن بالرغم من قتل القاضي المروزي الذي كان يدسُّ المكائد على علماء المالكية ويلفق التهم ضدهم، لم تُطوى صفحة التعذيب والقتل والنكال بأهل السنة عامة المالكية على وجه الخصوص، فبمجيء عبيد الله إلى القيروان رآهم خطرا على دولته[6]، فأمعن في قتلهم، والتنكيل بهم، وخير شاهد على ذلك، أنه قتل سنة 307هـ /921م عروس المؤذن[1]بعدما ضربه وقطع لسانه مع أنه كان من المتزهدين[2].

---

[1] - **عبد الرحمان الدباغ ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 290**. كما يذكر المؤرخ أبو العرب تميم في كتابه "المحن" أن هذا قضاة الدولة العبيدية أمثال :محمد بن عمر المروزي و إسحاق بن منهال كانوا شديدي المراقبة للفقهاء المالكية، حيث حبسوا العديد منهم أمثال :عبد الرحمان الفقيه ومحمد بن خالد الطيوري...،ووصلت بهم الجرأة إلى حد الضرب و التنكيل بهم، وللمزيد **ينظر : أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي ،كتاب المحن ، تح : يحيى وهيب الجبوري ، ط3 ؛ بيروت – لبنان : دار الغرب الإسلامي ، 1427هـ-2006م ، ص363**.

[2] - هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حسين الضبي المعروف بابن البرذون، سمع الحديث من جماعة من رجال سحنون، وكان فقيها بارعا في العلم، لم يكن في شباب عصره أقوى على الجدل والمناظرة وإقامة الحجة على المخالفين منه، وشي به المروزي عند عبيد الله المهدي على مسألة التفضيل فقتله سنة 297هـ/911 . **ينظر : نفسه ، ص 261-262**.

[3] - هو أبو بكر بن هذيل الفقيه، سمع من رجال سحنون، وكان فقيها زاهدا صالحا متقشفا، وبارعا في العلم نظارا، قُتل من طرف عبيد الله المهدي في مسألة التفضيل أي تفضيل أبي بكر وعمر على علي- رضي الله عنهم -، وذلك سنة297هـ/911م . **ينظر : نفسه ، ص 266-268**.

[4] - وقد ذكر "الدباغ" في قتلهما خلافا بين أن أبي العباس هو الذي قتلهما، ومرة بأن عبيد الله المهدي هو الذي قتلهما .ينظر : **عبد الرحمان الدباغ ، المصدر السابق ، ج2 ، ص262**.

[5] - **أبي عبد الله الخشني، المصدر السابق ، ص309**. كما يذكر "الدباغ" صورة قتله بقوله :" فأخذه وألبسه ملبسا ورماه في إصطبل الدواب تمشي عليه، فركضت على بطنه حتى قتلته، وقيل أنه اعترف بظلمه حيث قال أثناء تعذيبه "إني قد عصيت الله فيكم فسلطكم علي فاضرب ما شئت وعذِّب كيف شئت" . **ينظر : عبد الرحمان الدباغ ، المصدر السابق ، ج2 ، ص290-291**.

[6] - **المهدي بوعبدلي ، مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ –نشأتها تطورها آثارها- ، مجلة الأصالة ، العدد7 ، مج 02 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان 2011م ، ص ص9- 10**.

كما قام عبيد الله المهدي بتعيين قضاة للدولة العبيدية يدينون بالولاء التام للمذهب الإسماعيلي، ومن بينهم القاضي "النفطي"[3] والقاضي "إسحاق بن منهال"[4] قاضي المهدية، اللذين قاما بأعمال مماثلة لتلك التي قام بها القاضي المروزي من دسٍّ المؤامرات والتنكيل بعلماء المالكية[5].

إضافة إلى ما قد مر ذكره، كانت الدولة العبيدية تأخذ الأموال وكتب العلماء المالكية وتنكل بأهاليهم[6]، واستعملت عدة وسائل لمحاربة المذهب المالكي وقطع جذوره من أساسه، غير أنها لم تتمكن من ذلك[7]، وذلك من خلال ثبات و صبر علماء المالكية، كما يقول "الدباغ" في هذا الصدد: « جزى الله مشيخة القيروان خيرا فهذا يموت، وهذا يُضرب، وهذا يسجن، وهم صابرون لا يفرون، ولو فرو لكفرت العامة دفعة واحدة »[8]، وراح العلماء يتصدون لإنحرافات بني عبيد وجرائمهم ورد عدوانهم بشتى الأساليب و الوسائل و الطرق لتقويض المذهب العبيدي و استئصاله من إفريقية خاصة وبلاد المغرب الإسلامي عامة، وهذا ما سنتعرف عليه أكثر في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

---

[1] – وسبب قتله أنه كان يؤذن في مجسد عباس الفقيه، فشهد عليه بعض المشارقة أنه لا يقول في آذانه – حي على خير العمل –، فأحضر و ُقطع لسانه وطيف به القيروان ، ثم قتل سنة سبع عشرة وثلاثمئة – رحمه الله – . **ينظر : عبد الرحمان الدباغ ، المصدر السابق ، ج3 ، ص5.**

[2] – **مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية...، المرجع السابق ، ص146.**

[3] – هو القاضي محمد بن عمر النفطي، كان قاضيا بطرابلس ونفطة التي نسب إليها، وبمجيء عبيد الله المهدي إلى افريقية عينه قاضيا عليها، فأقام نحو سنة وكان في آخر أيامه إلى أن مات . **ينظر : أبي عبد الله الحشني ، المصدر السابق ، ص310.**

[4] – هو القاضي إسحاق بن أبي منهال، ولاه عبيد الله المهدي قاضيا في إفريقية، ولما ُولى ابنه أبو القاسم ثبته عليها حتى موته . **نفسه ، ص310–311.**

[5] – راجع بعض النماذج لسياستهم في حق العلماء ووحشية أسلوب هؤلاء القضاة في التنكيل بالفقهاء المالكية بإفريقية عند : **موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص ص417–421.**

[6] – ومن ذلك ما قام به الخليفة المعز العبيدي، حيث أخذ كتب الفقيه أبي محمد ابن عبد الله بن هاشم بن مسرور التجيبي لما توفي سنة345هـ/958م ، يقول "القاضي عياض" بهذا الصدد :" ترك أبو محمد هذا سبع قناطير كتبا بخطه.....، فلما ُتوفي رفع جميعها إلى سلطان الوقت ، فأخذها ومنع الناس منها " **ينظر : القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج5 ، ص331.**

[7] – **مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية...، المرجع السابق ، ص 149.**

[8] – **عبد الرحمان الدباغ ، المصدر السابق ، ج2 ، ص292.**

الفصل الثالث: جهود فقهاء المالكية في مقاومة التشيع العبيدي وأثر الصراع بإفريقية خلال ق (3-4هـ/ 9-10م).

المبحث الأول: مواقف الفقهاء المالكية من فتنة التشيع العبيدي

أولا: الموقف الإيجابي

ثانيا: الموقف السلبي

المبحث الثاني: أساليب مقاومة فقهاء المالكية للتشيع العبيدي

أولا: المقاومة السلبية

ثانيا: المقاومة العلمية (المناظرات)

ثالثا: المقاومة المسلحة

رابعا: أساليب أخرى في المقاومة

المبحث الثالث: أثر الصراع المذهبي الشيعي- المالكي بإفريقية

أولا: الأثر العلمي

1): تطور حركة التعليم المذهبي

أ) - عقد المجالس العلمية المذهبية

ب) - الحركة التأليفية المذهبية

ثانيا: الأثر الاجتماعي

ثالثا: الأثر السياسي

الفصل الثالث : جهود الفقهاء المالكية في مقاومة التشيع العبيدي وأثر الصراع بإفريقية خلال ق (3–4هـ/9–10م)

تمهيد:

إن أية دعوة دينية مذهبية تظهر في التاريخ والوجود الإنساني، ولا تكون متأصلة من مشكاة الوحي (الكتاب والسنة) بفهم سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، تكون دعوة مبتورة، وإن أقيم لها كيان سياسي يحميها فلا تلبث أن تزول ويزول معها مذهبها الديني، وخاصة إذا قامت على أساس الإكراه ومحاولة فرضه بالقوة بين الناس، وهذا ما جرى بالفعل في تتبعنا لمسار تاريخ الدولة العبيدية الشيعية بالمغرب الإسلامي عامة وإفريقية على جوه الخصوص، فسبق وأن رأينا تلك الإنحرافات العبيدية سواء في الجانب العقدي أو الجانب الفقهي وما أحدثوه من بدع ومخالفات لا تمت إلى الإسلام بصلة، وراح العبيديون يحاولون نشره وفرضه على أهل افريقية بالقوة باضطهاد علماء المذهب المالكي والتنكيل بهم، ما نجم عنه اضطرابات وفتن ومحن عظيمة حلت على أهل إفريقية الذين يدينون بالمذهب المالكي السني والمتأصل زمنا طويلا في نفوسهم.

إلا أن العلماء المالكيين ورغم هذه الفتنة والمحنة التي ألمت بهم، لم يقفوا موقف المستكين المستسلم للأمر الواقع، بل راحوا يبذلون جهود عظيمة بوسائل مقاومة متنوعة لردِّ انحرافات الشيعة، ما تمخّض عنه انتصار المذهب المالكي ورسوخه وانتشاره واسعا ليشمل كافة أرجاء المغرب الإسلامي والسؤال المطروح هنا: فيم تجسدت وسائل المقاومة المالكية في التصدي للمد الشيعي العبيدي بإفريقية ؟ وما هو الأثر المنبثق عن ذلك الصراع الطويل في مختلف جوانب الحياة ؟

وهذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل، ونبرز مختلف جوانبه و حقائقه.

المبحث الأول: مواقف الفقهاء المالكية من فتنة التشيع العبيدي.

لقد تباينت موقف فقهاء المالكية إزاء المحنة التي ألمت بهم، وخاصة بعد عدول العبيديين الشيعة من سياسة اللين إلى سياسة العنف والبطش و التنكيل بكل ما هو مالكي فجاءت مواقف الفقهاء على نوعين:

أوَّلا: الموقف الإيجابي:

– ونعني به تلك الطائفة من العلماء المالكية، الذين ءاثروا الصبر والثبات في مقاومة الشيعة بإفريقية، وفضلوا الذوذ عن حياض المذهب المالكي دون الهرب خوفا من بطش العبيديين(*)، ومن هذا الصنف من العلماء ذهب عدد كبير منهم قتلى على يد عبيد الله وبنيه[1]، يقول أبو الحسن القابسي : « إن الذين ماتوا في دار البحر بالمهدية – منهم شيوخه الذين أدركهم – من حين دخل عبيد الله إلى الآن، أربعة آلاف رجل في العذاب ما بين عابد وعالم ورجل صالح » [2].

ومن هؤلاء العلماء الذين جاهدوا بني عبيد و ُقتلوا على أيديهم بسبب مواقفهم العدائية للشيعة، نذكر منهم : الفقهيين ابن البرذون (ت299هـ/911م) وابن الهذيل (ت299هـ/911م)، فقد ُقتلا معا وكان السبب في ذلك أن الإمام ابن البرذون كان يقول : « كان علي بن أبي طالب– رضي الله عنه – يقيم الحدود بين يدي عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –(*) ويعينه على أموره، فلو لم يكن عنده إمام هدى مستحقا للتقدمة ما فعل ما فعل »[3].

(*) كان الذي تولى تعذيب العلماء المعارضين للمذهب العبيدي وتقتليهم، القاضي محمد بن عمر المروزي الذي سبق الحديث عنه، وقد كان هذا الأخير معتقدا لمذهب الشيعة، ومعروفا بذلك، فلما ولى قضاء إفريقية تصلب وتكبر وتجبر، وكانت أيامه صعبة، وخافه أهل السنة، وعذَّب العلماء وقتل الكثير منهم، وأخذ أموال الأحباس والحصون. **ينظر : محمد الخشني ، المصدر السابق ، ص239.**

لكن الله انتقم منه وقتله على يد من كان يخدمهم ويتقرب إليهم من بني عبيد، حيث كثر التشكي منه إلى عبيد الله، وأنه يطعن في الدولة العبيدية، فحبسه وعذبه ثم قتله، ولمعرفة خبر مقتله، **ينظر : عبد الرحمان الدباغ ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 290 – 292.**

[1] – **إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص316.**

[2] – يذكر الدباغ هذا القول في معرض حديثه عن انحرافات بني عبيد بإفريقية، وما لقيه علماء المالكية من أذى كسماعهم سب الصحابة – رضي الله عنهم –، فاجتمعوا للخروج لقتالهم، وقد اجتمع جماعة غفيرة من العلماء والتجار وغيرهم ، والتقوا بجيش بني عبيد بالمهدية كان نتيجتها مقتل الآلاف من العلماء بين يدي عبيد الله الشيعي . **ينظر : عبد الرحمان الدباغ ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 33– 34.**

(*) وكذلك بين يدي الخليفة عثمان – رضي الله عنه –، كما أخرج ذلك البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب الهجرة الحبشية) وفي فضائل الصحابة (باب مناقب عثمان – رضي الله عنه –) من حديث عبيد الله بن عدي ابن الخيار، أنه كلم عثمان في شأن الوليد بن عقبة حينما شرب الخمر وصلى بالناس الفجر أربعا فقال عثمان : " وأما من شأن الوليد بن عقبة فسنأخذ فيه الحق إن شاء الله، ثم دعا عليا – رضي الله عنه – فأمره أن يجلده فجلده . **ينظر : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تح و تص و إخراج : محب الدين الخطيب ، مر : قصي محب الدين الخطيب ، ج7 ، ط1 ؛ القاهرة – مصر : دار الريان للتراث للنشر و التوزيع ، 1407هـ–1986م ، ص226.**

أما الإمام ابن الهذيل، فكان يرِّوج قول ابن البرذون وينشره بين الناس، فأرسل عبيد الله الشيعي من يأتيه بهما، فلما ُأدخلا عليه جرت بينهما محدثات(*) وأمر عبيد الله بقتلهما[1].

ومن هذا الصنف من العلماء المالكية أيضا : الإمام أبو جعفر المعافري(ت301هـ/913م)[2]، كان فقيها صالحا عابدا من خيار المسلمين، وكان سبب مقتله، أنه سعى به القاضي المروزي إلى عبيد الله، فأمر بتعذيبه إلى أن مات[3].

وممن ُقتل على أيديهم بسبب مواقفه الجريئة : الإمام الزاهد الشذوني(ت309هـ/921م)[4]، أمر عبيد الله بقتله بحجة تفضيل بعض الصحابة على علي – رضي الله عنهم –[5].

ومنهم أيضا : عروس المؤذِّن الذي سبق الحديث عنه من قبل[6]، وممن امتحن على أيديهم أيضا الفقيه أبو القاسم الطرزي (ت317هـ/929م)[7]، وكانت له محنة، حيث ضربه القاضي المروزي بالسياط عند الجامع بغضا في أهل السنة وعداوة لعلماء المسلمين[8].

---

[3] – **عبد الرحمان الدباغ ، المصدر السابق ، ج2 ، ص262.**

(*) وذلك أنه لما دخلا عليه، وجداه على سرير ملكه جالسا، و عن يمينه أبو عبد الله وأبو العباس أخوه، فلما وقفا بين يديه، قالا لهما :" أتشهدان أن عبيد الله رسول الله، فردا عليهما ابن البرذون وابن الهذيل بلفظ واحد :" والله الذي لا إله إلا هو، لو جاءنا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان نشهد أنه رسول الله ما قلنا إنه رسول الله " فأمر عبيد الله بقتلهما، ولما ُجرد ابن البرذون للقتل قال له قائله :" أترجع عن مذهبك ؟ فقال : أعن الإسلام تستتيبني !. **ينظر : المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص49** .

[1] – **عبد الرحمان الدباغ ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 264** .

[2] – هو أبو جعفر محمد بن محمد بن خيرون الأندلسي المنشأ القيرواني القرار، رحل إلى العراق وسمع بها من صاحب يعلى بن المديني و يحيى بن معين ، ورجع إلى القيروان بقراءة نافع فعلمها أهل القيروان، وكان الغالب عليهم قراءة حمزة، كما أنه أول من أدخل مذهب داوود الظاهري إلى القيروان، كما بنى مسجدا بها يعرف بإسمه، توفي سنة 301هـ/913م . **ينظر : الحميدي ، جدوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، تح : إبراهيم الأبياري ، ج1 ، ط2 ؛ بيروت – لبنان : دار الكتاب اللبناني ، مصر – القاهرة : دار الكتاب المصري ، 1410هـ–1979م ، ص96. إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص 318.**

[3] – يذكر الدباغ خبر مقتله :" أن أبا خنزير أمر به فأدخل إلى مجلس، وبطح على ظهره وطلع السودان فوق سرير فقفزوا عليه بأرجلهم حتى الموت، وذلك من أجل جهاده على دين الله تعالى، وبغضه بني عبيد . **ينظر : الدباغ ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 289–290.**

[4] – لم أعثر له على ترجمة .

[5] – **ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 187.**

[6] – **ينظر عنه في الفصل الثاني من هذه المذكرة، ص64.**

[7] – هو أبو القاسم محمد بن محمد بن خالد القيسي المعروف بالطرزي، القاضي الزاهد، سمع من سحنون بن سعيد كثيرا، وكان شديدا الضبط مغيرا للمنكر لا تأخذه في الله لومة لائم، توفي سنة 317هـ/929م في شهر رمضان . **ينظر : الدباغ ، المصدر السابق ، ج3 ، ص9–10** .

[8] – **نفسه ، ص11.**

ومنهم : الإمام أبو بكر بن اللباد (ت333هـ/944م)[1]، واتفقت عليه محنة من قِبل أشياع بني عبيد وسجن أياما ثم أُطلق، و مُنع من الفتوى والاستماع واجتماع الطلبة عليه حتى توفي، وكان الفقهين ابن أبي زيد القيرواني وأبو محمد بن التبان[2] يأتيان إليه في خفية، وربما جعلا الكتب في أوساطهما حتى تبتلَّ بأعراقهما، خوفا من بني عبيد أن ينالوه بمكروه[3].

ومنهم الإمام إبراهيم بن عبيد الله الزبيري(ت359هـ/970م)[4]، فقد امتحن على يد أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي، حيث ضربه سبعمائة سوط وحبسه أربعة أشهر، وذلك لتأليفه كتاب"الإمامة" وكتاب "الرد على الرافضة "[5].

ومنهم الفقيه حكم بن محمد بن هشام المقرئ(ت370هـ/980م)[6]، فقد صلبه هو الآخر- أي أبو عبد الله الشيعي - من أجل صلابته في الحق وإنكاره الشديد على أهل البدع[7].

ومنهم أيضا أبو علي بن خلدون (ت407هـ/1016م)[1]، فقد كان هو الآخر شديدا على أهل البدع وخاصة الروافض منهم، مُغريا بهم، يستند منه أهل السنة إلى ملجأ، فتآمر عليه شيعة بنو عبيد وقتلوه[2]،

---

[1] - هو أبو بكر محمد بن محمد بن وشاح المعروف بابن اللباد الفقيه، سمع من ابن طالب ويحي بن عمر، وكان ابن اللباد رجلا صالحا، فقيها جليل القدر، عالما باختلاف أهل المدينة واجتماعهم، مهيبا مطاعا، وكان من الحفاظ المعدودين المبرزين، توفي رحمه الله- في شهر صفر سنة 333هـ/944م وهو ابن ثلاث وثمانين سنة . ينظر : **الدباغ ، المصدر السابق ، ج3 ، ص22. المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص283.**

[2] - هو أبو محمد عبد الله بن إسحاق المعروف بابن التبان، الفقيه الإمام، كان من العلماء الراسخين والفقهاء المبرزين، ومن أشد الناس عداوة لبني عبيد، توفي-رحمه الله- في جمادى الآخرة سنة371هـ/981. **ينظر : القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تح : سعيد أحمد عراب ، ج6 ، ط1 ؛ الرباط – المغرب : مطبعة فضالة للنشر و التوزيع ،1401هـ- .1981م ،ص 248-257.**

[3] - ورغم هذا الحصار المضروب عليه، لم تُثنه عن أداء رسالته التعليمية، فكان يقوم بذلك سرًّا، واستمر بها حتى توفي- رحمه الله-، وقد رثاه أبي زيد بقصيدة طويلة منها قوله:

كم محنة طرقته في الإلاه فلم يجد لذلك إذ في ربه امتحنا
بل كان حصنا لدين الله ينصره ويحتمي غضبا لله إن فُتنا

ينظر : الدباغ ، المصدر السابق ، ج3 ، ص5 .

[4] - هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي، الفقيه العالم والرجل الصالح الفاضل، سمع من المقامي وغيره، له تآليف حسنة، توفي - رحمه الله- سنة 359 هـ/970م. **ينظر : محمد بن محمد مخلوف ، المرجع السابق ، ص94.**

[5] - **محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين ، ج2 ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : دار الغرب الإسلامي للنشر و التوزيع ، 1402هـ-1982م ، ص ص411-412.**

[6] - هو حكم بن محمد بن هشام القرشي المقرئ، من أهل القيروان، يُكنى أبا القاسم، قرأ القرآن الكريم بالقيروان على يد الهواري، ورحل إلى مصر وهي متوافرة من رجالها فتحلق إلى بنان العابد وجالسه، ثم حج ودخل العراق وقدم إلى الأندلس في أوَّل ولاية المستنصر فوصل إليه وأكرمه، توفي -رحمه الله- سنة370هـ/980م، وهو ابن اثنين وثمانين سنة . **ينظر : ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص178.**

[7] - **إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص 321 .**

وقد رثاه عدد كبير من العلماء بإفريقية[3].

وممن قتلهم عبيد الله الشيعي : أبو علي حسن بن مفرج الفقيه[4]، لتفضيله بعض الصحابة على علي–رضي الله عنهم أجمعين–[5].

وممن جاهر بجهاد بني عبيد وامتحن على أيديهم : الفقيه أحمد بن نصر[6]، وأحمد زياد (ت378هـ/988م)[7]، وغير هؤلاء كثير يطول ذكرهم.

فهذه جملة من بعض العلماء المالكية الذين آثروا هذا الموقف، وفضلوا الوقوف في وجه الشيعة العبيدين ومقاومة إنحرافاتهم، فكان ثمنها بين سجن وتعذيب وقتل، ورغم كلِّ هذا ضلوا صابرين محتسبين، حيث رأوا أنه دفاعا عن الحق وذودا عن دين الله سبحانه وتعالى، ليبقي مصانا من كل تحريف يشوِّه حقيقته ويطمس نوره المُشرق.

ثانيا: الموقف السلبي:

– نعني به تلك الطائفة من الفقهاء المالكية، الذين لم يصمدوا في وجه الشيعة العبيدين بإفريقية ، وهم على نوعين :

أ) طائفة منهم تركوا البلاد هربا بدينهم خوفا من القتل و الإضطهاد وفرارا من فتنة بني عبيد، ومن هؤلاء نذكر :

---

[1] – من فقهاء إفريقية وعلمائها وصلحائها، وهو من أصحاب أبي الحسن القابسي، كان قد نشأ بإفريقية وكانت العامة تتبعه وتأخذ برأيه، وكان شديد على أهل البدع والروافض مغريا بهم وتوفي –رحمه الله–سنة 407هـ/1016م . **ينظر : القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج2 ، ص229.**

[2] – عن تفاصيل خبر مقتله . **ينظر : نفسه ، ص230.**

[3] – قد رثاه ابن الوراق القيرواني ، قال فيه:

مضرج بدم الإسلام مهجته من بين أحشاء دين الله تنتزع

نفسه ، ص230.

[4] – لم أعثر له على ترجمة.

[5] – **ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 187 .**

[6] – هو أبو جعفر أحمد بن نصر، سمع من سحنون ومحمد بن عبدوس وغيرهما، وكان عالما متقدما بأصول العلم حاذقا بالمناظرة وامتحن على يد الشيعة سنة 308هـ/920 فحبسوه، ثم أُطلق فلزم بيته إلى أن مات . **ينظر : الخشني ، المصدر السابق ، ص 211 – 213.**

[7] – هو أبو جعفر أحمد بن أحمد بن زياد، صحب محمد بن عبدوس، وسمع من محمد بن يحي بن سلام، ألف عدة كتب في أحكام القرآن وغيره من العلوم، وكان بليغا بصيرا باللغة، وكان مذهبه النظر ولا يرى التقليد، قوي في المناظرة، توفي سنة 378هـ/988م . **ينظر : نفسه ، ص221 – 223 .**

– أبو عبد الله محمد بن بسطام بن رجاء الضبي(ت313هـ/925م)[1]، فقد انتقل من القيروان إلى سوسة واستوطن بها إلى أن مات هروبا من الفتنة[2].

– ومنهم أبو البشر محمد بن أحمد بن يونس السنوسي(ت331هـ/942م)[3]، وكذا أبو محمد عبد الله التاهرتي(ت313هـ/925م)[4]، و أبو محمد يونس بن محمد الورداني(ت300هـ/912م)[5]،حيث لما دخل عبيد الله إفريقية و استولى عليها، طلب أهل الفضل والدين، فخاف الورداني على نفسه منه فأقبل على رعاية البقر، فكان إذا أصبح أخذ مصحفه وعصاه وساق البقر بين يديه وأبعدها عن عمارة القيروان، فإذا أمسى واختلط الظلام أقبل بالبقر إلى منزله فكان هذا دأبه حتى مات، وسلمه الله تعالى من فتنة بني عبيد الله[6].

ومن الذين خرجوا من ديارهم فارّين بدينهم، أحمد بن نصر الداودي(ت402هـ/1011م) [7]، وكان ُينكر على علماء عصره سكناهم في مملكة بني عبيد وبقائهم بين أظهرهم، لكن علماء إفريقية أنكرو عليه ذلك، كونهم يرون الإقامة فيها تثبيت لعامة المسلمين وحمايتهم من خطر عقيدة الشيعة بإفريقية.

ومنهم أيضا : أبو عبد الله محمد بن نضيف البزاز(ت355هـ/966م)[8]، الذي رحل من إفريقية إلى المشرق

---

[1] – هو أبو عبد الله محمد بن بسطام بن رجاء الضبي، كانت له رحلة سمع فيها من ابن عبد الحكم وغيره، كان عابدا زاهدا ثقة مأمونا، ثبت كثير الروايات وتصنيف الكتب بخط يده، سكن القيروان، وانتقل منها إلى سوسة، توفي سنة 313هـ/925م . **ينظر : القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 111– 112.**

[2] – **نفسه ، ص112.**

[3] – هو أبو البشر محمد بن أحمد بن يونس القيرواني ونزيل سوسة، سمع من يحيى بن عمر وغيره، وكان من الخاشعين العاملين المجتهدين، وتوفي في سوسة سنة 331هـ/942م. **ينظر : المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 275. القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ضبط وتص : محمد سالم هاشم ،ج2 ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : دار الكتب العلمية ، 1418هـ–1998م ، ص52.**

[4] – هو أبو محمد عبد الله التاهرتي نسبة إلى تاهرت ،كان فاضلا عابدا، سكن مدينة سوسة محتسبا للحرس بها على المسلمين، توفي سنة313هـ/925م. **ينظر : المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص182.**

[5] – هو أبو محمد يونس بن محمد الورداني، من أصحاب سحنون التنوخي، جمع منه كثيرا من العلم، توفي سنة 300هـ/912م. **ينظر : القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تح : عبد القادر الصحراوي ،ج4 ، ط2 ؛ المملكة المغربية : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، 1403هـ–1983م ، ص 419–420.**

[6] – **المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص46.**

[7] – هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي، من أئمة المالكية بالمغرب، أصله من المسيلة وقيل من بسكرة، كان فقيها فاضلا عالما مؤلفا مجيدا، ألف كتاب "القاضي في شرح الموطأ" و"الواعي في الفقه" و"النصيحة في شرح البخاري"، توفي في تلمسان سنة 402هـ/1011م. **ينظر : القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تح : سعيد أحمد عراب ، ج7 ، المملكة المغربية : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، 1402هـ–1982م ، ص 102–104.**

[8] – هو أبو عبد الله محمد بن نظيف البزاز الفقيه، كان من الفقهاء المعدودين والأئمة المبرزين، وكانت له هيبة لم تكن لأحد من أهل وقته، تخلى عن الدنيا وانقطع إلى الله عز وجل، توفي سنة 355هـ/ 966م. **ينظر : المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 467–468.**

هربا من الرياسة، و لِما ظهر من سب السلف بالمغرب من قِبل بني عبيد[1].

ب) وهذا النوع الثاني، وهم طائفة من العلماء المالكية الذين رضوا بالعيش تحت حكم بني عبيد، دون إبداء أية مقاومة لهم، وذلك من باب مداراتهم ومداهنتهم أمنا لمكرهم، إلا أن علماء الصنف الأول من المالكية اتخذوا موقفا صلبا ضدهم وأبدوا مقاطعة لهم، وأصبحوا مهجورين من قبلهم.

ونذكر في هذا النوع أيضا : خلف بن أبي القاسم البراذعي(ت نحو400هـ/1009م)[2]، الذي قام عليه أصحابه من فقهاء القيروان بسبب تأليف كتب في تصحيح نسب بني عبيد(*)، إزاء هذا أفتى فقهاء القيروان برفض كتبه وترك قراءتها لتهمته لديهم، فلم يستقرَّها وخرج إلى صقلية وقصد أميرها، فحصلت له عنده مكانة وألف فيها أغلب كتبه[3].

وهذا إبراهيم بن حسن بن إسحاق القيرواني[4] هو الآخر امتحن، بسبب فتواه في تقسيم الشيعة إلى قسمين(*) أحدهما:

---

[1] – **المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص468.**

[2] – هو أبو سعيد خلف بن أبي القاسم الأزدي المعروف بالبرادعي الفقيه العالم الإمام، من حفاظ المذهب المالكي، ومن كبار أصحاب ابن أبي زيد القيرواني و القابسي وبهما تفقه، وله تآليف مشهورة منها "التهذيب" و "اختصار المدونة"، لم تحصل له رئاسة بالقيروان، فخرج إلى صقلية وهناك ألف أغلب كتبه، توفي سنة 400هـ /1009م. **ينظر : محمد بن محمد مخلوف ، المرجع السابق ، ص105.**

(*)كما ُوجد مكتوبا بخطه في ذكر بعض بني عبيد والإشادة بهم، متمثلا بيتا من الشعر : أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن وعدوا أوفوا إن عقدوا شدوا **ينظر : القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 256–258.**

[3] – **نفسه ، ص 256–258.**

[4] – هو أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن إسحاق التونسي، الإمام الفقيه الحافظ الأصولي، تفقه بأبي بكر بن عبد الرحمان وأبي عمران الفاسي، له شروح حسنة وتعاليق متنافس فيها على كتاب المدونة، وامتحن سنة 438هـ/1046م، ورحل إلى المنستير ثم رجع إلى القيروان وفيها توفي 443هـ/1041م. **ينظر : محمد بن محمد مخلوف ، المرجع السابق ، ص108.**

(*) وهذا التقسيم هو الذي كان عليه أغلب علماء المالكية في المغرب الإسلامي فقد جاء في "المعيار المغرب" أن أهل البدع ينقسمون إلى قسمين:

– فالنوع الأول منهما كفر صراح لا خفاء فيه وضلال لا ستر ُيخفيه، كقول بعض الرافضة أن عليا– رضي الله عنه– إلاه من دون الله – تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا–، أو أن عليا – رضي الله عنه– نبي مبعوث، أو يطعن في أحد من الصحابة بالسب و التكفير–رضي الله عنهم أجمعين–.

– والنوع الثاني من البدع ضلال وزيغ عن الحق وعدول على السنة و الجماعة، لكن لا ُيطلق عليه كفر ولا على معتقده كافر، كقول المختارية أن عليا– رضي الله عنه– إمام من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله، و كقول الزيدية من تفضيل علي– رضي الله عنه– على الناس ولا يطعن بأبي بكر وعمر، وكقول الشيعة منهم: أبو بكر وعمر أفضل الناس بعد الرسول الله– عليه الصلاة السلام – على التقديم وعلي– رضي الله عنه– أحب إلينا، فهذه كلها بدع خارجة عن رأي جماعة المسلمين. وللمزيد **ينظر : أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، أخرجه : جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، ج2 ، المغرب : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ، 1401هـ–1981م ، ص340.**

1- من يفضل عليا - رضي الله عنه - على غيره من الصحابة - رضي الله عنهم - دون سب للغير فهو مجانب لإعتقاد السلف الصالح ولكنه ليس بكافر.

2- من يفضل عليا - رضي الله عنه - على غيره من الصحابة - رضي الله عنهم - ويسب غيره فهو بمنزلة الكافر لا تحل مناكحته.

وبسبب هذه الفتوى، أنكر عليه فقهاء القيروان وعامتها، وأرسلوا إليه يُعاود النظر ويرجع عن هاته الفتوى، فأبى ولم يفعل وخرج من القيروان ولم يرجع إليها إلا في آخر حياته[1].

فهذه بعض النماذج من تلك الطائفة من العلماء التي اتخذت هذا الموقف، وهو موقف سلبي ولكن ليس على إطلاقه، بل صادر عن اجتهاد منهم لكن سلبي في مقابل تلك الجمهرة الغفيرة من العلماء الذين اتخذوا موقف أفضل وأحسن في صبرهم وثباتهم على الحق ونصرة للمذهب المالكي(*)، ودحض افتراءات بني عبيد بإفريقية.

[1] - **محمد بن محمد مخلوف ، المرجع السابق ، ص105.**

(*)فهؤلاء العلماء وإن لم يصبروا ويقاوموا انحرافات بني عبيد، إلا أن موقفهم هذا ناتج عن اجتهاد منهم ولهم فيه سلف، من باب تأويل قوله تعالى: "إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان" -سورة النحل، الآية 106، لكن هذا لا يعني أنهم انسلخوا من عقيدتهم السليمة و مذهبهم المالكي بل ظلوا متمسكين به، وقد ألف بعضهم كتبا حسنة في خدمة المذهب المالكي عندما كان بعيدا عن سطوة بني عبيد، كالفقيه"البرادعي".

المبحث الثاني: أساليب مقاومة فقهاء المالكية للتشيع العبيدي

لقد سلك العلماء والفقهاء المالكية إزاء فتنة بني عبيد أساليب مقاومة متنوعة، ضربوا فيها أروع الأمثلة في اعتزال ما يمت إلى تشيع بني عبيد بصلة(*)، فجاءت مقاومتهم عل أنواع : مقاومة سلبية، ومقاومة جدلية، ومقاومة مسلحة، كما اتخذوا أساليب أخرى في المقاومة مثل : المقاومة عن طريق التأليف ونظم الشعر، ومقاومة عن طريق إبداء مخالفة لكل ما هو تشريع شيعي، وفيما يلي سنتطرق بالبحث والإستقصاء لجميع الأساليب وأوجه المقاومة المالكية واحدة تلو الأخرى .

أوّلا: المقاومة السلبية:

أُولى الوسائل التي استعملها علماء المالكية بإفريقية في مقاومة المد الشيعي العبيدي ورد انحرافاته عن المجتمع الإفريقي : المقاومة السلبية، ونعني بها المقاومة الجماعية التي قاطع بها علماء القيروان كل ما له صلة بالتشيع أو بالحكم القائم، وتمثلت تلك المقاومة في مقاطعة قضاة الدولة وعمالها، ورفض من استطاع منهم دفع الضرائب لها[1].

ومن العلماء من اختار العزلة والتخفي عن أعين بني عبيد، وقد مر معنا ذكر هذا الصنف سابقا في الحديث عن الموقف السلبي، ووصل الأمر بالعلماء إلى عدم حضور الصلوات في المساجد التابعة لبني عبيد وخاصة صلاة الجمعة، و ذلك فرارا من دعوتهم وتبديعا لإقامتها بأسمائهم، حيث كان أئمة بني عبيد يجعلون الجمعة مناسبة لهم لبث دعوتهم الشيعية وسب صحابة رسول الله – عليه الصلاة والسلام – : "فتعطلت الجمعة دهرا"[2].

ومن هؤلاء العلماء من اكتفى بالدعاء عليهم، كما كان يفعل الواعظ "عبد الصمد"، وكما كان يفعل الفقيه

(*) جاء موقف المالكية من فتنة بني عبيد قبل زمن دخولهم القيروان، فقبل أن يقدم العبيديون إليها حاكمين كان المالكية يرقبون قدومهم في حذر شديد، مخوفين الأمة من ضلالاتهم، متأهبين لمقاتلتهم، مظهرين عداوة شديدة لهم، كل هذا ولما يروا بعد أفعالهم ولما يسمعوا مباشرة منهم نوع تعاليمهم ومعتقداتهم، فكيف إذن حين رأوا انحرافاتهم العقدية والفقهية بأم أعينهم، فجاءت مقاومتهم طبيعية وضرورة ملحة لحماية المذهب المالكي السني من كل ما يحاول زعزعته وتشوهه ويحاول القضاء عليه.
ينظر : عبد العزيز المجذوب ، المرجع السابق ، ص185.

[1] – **إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص323.**

[2] – **ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص277.**

أبو إسحاق إبراهيم السبائي (ت350هـ/967م)[1]، حيث تروي كتب السير و التراجم في ترجمت هذا الأخير أنه كان إذا رقى رقية يقول فيها بعد قراءة "الفاتحة" و"قل هو الله أحد" و "المعوذتين" : « ببغضي في عبيد وذريته وحبي في نبيك وأصحابه وأهل بيته، إشف كل من رقيته »[2] .

ومن مظاهر المقاومة السلبية أيضا : مقاطعة كل من يسير في ركب السلطان واعتزاله، وكل من له صلة به أو سعى إلى تبرير وجوده، وتمثل العلماء هذا الموقف[3] عملا بقوله تعالى :{ لاَّ تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا ءابآءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم...}[4].

فهذا الفقيه خلف الله بن أبي القاسم البرادعي(ت نحو400هـ/1009م) وقد مر ذكره، قام عليه فقهاء القيروان، بحجة صلته بملوك بني عبيد وتأليف كتابا في صحة نسبهم فأفتى الفقهاء بطرح كتبه وعدم قراءتها[5].

ومن مظاهر هذه المقاومة أيضا، ما جرى في حادثة دخول أبي عبد الله وزوال دولة بني الأغلب، فخرج بعض علماء القيروان ممن خرج لاستقبال الشيعي، وكأن هذا الذي حصل قد بث في نفوس بعض العلماء نوعا من اليأس والإستسلام للأمر الواقع، لكن ما راعهم إلاَّ و"جبلة بن حمود الصدفي"[6]يهاجمهم في عنف وهو يقول : " اللهم لا تسلم من خرج يسلم عليه "، واغتم لذلك غما شديدا[7].

ثم كان وصول عبيد الله، فدخل القيروان، لكنه ما إن خطب خطبته الأولى في جامع القيروان وسمع فقهاء القيروان ما لا يجوز سماعه، قام الفقيه "جبلة بن حمود" ومشى بينهم حتى خرج من باب الجامع وهو يقول : " قطعوها قطعهم الله "[8]، فمن حينئذ ترك العلماء حضور جمعتهم « وما حضرها أحد من أهل العلم بعدُ » [9].

---

[1] – هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي الزاهد، سمع من أبي جعفر القصري وأحمد بن نصر وغيرهم، وكان واحد زمانه ورعا وزهدا وعقلا، مباينا لأهل البدع، شديد الغلظة عليهم، قليل المداراة لهم، وكان –رحمه الله– شديد العداوة لبني عبيد مجاهرا لهم بالسب، وتوفي في رجب سنة356هـ/967م. **ينظر : الدباغ ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 63–73.**

[2] – **نفسه ، ص68.**

[3] – **إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص293 .**

[4] – **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع ، ط1 ؛ دمشق – سورية : دار الفكر ، 1428هـ–2007م ، سورة المجادلة ، الآية 22.**

[5] – **القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 256–258.**

[6] – هو أبو يوسف جبلة بن حمود عبد الرحمان الصدفي، ولد سنة 210هـ/825م، سمع من سحنون ومن جماعة من علماء مصر كأبي إسحاق البرقي وغيرهم، كان أزهد أهل زمانه، كان شديد على بني عبيد مبغضا لهم، محرضا العامة لقتالهم، توفي 297هـ/910م. **ينظر : المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص27–29.**

[7] – **نفسه ، ص 42.**

[8] – **نفسه ، ص43.**

[9] – **محمد الطالبي ، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض ، تونس : الجامعة التونسية للنشر و التوزيع ، 1388هـ–1968م ، ص285.**

فهكذا كان موقف فقهاء القيروان ضد كلِّ من سوَّلت له نفسه التقرب من بني عبيد تحت أيِّ شكل من أشكال المداهنة، وأعلنوا موقفهم صريحا في بغض بني عبيد، ومحاولة إجتثاث محبتهم من قلوب أهل افريقية وخاصة العامة منهم، لألاَّ يغتروا بهم وينظموا تحت مسارهم الشيعي، وعليه كان هؤلاء الفقهاء المالكية قد وضعوا اللبنة الأولى في تقويض المذهب الشيعي بإفريقية، لتتابع أساليب المقاومة الأخرى، ما تمخض بشكل أو بآخر الإطاحة بهذا المذهب الدخيل ببلاد المغرب الإسلامي عامة و إفريقية على وجه الخصوص .

ثانيا: المقاومة العلمية (المناظرات):

لقد كانت المقاومة الجدلية هي أقوى وأوسع أنواع المقاومة التي قام بها علماء إفريقية ضد المذهب الشيعي العبيدي، وقد سطع في سماء هذه المساجلات العلمية و المناظرات العقدية كوكبة غفيرة من العلماء المالكية، كانوا لسان أهل السنة و أعلام المذهب المالكي المنافحين عن دين الإسلام والذاّبين عنه الانحرافات العقدية والفقيهة الشيعية[1].

وعلى إثر مضايقة العبيديين لفقهاء المالكية ،برزت منهم فئة نصرت المذهب المالكي بمناظرة علماء العبيديين ، حيث اتبع العبيديون المناظرة كوسيلة لإقناع الناس بتغيير مذهبهم والانظمام اليهم[2]، فكانوا يستدعون أحيانا

[1] – إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص225.

[2]– علياء هاشم ذنون محمد المشهداني ، فقهاء المالكية دراسة في علاقتهم العلمية في الأندلس و المغرب حتى منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي ، مذكرة مكملة لنيل شهادة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي ، إشراف : مزاحم علاوي الشاهري ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، 1424هـ–2003م ، ص140.

بعض علماء السنة المالكية لمناظرتهم حول بعض القضايا الخلافية بينهم : كمسألة القياس[1]، والقيام في رمضان[2]، وأيضا فضائل الصحابة[3]، ومسألة الإمامة[4]، وغيرها...

وممن سطع نجمه من علماء المالكية في هذا الميدان نذكر منهم :

- ابن البرذون(ت299هـ/911م)، فكان كما ذكرت سابقا فقيها بارعا في العلم، لم يكن في شباب عصره أقوى على الجدل والمناظرة وإقامة الحجة على المخالفين منه، ومن نماذج مناظراته مع شيعة بني عبيد والتي كانت سببا في نقمة العبيديين عليه وقتله، قوله لهم : « كان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقيم الحدود بين يدي عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - و يُعينه على أموره، فلو لم يكن عنده إمام هدى، مستحقا للتقدمة ما فعل ما فعل »[5].

وممن سطع نجمه في هذا الميدان أيضا : الفقيه ابن التبان(ت371هـ/981م)، فقد كان أشد الناس بغضا لبني عبيد ومناظرة لهم و التشهير عليهم، وقد اشتهر بسبب سعة علمه وكثرة مناظراته مع بني عبيد أن ذاع صيته واشتهر أمره، حتى كانت تضرب أكباد الإبل من كل مكان من الأمصار للأخذ عنه، لِما سمعوه من ذبه عن

---

[1] - **القياس**: هو حمل معلوم على معلوم لمساواته في علة حكمه عند الحامل، ومعنى الحمل مشاركة أحد المعلومين للآخر في حكمه، وهو على أربعة أركان : الأصل وهو المقيس عليه، والفرع وهو المقيس، وحكم الأصل، و العلة.

والدليل على حجية القياس من الكتاب و السنة و الإجماع، **وللمزيد ينظر : حسن بن محمد المشاط ، الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة ، تح : عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان ، ط2 ؛ بيروت – لبنان : دار الغرب الإسلامي ، 1411هـ-1990م ، ص ص197-206.**

[2] - **صلاة التراويح**: هي عبارة عن قيام ليالي في رمضان، وهي سنة كما يسن قيام غيره من الليالي، وتسمى صلاة التراويح من الراحة، كانوا يستريحون بين كل أربع ركعات، وأدلة مشروعيتها واردة في نصوص من الكتاب والسنة وعمل الصحابة، ولم ينكرها إلاَّ الشيعة لأنهم يرونها من فعل عمر -رضي الله عنه-، و للمزيد **ينظر : محمد بن صالح العثيمين ، مذكرة فقه ، تح : صلاح الدين محمود السعيد ، ج1 ، ط1 ؛ القاهرة – المنصورة : دار الغد الجديد للنشر والتوزيع ، 1428هـ- 2007م ، ص ص 182-183.**

[3] - **فضائل الصحابة**: هو أصل من أصول أهل السنة و الجماعة بخلاف الشيعة، وهي سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله - عليه الصلاة و السلام -، سلامة القلب من البغض والغلِّ والحقد والكراهية، وسلامة ألسنتهم من كل قول لا يليق بهم، والثناء عليهم والترضي عنهم، والآيات والأحاديث في مدحهم وبيان فضلهم أكثر من أن تحصى ، و للمزيد **ينظر : محمد بن صالح العثيمين ، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ، ج1 ، ط2 ؛ جدة – الرياض : دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع ، 1419هـ-1998م ، ص 247-252.**

[4] - **الإمامة**: مصطلح ديني يعني عند أهل السنة موضوع لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع، و الشروط المعتبرة في أهل الاختيار : كالعدالة و العلم الشرعي و الرأي و الحكمة، كما أن أهل الإمامة لابد له من شروط: كالعدالة و العلم الشرعي وسلامة الحواس وغيرها... ما تؤهله لمباشرة الحكم والسياسة بعدل، وأول الأئمة بعد رسول الله- عليه الصلاة والسلام- أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم-، ثم تتابع الأئمة من بعدهم ووقع الاختيار من طرف أهل الحل والعقد، وهو بخلاف الشيعة الذين يحصرون الإمامة في علي - رضي الله عنه - وذريته حتى أُطلق على طوائف من الشيعة لقب الإمامة وذلك لكثرة الإشتغال به، و للمزيد **ينظر : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية ، تح : أحمد مبارك البغدادي ، ط1 ؛ الكويت : دار ابن قتيبة للنشر والتوزيع ، 1409هـ-1989م ، ص 3-29.**

[5] - **عبد الرحمان الدباغ ، المصدر السابق ، ج2 ، ص262.**

مذهب أهل السنة ممثلا في المذهب المالكي، وقد حفظت لنا كتب التراجم و السير بعضا من هذه المناظرات و المواقف المشهورة عنه، نذكر منها ما نقله صاحب "المعالم" : « أنهم سألوه مرة و السائل هو – عبد الله الشيعي– فقال له : أيهما أفضل أبو بكر أم علي ؟ فقال ابن التبان: أبو بكر أفضل من علي، فقال عبد الله الشيعي : أيكون أبو بكر أفضل من خمسة جبريل سادسهم ؟ فقال عبد الله التبان: أيكون علي أفضل من اثنين الله ثالثهما ؟ أقول لك ما بين اللوحين – أي في القرآن الكريم – وتقول لي أخبار الآحاد. فضاق عبد الله فقال: من أفضل عائشة أو فاطمة ؟ فقال له ابن التبان: عائشة وسائر أزواج النبي – عليه الصلاة و السلام أفضل من فاطمة ؟ فقال له فمن أين هذا ؟ فقال ابن التبان: قال الله تعالى :{ يا نساء النبيء لستن كأحد من النساء.....}[1]، وفضل عائشة لأمرين اثنين:

الأمر الأول: أن عائشة إذا مات عنها زوجها أو طلقها لم تحل لمسلم آخر، بخلاف فاطمة لها أن تتزوج بعد علي، و الأمر الثاني: أن عائشة مع النبي – عليه الصلاة و السلام — في درجته وفاطمة مع علي في درجته، ودرجة النبي – عليه الصلاة و السلام – لا تساوي درجة علي »[2].

وبعد أن هزمهم في مجلس المناظرة، لم يخجلوا أن يُعرضوا ا عليه أن يدخل في نحلتهم، ولكنه أبى وقال : " شيخ له ستون سنة يعرف حلال الله وحرامه، ويرد على اثنتين وسبعين فرقة، يقال له هذا ؟ لو نشرتموني في اثنتين ما فارقت مذهب مالك"[3]. ولما خرج من عندهم بعد يأسهم منه، تبعه أعوان دولة بني عبيد وسيوفهم مسلطة عليه ليخافوهم الناس، لكن الفقيه ابن التبان و في هذه اللحظات الحرجة كان يقدم للعامة النصيحة ويقول لهم : « تشبتوا، ليس بينكم وبين الله إلا الإسلام، فإن فارقتموه هلكتم »[4].

---

[1] – سورة الأحزاب، الآية (32).

[2] – الدباغ ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 92–93.

[3] – نفسه ، ص93.

[4] – نفسه ، ص93.

ومما يذكر عنه أيضا ، أنه كان يوما بالمنستير يوم عاشوراء، فلما رأى جمع بني عبيد بكى، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال: « والله ما أخشى عليهم من الذنوب، لأن مولاهم كريم، وإنما أخشى أن يشكوا في كفر – إعتقادات – بني عبيد فيدخلوا النار »[1].

فهذا إن دل على شيء يدل على براعة الفقهاء المالكية و مكانتهم العلمية العالية في الاحتجاج على الخصم في ضوء الكتاب والسنة و إفحامه بالحجة الواضحة البينة، ويبرز أيضا مدى الشجاعة التي كان يتمتع بها هؤلاء العلماء المالكية في القيروان في الإقدام في نصرة الحق دون مهابة سطوة السلطة العبيدية.

إلاَّ أن بطل هذه المساجلات بلا منازع، وفارس حلقتها بلا مدافع هو الإمام : أبو عثمان سعيد بن الحداد (ت302هـ/ 914م)[2]، لسان أهل السنة و ابن حنبل المغرب[3]، قال عنه "الخشني" : « وكانت لأبي عثمان مقامات كريمة و مواقف محمودة في الدَّفع عن الإسلام و الذبِّ عن السنة، لم يتلعثم لفضاعة المقام ولا أحجم لهيبة السلطان، وكان يقول : حسبي من له غضبت وعن دينه ذببت »[4].

والسبب في مناظراته مع بني عبيد، أنهم لما دخلوا القيروان أظهروا تبديل مذهب أهل البلد و أجبروا الناس على اعتناق مذهبهم بطريقة المناظرة و التهديد بالقتل، فأخافوا أهل إفريقية و لجؤوا إلى الفقيه سعيد بن الحداد فسألوه التقية فأبى وقال : « قد أربيت على التسعين و مالي في العيش حاجة، ولا بد لي من المناظرة و المناضلة عن الدين، وأن أبلغ في ذلك عذرا، ففعل ذلك و صدق، وكان هو المعتمد عليه بعد الله – عز وجل – في مناظرة الشيعة وإفحامهم »(*)[5] .

وكانت هذه المجالس التي تدور فيها المناظرات على قسمين:

---

[1] – **القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تح : سعيد أحمد عراب ، ج6 ، ط1 ؛ المملكة المغربية : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، 1401هـ– 1981م ، ص252.**

[2] – هو أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح الغساني ويعرف بابن الحداد، سمع من سحنون التنوخي، كان عالم ثقة في الفقه والكلام و الدب عن الدين و الرد على المخالفين، وله مقامات مشهورة في مناظرة بني عبيد، توفي –رحمه الله– سنة 302هـ/914م. **ينظر : المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص57–58.**

[3] – **إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص328.**

[4] – **الخشني ، المصدر السابق ، ص258.**

(*) **لمعرفة مواضيع مناظرات أبو عثمان سعيد بن الحداد مع العبيدين بإفريقية، ينظر : الملحق رقم 11.**

[5] – **الدباغ ، المصدر السابق ، ج2 ، ص298.**

* مجالس عامة : يشترك فيها عدد كبير من علماء السنة على اختلاف مذاهبهم الفقهية لمناظرة الشيعة بإفريقية، وكانت هذه المجالس سببا في توحيد أهل العلم من هذه المذاهب الفقهية، وأزالت كل ما كان بينهم من أحقاد وخلافات[1]، حتى قال "المقدسي" في كتابه "أحسن التقاسيم" وكان قد زار المغرب و دخل القيروان في هذه الفترة فقال عنها : « ليس فيها غير حنفي و مالكي مع ألفة عجيبة، قد أقبلوا على ما يعنيهم، وارتفع الغلُّ من قلوبهم »(*)[2].

* أما القسم الثاني من هذه المجالس، فهي المجالس الخاصة : وكان يحضرها رجل واحد من علماء المالكية مُمثلا في شخص الإمام "ابن الحداد" ونادرا ما يكون غيره، ومناظراته إما مع أبي عبد الله الشيعي أو أخوه أبو العباس[3].

فهذه بعض الجوانب التي شملتها أساليب المقاومة، وهي المقاومة عن طريق عقد مجالس المناظرات، وهي أشبه ما يكون وسيلة للتوصل إلى حلٍّ سلمي ليعم السلام والأمن بينهما، وذلك عن طريق الإقناع بالحجة ليرضخ له أحد الطرفين ويزول الخلاف بينهم، وقد رأينا سابقا أن فقهاء المالكية امتازوا ببراعة التفوق في المناظرات وإفحام الشيعة، ما أجبر هذه الأخيرة في استعمال أسلوب آخر وهو التهديد والقتل والفتك بالعلماء، ليظهر أسلوب آخر من أساليب المقاومة كنتيجة حتمية لفكِّ الضغط عنهم – أي علماء المالكية –، وهو المقاومة المسلحة وهذا ما سنسلط عليه الضوء أكثر في مجريات الحديث عن هذا الأسلوب من المقاومة.

ثالث: المقاومة المسلحة:

جاءت هذه المقاومة كحل ضروري لردِّ عدوان بني عبيد وأشياعهم بإفريقية، فبعدم نجاح الأساليب السابقة في عدم توصل إلى حلٍّ مع الشيعة، ونتيجة اضطهاد بني عبيد لعلماء المالكية وإرغامهم بالقوة للرضوخ لتعاليم مذهبهم الشيعي، أو على الأقل السكوت عن أخطائهم و انحرافاتهم الدينية، قرر علماء المالكية اختيار هذا

---

[1] – **إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص329.**

(*) وذلك أنه قد حدث صراع مذهبي فقهي طويل بين أتباع المذهب الحنفي وأتباع المذهب المالكي بإفريقية، و ذلك خلال فترة حكم الدولة الأغلبية وامتد إلى غاية قيام الدولة العبيدية بإفريقية سنة 296هـ/909م، وممن كتب في هذا الموضوع فأجاد وأفاد، **ينظر : عبد العزيز المجذوب ، المرجع السابق ، ص ص59–87.**

[2] – **شمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط2 ؛ بيروت – لبنان : دار صادر للنشر والتوزيع ، 1327هـ–1909م ، ص225.**

[3] – **إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص329.**

النوع من المقاومة، وهي حمل السلاح في وجه بني عبيد وتحريض سكان إفريقية على قتالهم واستئصال باطلهم و حماية مذهبهم المالكي.

فهذا "جبلة بن حمود الصدفي" لما دخل عبيد الله الشيعي إفريقية ونزل برقادة، ترك هذا الفقيه سكنى الرباط ونزل القيروان، فكلم في ذلك، فقال : « كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر، والآن حلَّ هذا العدو بساحتنا، وهو أشدُّ علينا من ذلك » وكان يقول أيضا : « أحرس عورات المسلمين منهم، فإن رأيت شيئا حرَّكت المسلمين عليهم »[1]، وكان ُينكر من يخرج من القيروان إلى سوسة ونحوها من الثغور ويقول : « جهاد هؤلاء أفضل من جهاد الشرك »[2].

ومنهم أيضا : الإمام أبو القاسم الحسن بن مفرِّج(ت308هـ/920م)[3]، كان ممن يحرِّض على قتال بني عبيد، فلما بلغ عبيد الله الشيعي خبره، أمر بالقبض عليه وقتله[4].

ثم إن العلماء المالكية بعدما رأو من تجرُّؤا بني عبيد على قتل العلماء والإستهانة بدمائهم، خطوا خطوة أكبر، بإصدار فتوى بوجوب قتال العبيديين، وكان ذلك بعد تشاور عدد من العلماء المالكية نذكر من بينهم : ربيع القطان(ت333هـ/499م)[5]، وأبو إسحاق السبائي(ت356هـ/967م)، وأبو حفص بن مسرور العسال (ت343هـ/954م)[6] وغيرهم...، وكان رئيس هذا الاجتماع هو : الإمام أبو الفضل المميسي (ت333هـ/944م)[7].

---

[1] – **الدباغ ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 272.**

[2] – **نفسه ، ص273.**

[3] – هم أبو القاسم الحسن بن مفرج، مولى مهرية بنت الأغلب، كان ذا عناية بالعلم وبصر بالوثائق، سمع من أصحاب سحنون، وغلب عليه الحديث وكان عالم به وبرجاله، قتله الشيعي بالمهدية وصلبه سنة 308هـ/920م. **ينظر : القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج5 ، ص130. المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص165 – 166.**

[4] – **نفسه ، ص166.**

[5] – هو سليمان ربيع بن سليمان بن عطاء الله المعروف بربيع القطان، سمع العلم بالقيروان من أبي بكر بن اللباد وأبي العرب تميم وغيرهما، وكان "ربيع" قد جمع العلم والعمل والأنس والانبساط، وكان يؤلف ويقول الشعر وكان لسان أهل إفريقية في وقته في الزهد و الرقايق، وتوفي في قتال بني عبيد في شهر صفر سنة 333هـ/499م. **ينظر : الدباغ ، المصدر السابق ، ج3 ، ص30– 34.**

[6] – هو أبو حفص عمر بن محمد بن مسرور العسال الفقيه، سمع من أبيه وأبي بكر بن اللباد، ورحل إلى مصر وسمع من أبي بكر بن العلاء، كان عالما فاضلا خيرا فقيها ثقة جيد الحفظ، مفتي أهل زمانه، توفي سنة 343هـ/954م. **ينظر : الدباغ ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 51– 52.**

[7] – هو أبو الفضل عباس بن عيسى بن العباس المميسي، كان فاضلا عالما صواما، وكان معه ورع كثير، ُقتل مع خمسة وثمانون رجلا فاضلا خيرا في حرب بني عبيد سنة333هـ/944م. **ينظر : المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 292–293.**

دارت موضوع اجتماعهم، بشأن شرعية قتال بني عبيد والخروج مع أبي يزيد مخلد بن كيداد – صاحب الحمار–، الذي كان يسيطر على معظم البلاد، وكان يتحلى بنسك عظيم، ويلبس جبة صوف وقومه له على الطاعة عظيمة، وكان يبطن رأي "الصفرية"، ويتمذهب بمذهب "الخوارج"[1]، وخرجوا من هذا الاجتماع بوجوب قتالهم : « لعلَّ الله أن يكفرِّ بجهادنا تفريطنا وتقصيرنا عما يجب علينا من جهادهم » كما قال الفقيه أبو إسحاق السبائي[2].

وهكذا تمَّ مباركة هذا الاجتماع، والخروج برأي وجوب قتال بني عبيد، واجتمع العلماء في المساجد يدعون الناس للالتفاف مع أبي يزيد للقتال(*) ، ورفعوا الألوية والرايات، وقد فرح "ربيع القطان" لما رأى هذا الجمع وقال : « الحمد لله الذي أحياني حتى أدركت عصابة من المؤمنين، اجتمعوا لجهاد أعدائك و أعداء نبيك »[3].

وهكذا خرج العلماء ومن ورائهم وجوه القوم وعامتهم في أعداد غفيرة لا يحصيها عدد، ولم يتخلف منهم أحد إلا العاجز أو من ليس عليه حرج، والتقوا بجيش بني عبيد بالمهدية سنة333هـ/944م[4]، وقد أبلى العلماء المالكية بلاء حسنا، وأظهروا شجاعة فائقة في ميدان القتال، وكادوا ينتصرون لولا خيانة – أبي يزيد – لهم، حيث أمر جنوده أن ينكشفوا عنهم بقوله : « إذا التقيتم مع القوم فانكشفوا عن أهل القيروان، حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم، فيكونوا هم الذين قتلوهم ولا نحن، فنستريح منهم! »[5]، ما أسفر عنه أن سقط في ميدان

---

[1] – **القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 29 – 30.**

[2] – **إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص340.**

(*) لقد كان انضمام علماء القيروان لأبي يزيد الخارجي لأسباب عديدة نذكر منها:

– براعة أبي يزيد في استعمال الخطاب الحماسي، الذي أظهر فيه نقمته على بني عبيد وولائه لأهل السنة فنخدع به علماء القيروان، خاصة لما رأوه من الترضي على الصحابة — رضي الله عنهم –.

– انضمام علماء القيروان لأبي يزيد ليس حبا لمذهبه، فكانوا يعرفون أنه من الخوارج، لكن رأوها ضرورة ملحة في دفع أعظم المفاسد، فكانوا يرون بني عبيد كفارا يجب قتالهم، بعكس أبي يزيد وإن كان خارجي فيرونه من أهل القبلة، يجوز التحالف معه لصد العدوان الأكبر وهم بني عبيد.

– كان أبو يزيد الخارجي يمتلك قوة عسكرية ضخمة وجيشا جرارا، إستطاع بسببه الاستيلاء على معظم ثغور بلاد المغرب الإسلامي، فرأى علماء القيروان في الانضمام تحت لوائه سبب في سحق بني عبيد والقضاء عليهم نهائيا بإفريقية. وللمزيد **ينظر : إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص ص 341–342.**

[3] – **الدباغ ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 33.**

[4] – **عبد العزيز المجذوب ، المرجع السابق ، ص 200.**

[5] – أراد أن يتبرأ من معرَّة قتلهم عند الناس و الراحة منهم، لأنه يظن إذا ُقتل شيوخ القيروان وأئمة الدين، تمكن من أتباعهم فيدعوهم إلى ما يشاء فيتبعونه، لكن الله – عز وجل – خذله مثلما خدع علماء القيروان، وتمكن الشيعي أمير إفريقية "المنصور" من القبض عليه بعدما تفرق عنه أصحابه، فقتله وصلبه ومثلَّ به، وذلك في المهدية سنة 336هـ/947م. **ينظر : ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص218.**

القتال من أئمة وعباد وصالحون نحو خمسة و ثمانون رجلا، فيهم الفقيه "ربيع القطان" والعالم الفاضل " أبو الفضل المميسي" وغيره من الأعلام المالكية المشاهير[1].

وعليه كانت هذه المقاومة المسلحة كوسيلة فعالة لما عاناه علماء القيروان من اضطهاد وقتل من قبل بني عبيد الشيعة، ولما سمعوه و رأوه من تظلم أهل افريقية من بطش بني عبيد، فاختاروا هذا الحل بعد عقد اجتماعات وتشاورات من قبل النخبة ممثلة في علماء المذهب المالكي، والخروج بضرورة قتال بني عبيد، وقد أتت هذه الوسيلة ثمارها في زعزعة الكيان السياسي لدى الشيعة في عدم الشعور بالأمن الداخلي في إفريقية، وبتتابع طرق المقاومة الواحدة تلو الأخرى، شعر بني عبيد أن لا مناص من الرحيل من إفريقية بعد أن أيقنوا رفض أهلها لمذهبهم الشيعي والتشبث الأكيد و الأخير بكلِّ ما هو مالكي.

رابعا: أساليب أخرى في المقاومة:

إلى جانب أساليب المقاومة التي مرت معنا سابقا، تفنن علماء المالكية في إفريقية في إيجاد طرق وأساليب أخرى في مقاومة المد الشيعي ودحض افتراءاته ورد عدوانه، وكانت هذه الأساليب هي الأخرى لا تقل أهمية في زعزعة ثقة بني عبيد في الاستيلاء على البلاد، وجعلتهم يتيقنون أنهم مرفوضون ولا مكان لهم بين أهالي المجتمع الإفريقي المالكي، ومن هذه الأساليب نذكر منها:

1- إبداء الفرح و السرور في أيام حزن الشيعة: من مظاهر ذلك الاحتفاء، احتفالهم في يوم عاشوراء وإبداء الفرح والسرور فيه، ومن المعلوم لدى الجميع أن يوم عاشوراء هو اليوم الذي ُفجعت فيه الأمة الإسلامية بمقتل الحسين بن علي- رضي الله عنهما - وهو أحد سبطي رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وسيدا شباب أهل الجنة، وهذا اليوم لدى الشيعة يوم حزن وحداد[2]، حيث : « أحدثوا فيه من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي، وما يفضي إليه ذلك من سب السلف ولعنهم، حتى ُيسب السابقون الأولون، و ُتقرأ أخبار مصرع الحسين- رضي الله عنه - التي الكثير منها كذب »[3].

---

[1] - **الدباغ ، المصدر السابق ، ج3 ، ص34.**

[2] - **إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص345.**

[3] - **أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية ، تح : محمد رشاد سالم ، ج4 ، ط1 ؛ السعودية : جامعة الملك سعود الإسلامية ، 1406هـ -1986م ، ص554.**

أما أهل السنة فهو يوم صوم، صامه النبي - عليه الصلاة والسلام - وندب المسلمين لصيامه، فقد روى الإمام "مسلم" في صحيحه عن أبي قتادة الأنصاري - رضي الله عنه - أن رجلا أتى النبي - عليه الصلاة و السلام – فقال : كيف تصوم ؟ وفيه قوله - عليه الصلاة و السلام - : « صيام يوم عرفة أحتسب على الله أنه ُيكفر

2- حضور المجالس العامة التي تغيظ الشيعة: ومن مظاهر المقاومة السنية المالكية للتشيع العبيدي أيضا : حضور المجالس التي كان يمنعها الشيعة خشية تأليب الناس عليهم ....، فكان كثير من العلماء يحضرونها بقصد إغاضة الشيعة العبيديين، وبيان موقفهم العدائي للمذهب الاسماعيلي الشيعي، ومن ذلك حضور "مسجد السبت"[1]، وكان هذا الاجتماع يخيف بني عبيد خوفا من اثارة أهالي إفريقية عليهم، فكان الفقيه "أبو بكر بن اللباد" يحضره وهو يخوض في الطين والمطر، فسأله رجل : " يا أبا بكر – يسلمك الله –كيف تحضر هذه المجالس وأنت تعلم أنها من البدع وقد أنكرها العلماء المالكية فأجابه ابن اللباد قائلا : قال الله تعالى :{ ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍّ نيلا الاَّ ُكتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين }[2]، وحضور هذا المسجد ُيغيظ بني عبيد فأنا أحضره نكاية بهم[3].

3- المقاومة عبر التأليف: كانت المقاومة عبر التأليف و نظم الشعر أيضا من الوسائل المجدية و النافعة في دفع و رد انحرافات بني عبيد الدينية بإفريقية ، فكان لها الأثر الحسن في تبصير العامة بالحق و إرساء دعائم أهل السنة، و كانت هذه المؤلفات تنقسم إلى نوعين :

النوع الأول : المؤلفات التي تتناول مسائل العقيدة جملة وفق منهج أهل السنة و الجماعة في إطار المذهب المالكي، كمسائل الإمامة و أفضلية أبي بكر و عمر و عثمان على علي – رضي الله عنهم – ...الخ.

النوع الثاني: المؤلفات المتخصصة في الرد على الشيعة خاصة على عقائدهم الباطلة، وقد جاءت هذه المؤلفات نتيجة مناسبات خاصة أوجبت على علماء المالكية الرد عليهم، وتفنيد شبههم ودحض افتراءاتهم[4].

السنة التي قبله و السنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أنه ُيكفر السنة التي قبله ». **ينظر : الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن ، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ، مج1 ، ط1 ؛ الرياض – السعودية : دار طيبة للنشر و التوزيع ، 1427هـ–2006م ، ص 518–519 ، رقم الحديث 1162.**

[1] – مسجد السبت أو المسجد العربي، كان يحضره متصوفة إفريقية وزهادها، ينشدون فيه الأشعار في الزهد و الرقايق، ويقرؤون آيات من كتاب الله – عز وجل – و غيرها.....، وكان البعض من علماء المالكية كيحي بن عمر و أبو الحسن القابسي وأبو عمران يرون ذلك – بدعة –لم يكن على عهد السلف – رضوان الله عليهم –، **ينظر : الدباغ ، المصدر السابق ، ج3 ،ص 24–25.**

[2] – **سورة التوبة، الآية (120).**

[3] – **الدباغ ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 24.**

[4] – **إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص349.**

ومن بين هذه المؤلفات المالكية في الردِّ على الشيعة نذكر : كتابي "الإمامة" اللذين ألفهما الإمام محمد بن سحنون (ت255هـ/869م)[1]، وهما أعظم ما ُألف في هذا الفن و ما ُألف في هذا الفن مثلهما[2]، وكتاب "الإمامة" لأبو إسحاق إبراهيم عبيد الله الزبيري-القلانسي-(ت359هـ/970م)، مما دعا الخليفة "القائم بأمر الله" إلى ضربه وسجنه والتنكيل به[3]، كما صنف الفقيه المالكي المشهور سعيد بن الحداد (ت302هـ/914م) كتاب في الرد على الشيعة سماه "كتاب المقالات"[4].

إلى جانب هذا ظهرت طريقة أخرى في باب التأليف أيضا، وهي نظم الشعر الهجائي لهجو بني عبيد وذمهم، نذكر منهم : أبو القاسم الفزاري(ت345هـ/956م)، فمن شعره في هجو بني عبيد قوله في وصفهم:

عبدوا ملوكهم وظنوا أنهم نالوا بهم سبب النجاة عموما

وتمكن الشيطان من خطواتهم فأراهم عوج الضلال قويما

رغبوا عن الصديق و الفاروق في أحكامهم لا سلموا تسليما[5].

ومنهم أيضا الفقيه "سهل الوراق"[6]، له قصائد في ذم الشيعة وهجوهم ووصفهم بأقبح الصفات، فمن ذلك وصفه لظلم بني عبيد بإفريقية قوله:

فلقد كسا طول البلد وعرضها من جوركم ما فاق كل صفات

قوم إساءتهم إليك بقدر ما أحسنت، لا بل مثله مرات

---

[1] – هو أبو عبد الله محمد بن سحنون، سمع من أبيه سحنون و من موسى بن معاوية الصمادحي، ورحل إلى المشرق وسمع من بعض علمائها، كان في مذهب مالك من الحفاظ المتقدمين وفي غير ذلك من المذاهب من الناظرين المتصرفين، وكان كثير الوضع للكتب، غزير التأليف، توفي – رحمه الله – سنة 255هـ/869م، وكان مولده على رأس المائتين. **ينظر : الخشني ، المصدر السابق ، ص 178 ،182.**

[2] – **محمد الطالبي ، المرجع السابق ، ص 175.**

[3] – **يوسف بن أحمد حواله ، المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 110–111.**

[4] – **أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، طبقات النحويين و اللغويين، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط2 ؛ القاهرة – مصر : دار المعارف للنشر و التوزيع ، ص239.**

[5] – لقراءة قصيدته كاملة ، **ينظر : المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص494.**

[6] – هو سهل بن إبراهيم الوراق، من شعراء القرن الثاني للهجري/الثامن ميلادي ومن أدباء القيروان، كان ينظم شعرا حسنا في هجاء بني عبيد. **ينظر : ياقوت الحموي ، معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب – ، تح : إحسان عباس ، ج3 ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : دار الغرب للنشر والتوزيع 1413هـ–1993م ، ص1413.**

وأحلَّ دار البحر في أغلاله من كان ذا تقوى وذا صلوات

فعليه ما لبيَّ الحجيج وطوَّفوا وعلى ذويه، خوالد اللعنات[1].

هذا ما تيسر الوقوف عليه في أمر جهود علماء المالكية في التصدي و مقاومة التشيع العبيدي بإفريقية ودحض شبههم وافتراءاتهم ورد عدوانهم، ويتضح مما سبق أنها كانت جهود عظيمة وبأساليب متنوعة أسهمت بشكل مباشر وفعال في كسر شوكة بني عبيد ورد عدوانه وزعزعة كيانه وإبطال مذهبه، كما شكلت هذه المقاومة المالكية ملاذا آمنا لأهل إفريقية في أن يحتموا بها في وجه بني عبيد، ونتيجة لتلك الإستماتة في نصرة المذهب المالكي و الذوذ عنه بكل ما أوتوا من وسائل، سنرى لاحقا ما تمخضت عنه هذه الأحداث من آثار و نتائج إنعكست بصورة واضحة في إثراء جوانب الحياة المختلفة بإفريقية، وأخيرا انتصار المذهب المالكي السني، وسلامة بلاد المغرب الإسلامي عامة وإفريقية خاصة من فكر التشيع، ليظل سنيا إلى يوم الناس هذا، وهذا ما سنتعرف عليه أكثر لاحقا.

[1] – المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 497–498.

المبحث الثالث: أثر الصراع المذهبي الشيعي – المالكي بإفريقية

إن ذلكم الصراع المذهبي الطويل الذي جرى بين السنة المالكية و الشيعة العبيدية، ترك آثار وانعكاسات واضحة المعالم في جميع جوانب الحياة المختلفة بإفريقية، وخاصة في المجال العلمي والإجتماعي والسياسي، ما نتج عنه زوال المذهب العبيدي بإفريقية و انتصار المذهب المالكي السني، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المبحث بشيء من التفصيل .

أوّلا: الأثر العلمي:

إن الصورة التي قدمتها لنا كتب التاريخ و كتب الطبقات والتراجم العائدة إلى هذه الفترة أو بعدها عن الصراع المذهبي بين المالكية والشيعة بإفريقية، كانت له تداعيات على التعليم، حيث جند كل طرف وسائله و إمكاناته لمواجهة الآخر ومحاولة الظهور عليه والانتصار عليه[1]، وتجلى ذلك بصورة واضحة في تطور حركة التعليم المذهبي التي لم تكن قد عهدتها إفريقية من قبل.

1) تطور حركة التعليم المذهبي:

من المعروف أن التعليم أساسه التربية، والتربية عملية تهذيب نفس الإنسان، وقهر قواه الغضبية أو الشهوية ، وتمر بمراحل لكل مرحلة خصائص بحيث تحقق الغرض المقصود للجماعة[2].

وقد تجلت حركة التعليم المذهبي في خضم الصراع المذهبي بإفريقية في صورتين اثنين:

أ)- عقد المجالس العلمية المذهبية:

حيث لم يكن التعليم في المغرب الإسلامي و إفريقية مقيدا بقوانين تفرضها الدولة، وإنما كان حرا لا قيود عليه غير القيود التي يُقرها ويفرضها العرف والعادة[3]، لأن التعليم آنذاك يعد حرفة من الحرف، فحلقات العلم في الجوامع والمساجد والبيوت كانت أظهر أثر علمي للصراعات المذهبية آنذاك، فلقد كان الطلبة يتحلقون حول

---

[1] – إسماعيل سامعي ، قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي ، الجزائر : الديوان المطبوعات الجامعية ، 1433هـ–2012م ، ص ص 66–67.

[2] – نفسه ، ص67.

[3] – محمد عادل عبد العزيز ، التربية الإسلامية في المغرب – أصولها المشرقية وتأثيراها الأندلسية –، مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1407هـ–1987م ، ص7.

شيوخهم فقهاء المالكية، يتلقون ما يُثبت عقيدتهم، وما يحافظ على شريعتهم، إصرارا منهم على التصدي للمدِّ الخطير للمذهب الشيعي، ولم تفلح محاولات الدولة في منعهم[1].

ومن أمثلة ذلك ماروته كتب التراجم والطبقات أن الفقيه المالكي "أبا بكر بن اللباد"الذي سبق ذكره، امتحن بسبب أنه كان يفتي بغير مذهب السلطة العبيدية، وقد ضيقت هاته الأخيرة الخناق عليه، لكن الفقية المالكي – وهذا الشاهد – لم ينصع إلى ذلك، وفتح باب داره يُقبلون عليه طلبته لإلقاء الدروس خفية عن أعين بني عبيد[2].

أما حلقات الدرس والمذاكرة علنا، فقد تجلى بصورة واضحة فى حادثة الانضمام لأبي يزيد في قتال الشيعة، حيث انتصب الفقيه المالكي أبو العرب التميمي(ت333هـ/944م)[3] للتدريس في المسجد الجامع بالقيروان، وكان يُقرأ الناس كتابي "الإمامة" للعالم القيرواني "محمد بن سحنون" لدفع غلوِّ الشيعة في مسألة الإمامة[4]، ومثل هذا الأمر حدث مع فقهاء القيروان أمثال : ربيع القطان[5]، وأبو إسحاق السبائي[6]وغيرهم .

هذا بالنسبة لمجالس المالكية، أما بالنسبة لما انتهجه العبيديون في هذا الصدد فمفهوم العلم والتعليم عند الإسماعيلية يختلف عما عند غيرهم[7]، والمنهج الذي أُتبع عندهم في التلقين هو منهج الهدم والبناء، ويخلصون إلى أن العلم خزائنه الأئمة[8].

---

[1] – **يوسف بن أحمد حواله ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 102.**

[2] – **المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص287.**

[3] – هو أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي، كان جده تمام من أمراء إفريقية، سمع أبو العرب من جماعة من أصحاب سحنون وأكثر رجال إفريقية، كان رجلا صالحا ثقة عالما بالسنن والرجال، كثير الكتب حسن التقيد، كان حافظا للمذهب المالكي معتنيا به، كما كان ممن خرج لقتال بني عبيد بالمهدية، توفي – رحمه الله – سنة 333هـ/944م لسبع بقين من رجب، ومولده سنة 251هـ/865م. **ينظر : القاضي عياض ، المصدر السابق ، ج5 ، ص323–326.**

[4] – **المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص310.**

[5] – فقد ذكر القاضي عياض: " أنه كانت له حلقة بجامع القيروان أيام أبي يزيد، يجتمع فيها طلبته " وللمزيد **ينظر : القاضي عياض ، المصدر السابق، ج5 ، ص310.**

[6] – **ينظر : الدباغ ، المصدر السابق ، ج3 ، ص71.**

[7] – فيرى العبيديين أن العلم هو الحياة، والتعليم يعني القيامة من موت الجهل، والتعليم والتعلم مهمة إلاهية....، وللمزيد عن التعليم عند العبيديون **ينظر : هاينز هالم ، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم ، إعداد : صحيفة صوت الأخدود الإلكترونية ، http://www.okhdood.com ، ص15 .**

[8] – يقول المؤرخ الشيعي "الكرماني" في التعليم عندهم : " ليس لأحد أن يعلم أحدا شيئا من الدين، ورسوم العبادة والإيمان واليقين غير القائم مقام النبي– عليه الصلاة والسلام– الذي هو الإمام......"، فيتبين بوضوح من خلال هذا القول، مدى دهاء الشيعة في محاولة تمرير مذهبهم بهذا الأسلوب وهو حصر العلم في الإمام من أئمتهم لألايطلع أتباعهم على المذاهب السنية الأخرى المناقضة له، وللمزيد **ينظر : إسماعيل سامعي ، المرجع السابق ، ص69.**

وبقدوم بني عبيد إفريقية، حشدوا جهودهم في سبيل نشر مبادئ مذهبهم على نطاق واسع بين السكان، بتسخير حلقات الدرس في المساجد وقصور الخلفاء لخدمة هذا الغرض[1]، وقد انتصبت تلك المدارس والمجالس في المهدية أيام الخليفة عبيد الله الملقب بالمهدي، وابنه القائم[2].

كما كانت مجالس المناظرات من أهم وسائل التعليم المذهبي، وإذا كان الفقهاء يجلبون إليهم أكثر التلاميذ، لأن الفقهاء يعلمون العلم الذي يؤهل أصحابه لتولي مناصب يعيشون منها، فإن مجالس العلم والفكر والحكمة لدى الشيعة العبيديين كانوا يرونها تجذب إليهم صفوة المتعلمين[3].

ب) – الحركة التأليفية المذهبية:

لقد كان للصراع المذهبي بإفريقية أثره الواضح في إثراء الحركة التأليفية، حيث انبرى رجال وعلماء كل مذهب في التأليف المذهبي وفق ما يخدم أغراض الجماعة، ولقد كان للفقهاء المالكية حركة نشطة في تأليف المؤلفات التي ترد على عقائد المذهب العبيدي، منهم الفقيه أبو إسحاق الزبيري القلانسي صنف كتابا في الإمامة، والفقيه محمد بن سحنون صنف كتابي في الإمامة، كما صنف الفقيه ابن الحداد كتابا سماه المقالات في الرد على الشيعة....وغيرهم من الفقهاء المالكية، حرصا منهم في حماية المذهب المالكي السني من افتراءات الشيعة بإفريقية[4].

أما إذا نظرنا إلى الطرف الآخر من العبيديين، فقد برز في هذا الشأن القاضي النعمان حيث ألف العديد من الكتب جاءت صريحة في خدمة المذهب الشيعي نذكر منها كتاب دعائم الإسلام في ذكر الحلال و الحرام...وكتاب افتتاح الدعوة وكتاب المجالس و المسايرات...وغيرها[5].

---

[1] – يوسف بن أحمد حواله ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 106.

[2] – نفسه ، ص106.

وحول المجالس العبيدية بإفريقية، ينظر : حسن إبراهيم حسن ، طه أحمد شرف ، المرجع السابق ، ص ص330–331.

[3] – متيز آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ، تعريب : محمد عبد الهادي أبو بريدة ، ج1 ، ط5 ؛ بيروت – لبنان : دار الكتاب العربي ، 1405هـ–1986م ، ص297.

[4] – يوسف بن أحمد حواله ، المرجع السابق ، ج2 ، ص ص110–111.

[5] – نفسه ، ص 114.

وما تجب ملاحظته في هذا المجال هو أن الصراع المذهبي أثر تأثيرا بليغا على توجه حركة التعليم العام وجهتين: **الأولى** إيجابية فلولا الصراع لما كانت حركات فكرية، فهو الذي غذاها و نماها حتى كانت الحياة العقلية و الدينية بالقيروان لا تختلف عن سواها ببغداد أو مصر في عصور ازدهارها، ولا يخفى أن من نتائجه إقبال العلماء من كل مذهب على طلب العلم و التبحر فيه ... حتى نبغ منهم رجال برز بعضهم في الفقه، وبعضهم أتقن فن الجدال و المناظرة ... ونافسوا أهل المشرق في ذلك وبعضهم صار مشهورا بعلمه مشرقا و مغربا[1]، وأصبح رجال كل مذهب يستقطبون عددا من الطلاب و بالتالي جعل التعليم ينتشر أكثر، و **الثانية** سلبية بأن جعل الصراع في مجال التعليم في المستويات العليا يغلب عليها منهج تعليم أصول المذهب دون غيره مما قلل من المساحة الفكرية[2].

ثانيا: الأثر الإجتماعي:

يتألف المجتمع الإفريقي القيرواني من أجناس عديدة من عرب و بربر، ولكن شاءت لها التيارات السياسية و الخلافات الفكرية و المذهبية ألا تتآلف تآلفا تاما.

وبدءا يمكن أن نلقي نظرة على التركيبة الإجتماعية للمجتمع الإفريقي إبان فترة الصراع المذهبي الشيعي – المالكي بإفريقية قبل أن نستخلص أثر هاته الأخيرة على الحياة الإجتماعية، فيتكون المجتمع الإفريقي من عدة طبقات يمكن حصرها كالآتي :

1- الطبقة الأرستقراطية العربية و يمثلها أرباب الحكم من الخلفاء العبيديين و الولاة و قادة الجيش.

2- الطبقة الخاصة والتي تشمل كبار رجال الدولة و يمثلها في عهد العبيديين رجال كتامة الذين ناصروهم و سعوا جادّين لنشر دعوتهم بين الناس قسرا.

3- طبقة التجار و كان لها تأثير شعبي لا يُنكر[3].

---

[1] – عبد العزيز المجدوب ، المرجع السابق ، ص240.

[2] – إسماعيل سامعي ، المرجع السابق ، ص74.

[3] – عبد العزيز المجدوب ، المرجع السابق ، ص ص235–236 . و ينظر : ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص120–121.

4-طبقة رجال العلم و الدين ممثلة في فقهاء و علماء المذهب المالكي، حيث كان لهاته الأخيرة نفوذ أدبي و روحي على عموم المجتمع القيرواني[1] .

وبقيام الدولة العبيدية الشيعية بإفريقية وما ميز الأوضاع من اضطرابات و فتن نتيجة الصراع المذهبي العنيف مع فقهاء المالكية، انعكس هذا الوضع إيجابا من ناحية و سلبا من ناحية أخرى على الحياة الإجتماعية بإفريقية كالآتي:

الآثار الإيجابية: فباضطهاد الحكام العبيديين للفقهاء المالكية والتضييق عليهم ومحاولة القضاء عليهم، ولاستماتة هؤلاء الفقهاء في سبيل نصرة المذهب المالكي ومدى صبرهم على المحن و المصائب التي ألمت بهم، ما أدى إلى أن ارتفعت المكانة الاجتماعية لهؤلاء الفقهاء في أعين المجتمع الإفريقي وأضفت عليهم إجلالا و هيبة لدى العامة، ما جعلتهم يلتفون حول الفقهاء المالكية مساندة و نصرة لهم يدا واحدة في توحيد الجهود و القوى في تقويض المذهب العبيدي بإفريقية، وزادت من تماسك المجتمع الإفريقي أكثر من ذي قبل[2].

كما لعب الفقهاء دورا اجتماعيا هاما في مقاومة الفساد أثناء الحكم العبيدي في شتى مظاهره، حيث أحيوا شعيرة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و مساعدة الفقراء و المساكين،و مشاركة السكان همومهم وقضاياهم[3] و بالتالي خلق نوع من التكافل الاجتماعي بين أسر المجتمع الإفريقي.

كما لا ننسى أمرا مهما أنه بالرغم من جور السلطة العبيدية و محاولتها امتهان المقومات الدينية و المقدسات الروحية المالكية، كانوا أحيانا بين الفترة و الأخرى يخشون المجتمع الإفريقي فيظهرون العطف عليها بتوزيع الأموال أو إعفاء الفلاحين سنة من الخراج ....ما خلق نوعا من فترات الهدوء و الإستقرار الاجتماعي[4].

أما بالنسبة للآثار السلبية: فلقد خلف الصراع المذهبي آثارا سلبية جسيمة على المجتمع الإفريقي، حيث بلغ التعفن الاجتماعي أقصى مداه في عهد الدولة العبيدية، حيث عمد الشيعة العبيديون إلى إنزال الويلات بالناس،

---

[1] – **عبد العزيز المجدوب ، المرجع السابق ، ص236.**

[2] – **حفيظ كعوان ، المرجع السابق ، ص51.**

[3] – **عبد العزيز المجدوب ، المرجع السابق ، ص237.** حيث ورد في رياض النفوس للمالكي:" أن الفقيه البهلول بن راشد دخل عليه رجل يعلمه بأن يعتزم الحج، فسأله بن راشد – وكان قد أدى الفريضة – فرجاه أن يمنحه هذا المال ليصرفها على الفقراء و المساكين، فأتاه بها فأخذها ووزعها على أسر عديدة ليصلح بها حالتهم الإجتماعية المزرية . **ينظر المالكي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص208** .

[4] – **عبد العزيز المجدوب ، المرجع السابق ، ص239.**

ونتيجة لذلك أصاب المجتمع الإفريقي طاعون وغلاء سعر شمل إفريقية و ما والاها إلى مصر سنة307هـ/ 919م[1].

فالخلافات المذهبية بين أرباب الحكم و خاصتهم وبين رجال العلم من المالكية، كثيرا ما كان المتضرر الأكبر الجماهير الشعبية، وكانت أضرارا فادحة كانت لها انعكاسات اجتماعية سيئة على المجتمع الإفريقي[2].

ثالثا: الأثر السياسي:

لعل أبرز أثر سياسي للصراع المذهبي بإفريقية تمثل في الإطاحة بالحكم العبيدي و انتصار المذهب المالكي، حيث يذكر كثير من المؤرخين و مؤلفي التراجم و الطبقات أن العبيديين و في مناسبات كثيرة اعترفوا بصعوبة تطويع أهل إفريقية، وفشلهم في حمل الناس على تبني مذهبهم، وخير دليل على هذا ما ذكره "القاضي النعمان" في أن "المعز" آخر خلفاء الشيعة بإفريقية كان يقول : « ...حتى إذا أردناهم أن نعظهم ونبين الحق في ذلك لهم، ونوقفهم عند حدود دينهم....، لم نرى لذلك موضعا، ولا عليه إقبالا، ولا فيه رغبة، ولا منهم لنا فيه سؤالا ولاطلبة...»[3].

ونتيجة لهذا الوضع السياسي المتأزم بين المالكية و العبيديين، وعدم نجاح هاته الأخيرة في فرض مذهبها الشيعي بإفريقية، بل قوبلت بالمحاربة و الرفض التام لهم من قبل المجتمع الإفريقي بقيادة النخبة المالكية، تمخض عنه هذا الأثر السياسي البارز وهو عزم الخليفة المعز لدين الله العبيدي الرحيل إلى مصر سنة 361هـ/972م[*]، وفكر فيمن يفوض له أمر إفريقية والمغرب بعد أن استعصت عليه و على أسلافه، فوقع اختياره على أحد أمراء

---

[1] – ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص181.

[2] – عبد العزيز المجدوب ، المرجع السابق ، ص238.

[3] – القاضي النعمان بن محمد ، كتاب المجالس و المسايرات ، تح: الحبيب الفقي و إبراهيم شبوح و محمد اليعلاوي ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : دار المنتظر للنشر و التوزيع ، 1416هـ–1996م ، ص154.

[*] كان العبيديون يدركون جيدا أن تأثيرهم ونفوذهم بإفريقية سيتناقص مع رحيلهم إلى مصر وابتعادهم عن المنطقة، ويعلمون أن بلكين الصنهاجي ومن سيأتي بعده سيستبدون بالحكم، ولذلك انبرت سياستهم بالمهادات والمراسلات ومنح الألقاب لأمراء بني زيري كسيف الدولة و أبي الفتوح ...وغيرها، للمحافظة على ولاء الزيريين لهم وللمزيد ينظر : أبو القاسم محمد كرو ، عصر القيروان ، ط2 ؛ دمشق : دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، 1409هـ– 1989 ، ص21.
–dominique sourdel , opcit , p 108.

صنهاجة[1] وهو "بلكين بن زيري الصنهاجي"، يكون قادرا على حكم البلاد وعدم الإخلال بواجب الوفاء للخلافة العبيدية(*)[2].

قامت الدولة الصنهاجية سنة361هـ/972م، وكانت في سياستها تجاه العبيديين في مصر بين المد و الجزر والولاء حينا و الخوف على دولتها و الترقب لما ستتمخض عنه الأحداث اللاحقة حينا آخر، وبمجيء الأمير المعز بن باديس الصنهاجي سنة 406هـ/1016م، فصل الأمر سياسيا حيث بتوليه زمام الحكم عرفت بداية فترة حكمه تصاعد المد المعادي للشيعة، فقد كان واقعا بين –شقي رحى–، بين مراقبة علماء الشيعة داخل بلاط الحكم من جهة وبين ضغوطات فقهاء المالكية الذين يتمتعون بنفوذ شعبي قوي من جهة أخرى، فقرر المعز بن باديس الصنهاجي التحالف مع هاته الأخيرة وأعلن بمذهبه لأول ولايته وهي نصرة المذهب المالكي و رفض للمذهب الشيعي العبيدي، و قامت عدة ثورات ألحقت بالشيعة بإفريقية خسائر جسيمة[3]، حيث يذكر النويري : « أنه في يوم السبت سادس عشر من محرم ، ركب المعز في القيروان و الناس يسلمون عليه و يدعون له فسأل عنهم فقيل : هؤلاء رفضة و الذين قبلهم سنة...،فقال المعز: رضي الله عن أبي بكر و عمر .فانصرفت

---

[1] – **رشيد السلامى ، حول حسم الخلاف المذهبي بين السنة و الشيعة بإفريقية في عهد المعز بن باديس الزيري ، ضمن كتاب الصراع المذهبي ببلاد المغرب ، تنسيق : حسن حافظي علوي ، الدار البيضاء – المغرب : كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط ، 1429هـ– 2008م ، ص51.**

(*) كما يذكر المؤلف محمد جمال الدين سرور أن رحيل العبيديين إلى مصر راجع إلى حرصهم منذ الوهلة الأولى من قيام دولتهم، على تقويض الخلافة العباسية وانتزاع زعامة العالم الإسلامي منها ، ففتحت مصر لتراقب لتكون على مقربة مما يجري بمركز الخلافة العباسية ببغداد . وللمزيد : **ينظر : محمد جمال الدين سرور ، الفاطميون و فلسطين ، مجلة المؤرخ المصري دراسات و بحوث تاريخية ، العدد1 ، جامعة القاهرة ،كلية الآداب قسم التاريخ ، يناير 1988م، ص7.**

[2] – **فرحات الدشراوي ، المرجع السابق ، ص399.** كما يذكر المقريزي نص الحديث الذي جرى بينهم فيقول :" ثم استدعاه وقال له : تأهب لخلافة المغرب، فأكبر ذلك و قال : يا مولانا أنت و آباؤك ...– ما صفا لكم المغرب–، فكيف يصفوا لي و أنا صنهاجي بربري؟ قتلتني يامولاي بلا سيف و لا رمح"، ولم يزل إلحاح المعز عليه حتى أجاب لطلبه وقال : "يا مولانا : بشريطة أن تولي القضاء و الخراج لمن تراه وتختاره، والخير لمن تثق به، وتجعلني أنا قائما بين أيديهم، فمن استعصى عليهم أمروني حتى أعمل فيه ما يجب، ويكون الأمر لهم و أنا خادم بين ذلك"، فيتضح من هذا الحديث أن الخليفة العبيدي كان هاجسه الأكبر هو خوفه على ضياع بلاد إفريقية من سلطانه بعد رفض أهلها لهم، ثم مدى حرص بلكين على استقلاليته في الحكم وبالتالي رسم سياسة مذهبية جديدة تنم على محاولة الإنفصال عن العبيديين بالقاهرة وتوطيد دعائم الحكم بالولاء للأغلبية الساحقة من أتباع المذهب المالكي، وللمزيد **ينظر : المقريزي ، اتعاظ الحنفا... ، المصدر السابق ، ج1 ، ص99.**

[3] – حيث يذكر ابن خلدون عن المعز فيقول : " وكان المعز منحرفا عن مذهب الرافضة، ومنتحلا لمذهب السنة، فأعلن بمذهبه لأول ولايته ولعن الرافضة، ثم صار إلى قتل من وجد منهم..." **ينظر : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص210–211.** وهذا مؤلف آخر وهو "الزهري" جغرافي القرن السادس الهجري لا يكتفي بكراهية المعز للعبيديين بل يبالغ في ذلك و يذكر : " أن المعز بن باديس الصنهاجي آخر ملوك صنهاجة لما أفضى إليه أمرها كره مذهب العبيديين وسيرتهم ...،وكان يتعطش إلى سفك دمائهم، وربما قتل من عثر عليه منهم بيده..." وللمزيد **ينظر : محمد بن أبي بكر الزهري ،كتاب الجغرافية ، تح : محمد حاج صدوق ، مصر : مكتبة الثقافة الدينية للنشر و التوزيع ، ص109–110.**

العامة من فورها ...فقتلوا جماعة من الشيعة، و قُتل من الرافضة خلق كثير في ديارهم وحوانيتهم، وخرج من بقي منهم إلى قصر المنصور بظاهر المنصورية...»[1].

ويظهر من خلال التطورات السابقة أن إعادة تشكيل الخارطة المذهبية بإفريقية أصبح أمرا واقعا، و أن معالم هذه الخارطة بدأت تتضح شيئا فشيئا منذ انسحاب العبيديين إلى مصر، و تتجه نحو حسم الخلاف المذهبي بين السنة و الشيعة لصالح االسنة المالكية على امتداد فترة طويلة من دولة المعز بن باديس[2].

وبدخول سنة 439هـ-440هـ/1047م-1048م، تكاد تجمع أغلبية المصادر السنية على أن هذا التاريخ كان حاسما في علاقة المعز بالخلافة العبيدية، وتجعله كبداية فعلية وانتقال سياسي رسمي من القطيعة المذهبية إلى القطيعة السياسية للشيعة بالقاهرة، وقد رصد "ابن شرف" مؤرخ المعز بن باديس و شاعره هذه البداية في التاريخ المذكور عندما قال: « وفي سنة 440هـ/1048م أمر المعز بن باديس بأن يدعى على منابر إفريقية للعباس بن عبد المطلب و بقطع دعوة الشيعة العبيديين، فدعا الخطيب للخلفاء الأربعة و للعباس و لبقية العشرة »[3]، ما أسفر عنه أخيرا من عودة نفوذ المذهب المالكي وانتصاره نهائيا بإفريقية، وسقوط الخلافة العبيدية بمذهبها الشيعي الذي ظل غريبا منذ وجوده وإلى رحيله بأرض المغرب، ليظل المذهب المالكي منارة علم وهدى شامخ بإفريقية وبلاد المغرب منذ عصورها الإسلامية الأولى و إلى يومنا هذا.

---

[1] - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تح : عبد المجيد ترحيني ، ج24 ، بيروت – لبنان : منشورات دار الكتب العلمية ، ص ص111-112.

[2] - رشيد السلامى ، المرجع السابق ، ص67.

[3] - ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص277.

خاتمـــــــ

خاتمـــــــــــة

وأخيرا هذا ماتم جمعه وتهيأ إعداده بخصوص هذا الموضوع، وبناءا على تتبع الحيثيات والجوانب المختلفة لهذا البحث توصلنا إلى جملة من النتائج و التي يمكن تلخيصها كالآتي:

1- إن الدخول المبكر للمذهب المالكي السني وانتشاره الواسع بإفريقية خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع ميلادي كان له الأثر المباشر والفعال في نشر السنة وقمع البدع، حيث أضحى هذا المذهب الرائد و المتفوق على باقي الفرق و المذاهب ورجاله وفقهاءه أكثر تأثيرا وصنعا للقرار، وبمثابة الحصن القوي في وجوه كل فكر أو فرق مخالفة لمنهج أهل السنة .

2- كان لقيام الخلافة العبيدية الشيعية ببلاد المغرب الإسلامي عامة وإفريقية خاصة أثر سلبي واضح على الحياة الدينية بإفريقية، تمثلت في قيام العديد من الثورات و الفتن و القلاقل، حيث ما فتأ العبيديون منذ تأسيس دولتهم في محاربة المذاهب المنتشرة بإفريقية وعلى الأخص المذهب المالكي، ما أحدث صراعا مذهبيا خطيرا راح ثمنه العديد من الفقهاء و العلماء و العباد المالكيين نتيجة مقاومتهم لهذا المد العبيدي بإفريقية.

3- إن المتمعن لحيثيات هذا الموضوع يعلم أن هذا الصراع الذي حدث بين العبيديين و المالكيين بإفريقية، كانت من وراءه عدة أسباب ودوافع لعل من أبرزها والتي تأتي بالدرجة الأولى ذلك الإختلاف الجوهري بين المذهبين سواء من الناحية العقائدية أو الفقهية، والطرف الأول و الأخير و المفتعل لهذا الصراع بإفريقية هم العبيديون لما يرتكز عليه مذهبهم من تعاليم و عقائد لم يعهدها المجتمع الإفريقي من قبل ولاتمت إلى الدين الإسلامي بصلة.

4- لقد تعرض الفقهاء المالكية خلال العهد العبيدي بإفريقية لمحنة عظيمة راح ضحيتها الآلاف من هؤلاء الفقهاء و الزهاد، وذلك نتيجة السياسة المذهبية الخطيرة التي ارتكز عليها الخلفاء العبيديون في محاولتهم القضاء على هذا المذهب، لمدى علمهم بمكانته الرفيعة بإفريقية ومدى تشبث أهلها بتراث هذا المذهب الأصيل.

5- لقد برزت ثلة من فقهاء المذهب المالكي، ضربوا أروع الأمثلة في صبرهم وثباتهم في نصرة هذا المذهب بإفريقية ودفاعهم العظيم عن مذهب أهل السنة وحمايته من الفكر العبيدي الشيعي الذي يصطدم مع مسلمات

الإسلام، وقد سخر هؤلاء عدة وسائل وأساليب آتت أكلها في اندحار المد الشيعي بإفريقية وانتصار المذهب المالكي السني لينتشر واسعا ليشمل جميع الأقطار ببلاد المغرب الإسلامي.

6- لقد كان للصراع المذهبي بإفريقية آثار و انعكاسات على مختلف أوجه الحياة بإفريقية، سواء من الناحية العلمية أو الإجتماعية أو السياسية، ولعل أبرزها ذلك الأثر العلمي حيث ولد ذلك الصراع عدة نخب مالكية ذاعت شهرتهم وبلغت مكانتهم العلمية الرفيعة الآفاق، وساهموا في إثراء الحياة الفكرية وازدهارها بالحاضرة القيروانية .

7- لقد أسهم الأمير الصنهاجي المعز بن باديس مساهمة فعالة في إنهاء الصراع المذهبي و التوتر الطائفي الذي ساد إفريقية منذ العهد العبيدي الشيعي، وذلك بحسم الصراع لصالح المذهب المالكي السني لعلمه مدى أصالة أصول هذا المذهب وسلامة معتقده وخاصة فيما يتعلق بموقفهم اتجاه الصحابة من الترضي عنهم –رضي الله عنهم أجمعين.

الملاحق

الملحق رقم (01): الفتح الإسلامي لبلاد إفريقية والمغرب [1]

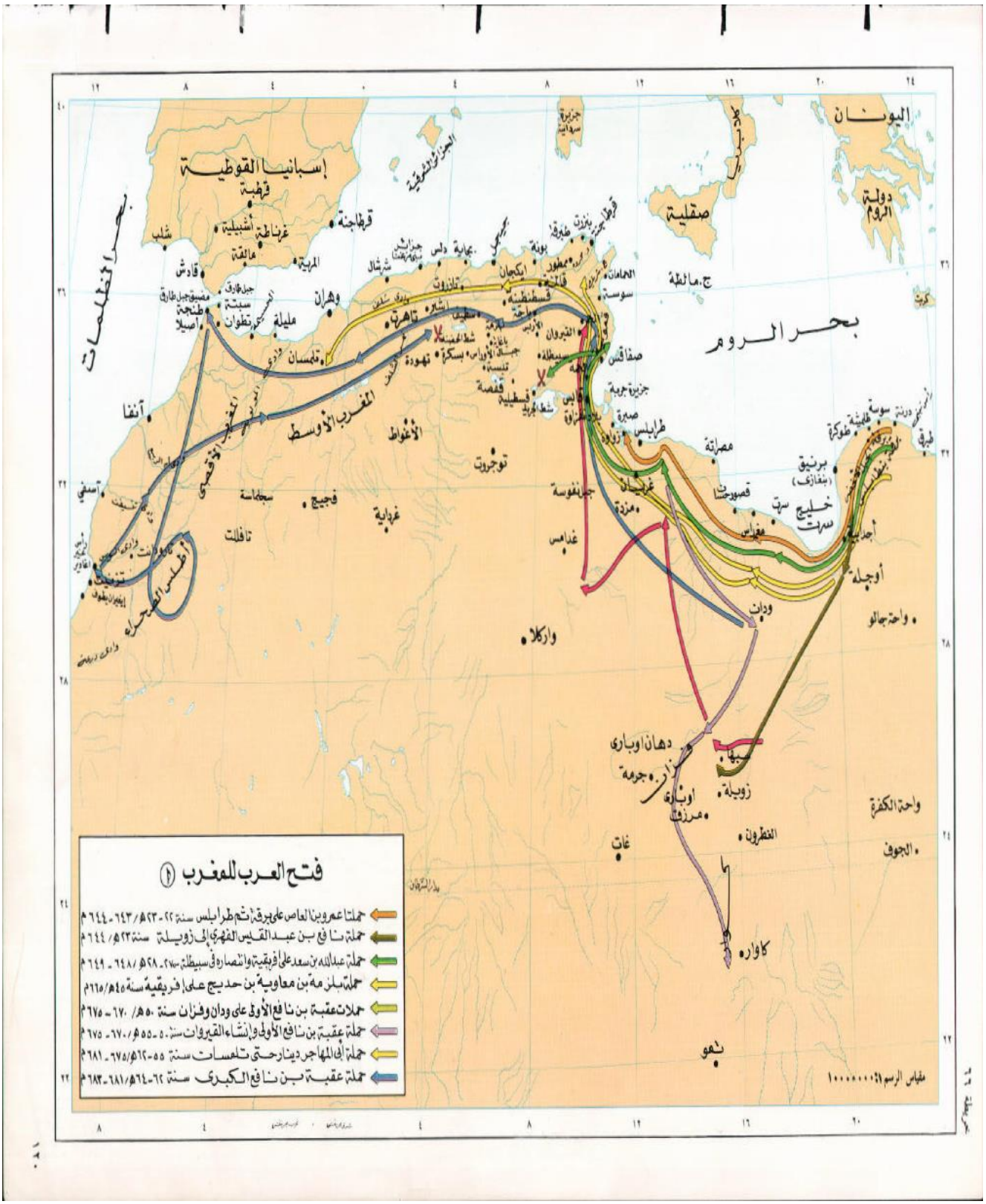

[1] – حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، ط1 ؛ القاهرة – مصر : الزهراء للإعلام العربي للنشر و التوزيع ، 1407هـ – 1987م ، ص120.

الملحق رقم (02): غزوة أسد بن الفرات في جزيرة صقلية [1]

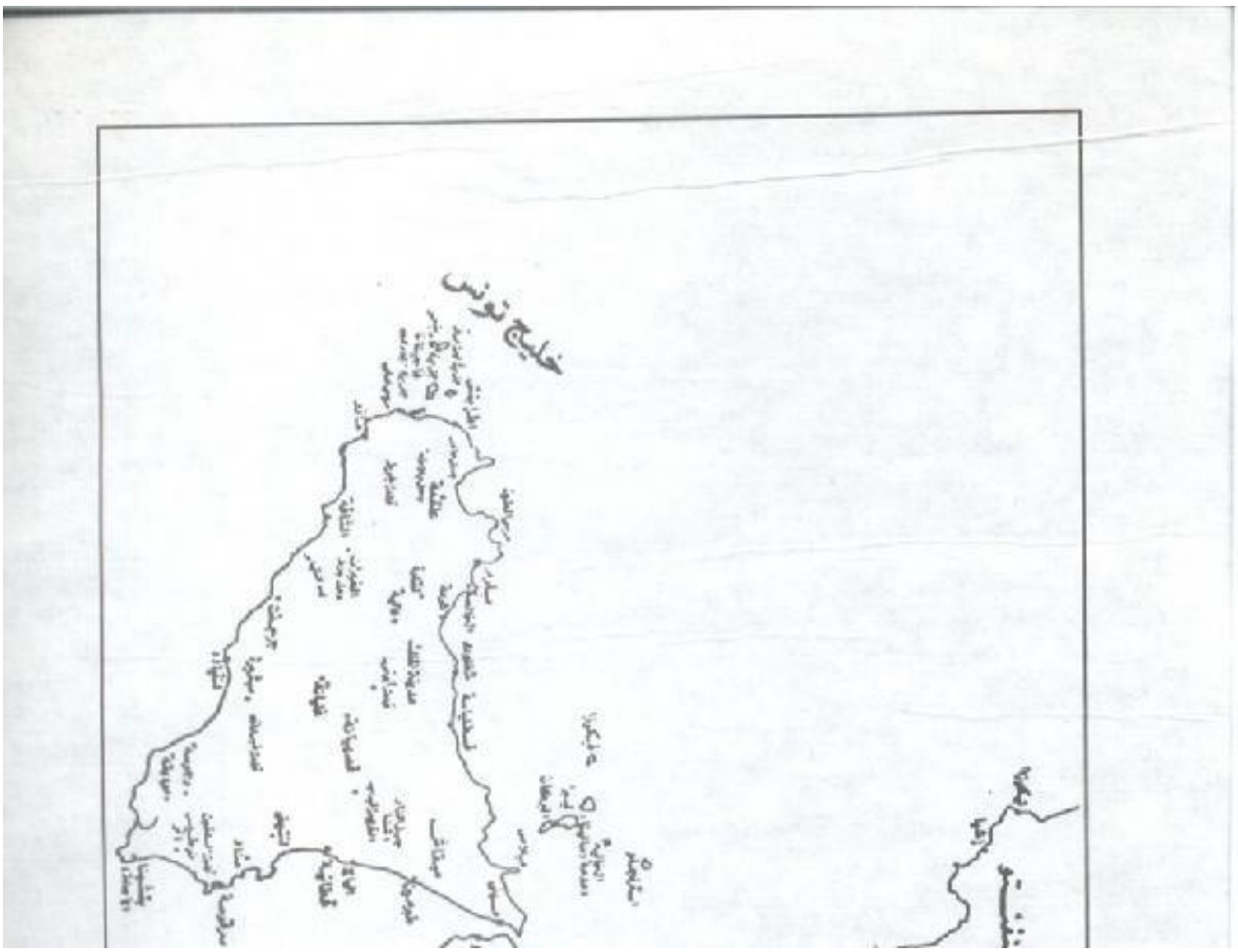

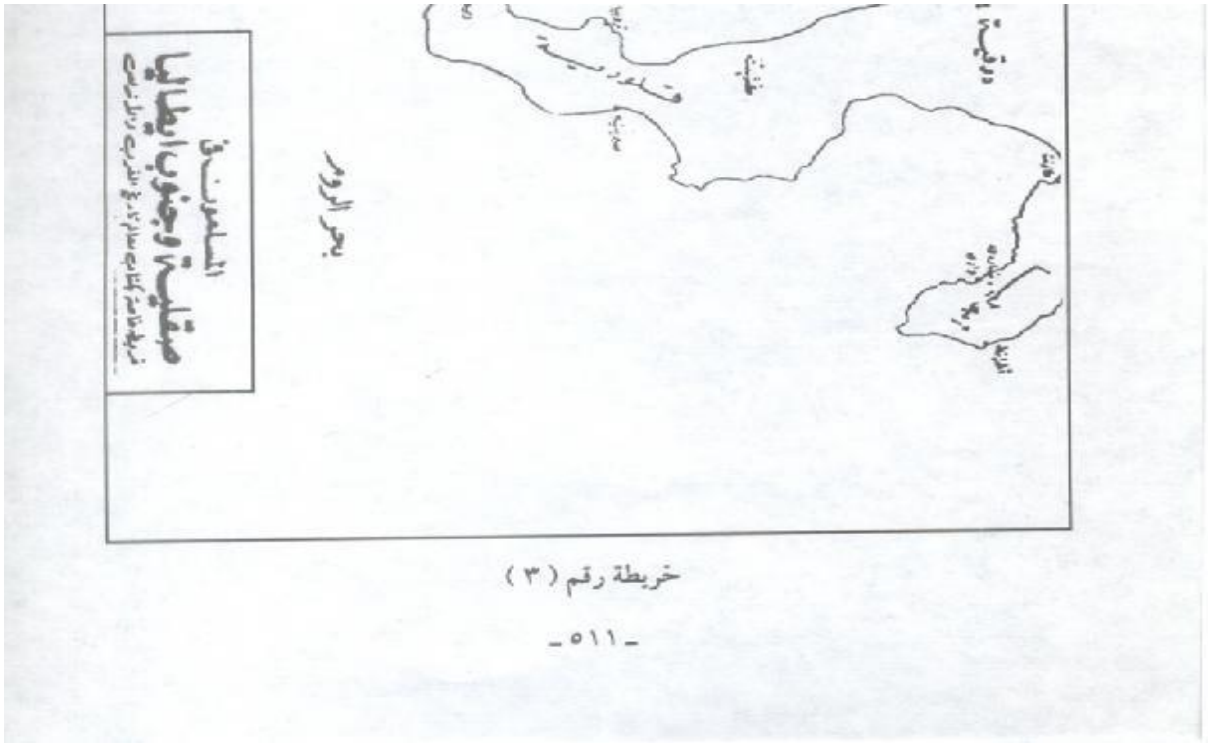

خريطة رقم (٣)

-٥١١-

[1] – حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، القاهرة – مصر : دار الرشاد للنشر و التوزيع ، ص 511.

عصر الولاة في المغرب الإسلامي

(96-184هـ/715-800م)

يمتد عصر الولاة في المغرب الإسلامي من سنة (96هـ/715م) إلى سنة (184هـ /800م)، وهو الفترة التي كان فيها «المغرب» يتبع الخلافة في «المشرق». وقد اتسم عصر الولاة بتذبذب العلاقة بين الخلافة والولاة، وموقف الولاة من سكان البلاد، وعدم استقرار الأوضاع السياسية، حيث ثار «المغرب» وانفصل عن الخلافة.

أ)- الولاة في عهد الخلافة «الأموية»:

1- «محمد بن يزيد القشيري»: (97هـ/715م)، ولاه الخليفة «سليمان بن عبد الملك»، وعزل من ولايته بعد سنتين وعدة أشهر.

2- «إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر»: (100هـ/718م)، اختاره الخليفة «عمر ابن عبد العزيز»، وعُزل عقب وفاة الخليفة.

3- «يزيد بن أبى مسلم الثقفي»: (102هـ/720م)، لم يُقر الخليفة «يزيد بن عبد الملك» سياسة اللين التي انتهجها الخليفة السابق «عمر بن عبد العزيز»، فاستوجب تعيين «يزيد بن أبى مسلم» الذي اتبع سياسة الشدة والحزم تجاه أهل «المغرب»، ممّا أثار حفيظة بعض حرسه فقتلوه.

4- «بشر بن صفوان الكلبي»: (103هـ/721م)، ولاه الخليفة «يزيد بن عبد الملك»، فأمر بإعدام الجند الذين قتلوا الوالي السابق، ثم قام سنة (109هـ/727م) بحملة على «جزيرة صقلية»، وعاد منتصرًا ومحملا بالمغانم، ثم مرض ومات في العام نفسه.

5- «عبيدة بن عبد الرحمن السلمي»: (110هـ/728م)، ولاه الخليفة «هشام بن عبد الملك».

6- «عبيد الله بن الحبحاب السلولي»: (116هـ/734م)، ولاه الخليفة «هشام بن عبد الملك»، وبدأ بغزو «السوس الأقصى»، وأرض «السودان»، بقيادة «حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع»، وأسرف في جمع الأموال مستخدمًا القسوة، وتخميس «البربر»، واعتبرهم فيئًا «للمسلمين». فكانت النتيجة أن قامت ثورات «البربر» في «المغرب».

7- «كلثوم بن عياض القشيري»: (123هـ/741م)، ولاه الخليفة «هشام بن عبد الملك»، ودخل في معركة شرسة مع جحافل «البربر»، انتهت بهزيمة جيش «العرب»، ومقتل الوالي.

8- «حنظلة بن صفوان الكلبي»: (124هـ/742م)، ولاه الخليفة «هشام».

ب)- الولاة في عهد الخلافة «العباسية»:

1- «عبد الرحمن بن حبيب الفهري»: (127هـ/745م)، استقر «بالقيروان»، ولّما قامت الخلافة «العباسية»، أسرع بالخطبة «للعباسيين»، فأقرَّه الخليفة «أبو العباس السفاح» على ولايته.

وفي عهد «أبي جعفر المنصور»، الذي تولى الخلافة سنة (136هـ/754م)، قام على «المغرب» مجموعة من الولاة، هم على التوالي:

2- «إلياس بن حبيب» (137هـ/754م).

3- «حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب الفهري» (138هـ/755م).

4- «الأغلب بن سالم التميمي» (148هـ/765م)، مات تحت ضربات الجند.

5- «عمر بن حفص المهلبي» (151هـ/768م).

6- «يزيد بن حاتم المهلبي» (155هـ/772).

7- «داود بن يزيد بن حاتم» (171هـ/787م)، تولى «المغرب خلال فترة مرض والده ولم يستمر في الحكم سوى تسعة أشهر، ثم سلم الولاية إلى عمه روح ابن حاتم».

[1] - عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص26، 27.

أمّا الذين تولوا «إفريقية» في عهد خلافة « هارون الرشيد»، فهم على التوالي:

8- «روح بن حاتم» (171هـ/788م).

9- «نصر بن حبيب» (174هـ/791م).

10- «الفضل بن روح بن حاتم» (177هـ/793م).

11- «هرثمة بن أعين» (179هـ/795م).

12- «محمد بن مقاتل العكي» (181هـ/797م).

13- «إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي» (184هـ/800م)، سعى إلى الاستقلال بحكم «إفريقية» عن الخلافة، وباتت السلطة وراثية في أبناءه من بعده.

1 - عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص28.

الملحق رقم (04): خريطة توضح حدود الدولة الأغلبية [1]

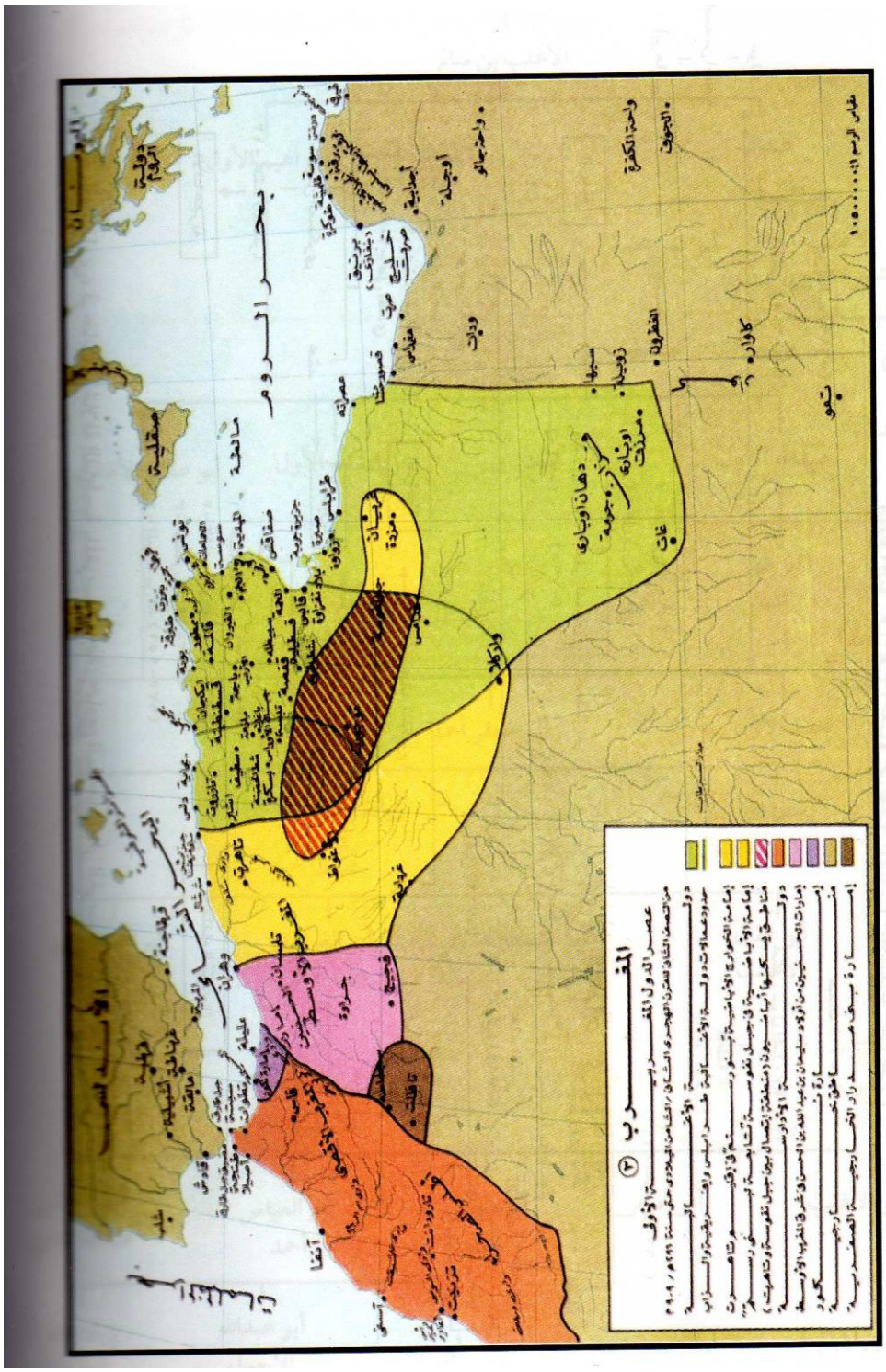

خريطة حدود الدولة الأغلبية

[1] – عبد المنعم محمد الصادق ، المرجع السابق ، ص158.

الملحق رقم (05): شجرة النسب للدولة الأغلبية [1]

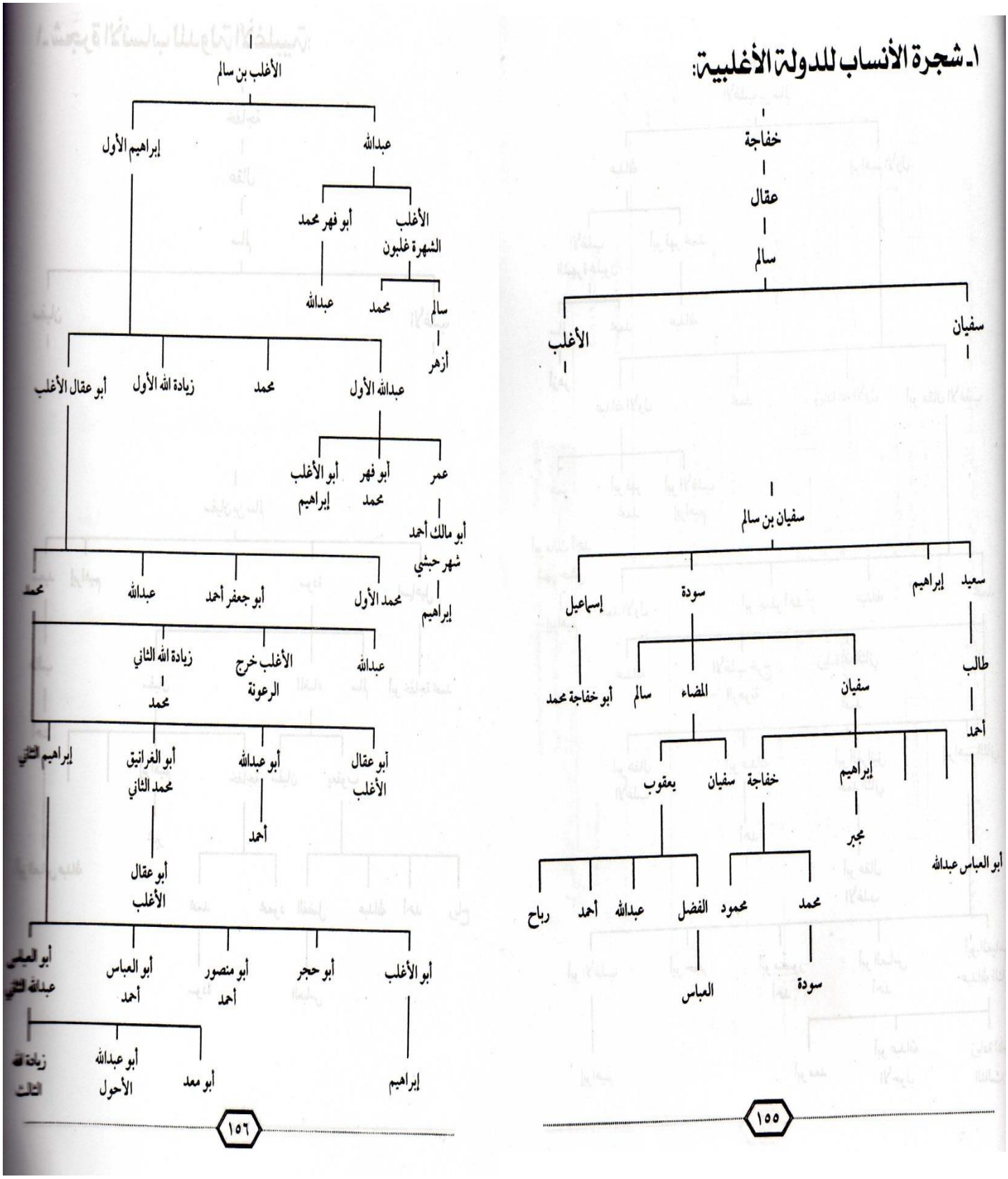

[1] – عبد المنعم محمد الصادق ، المرجع السابق ، ص ص155–156.

الملحق رقم (06): خريطة التوزيع الجغرافي لفقهاء المالكية بإفريقية ما بين القرنين 2-5هـ/8-11م [1]

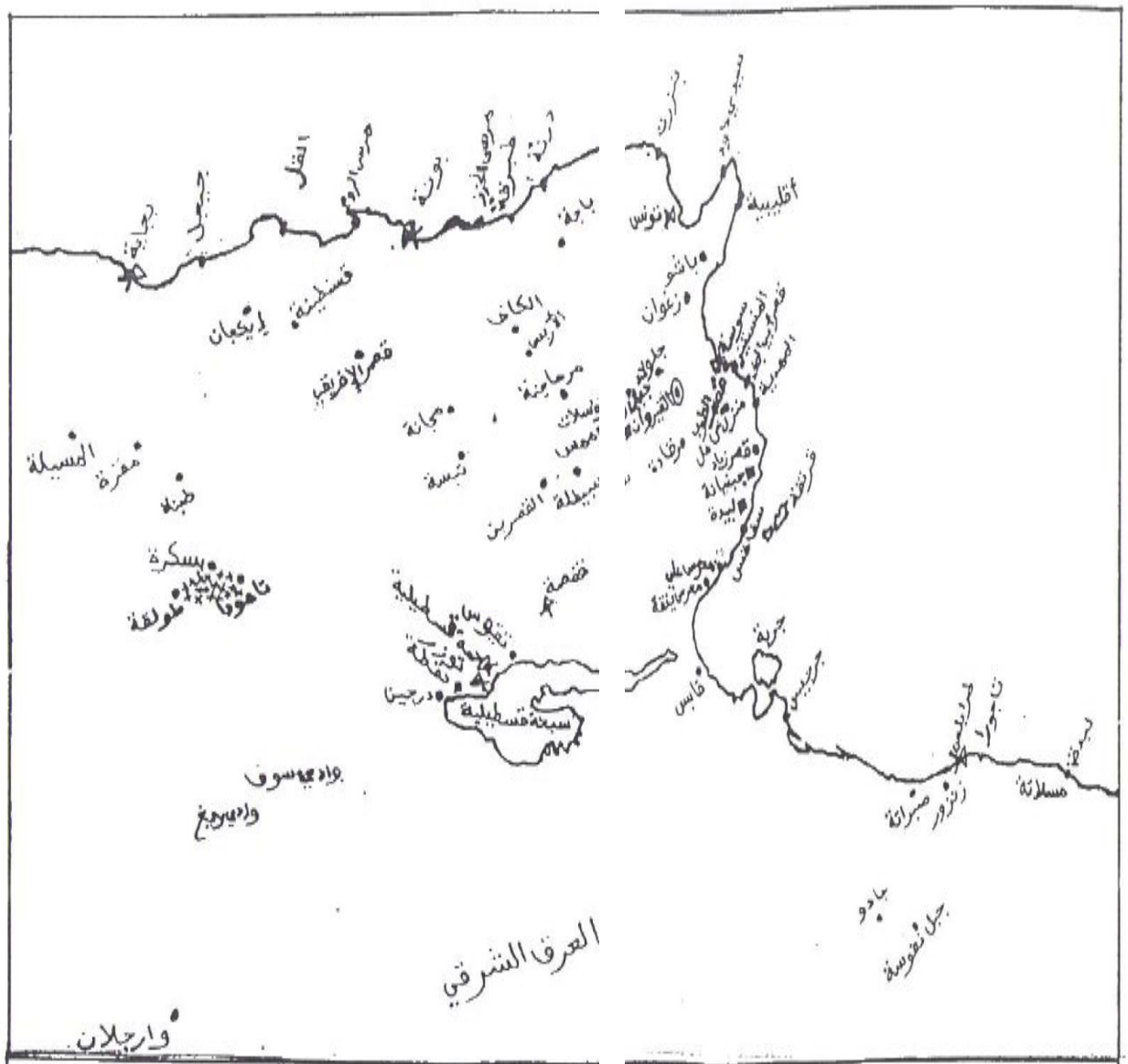

المصادر والمراجع:	مقياس الرسم: 01: 435 130 19
البكري: المغرب، 52.	◎ مدينة القيروان التي استوطنها عدد كبير من فقهاء المالكية.
المصادر والمراجع المستخدمة في الملحق(01).	☒ مدن استوطنها فقهاء المالكية لكن بنسبة أقل.
ابن حماد: ملوك بني عبيد وسيرتهم، 129.	■ قرى استوطنها بعض فقهاء المالكية أو نسبوا إليها.
محمد حسن: الجغرافية التاريخية لإفريقية، 27.	× منطقة يرجح وقوع قرية ملشون التي استوطنها أو نسب إليها بعض فقهاء المالكية بها

الملحق(02): خريطة التوزيع الجغرافي لفقهاء المالكية بإفريقية ما بين القرنين 2و5هـ/8و11م.

[1] – حفيظ كعوان ، المرجع السابق ، ص 182.

الملحق رقم (07): خريطة توضح بلاد المغرب الإسلامي في عهد الدولة العبيدية [1]

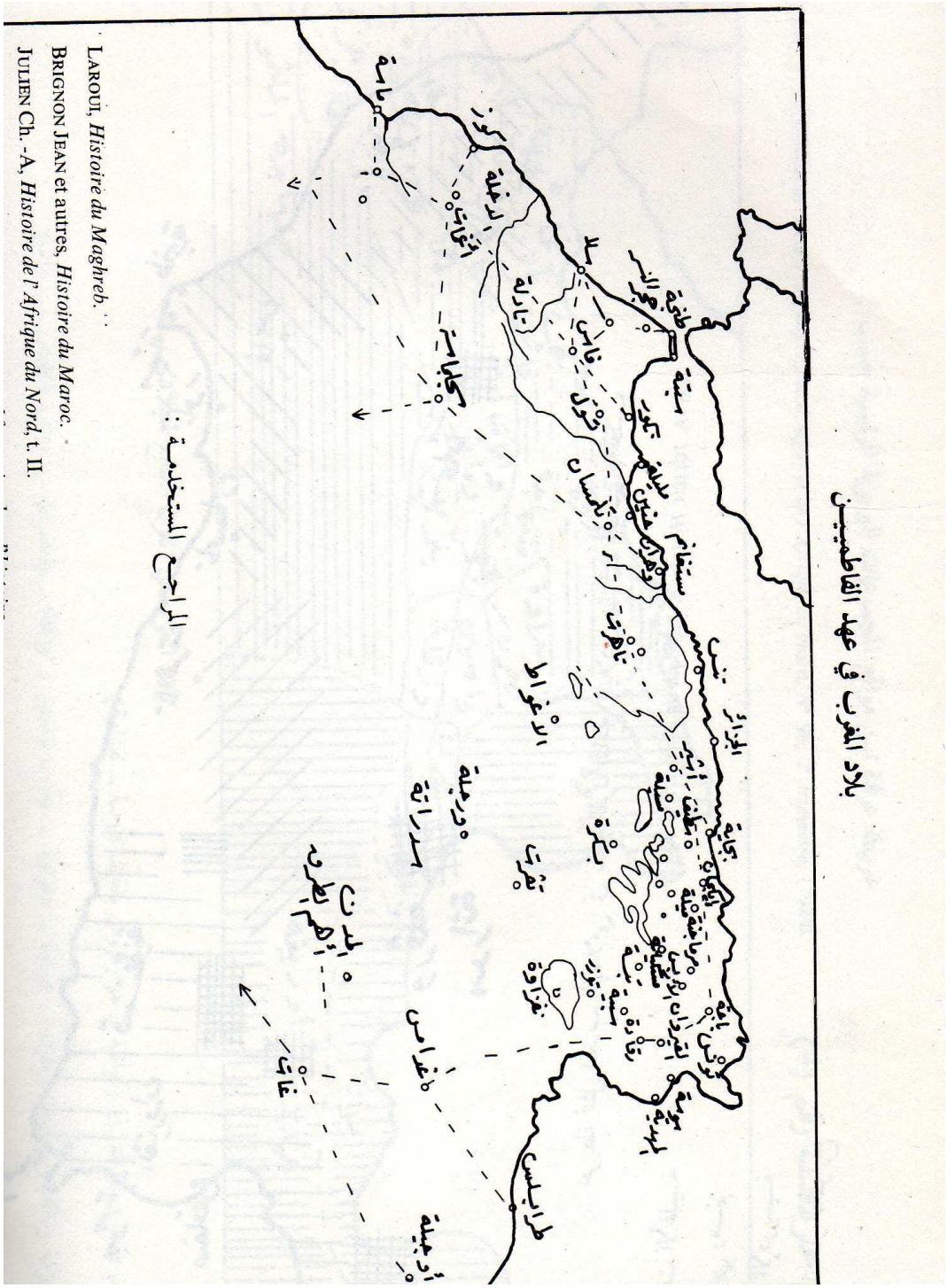

[1] – محمد بن عميرة ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب للنشر و التوزيع ، 1404هـ–1984م ، ص316.

الملحق رقم (08): شجرة نسب الخلفاء العبيديين.[1]

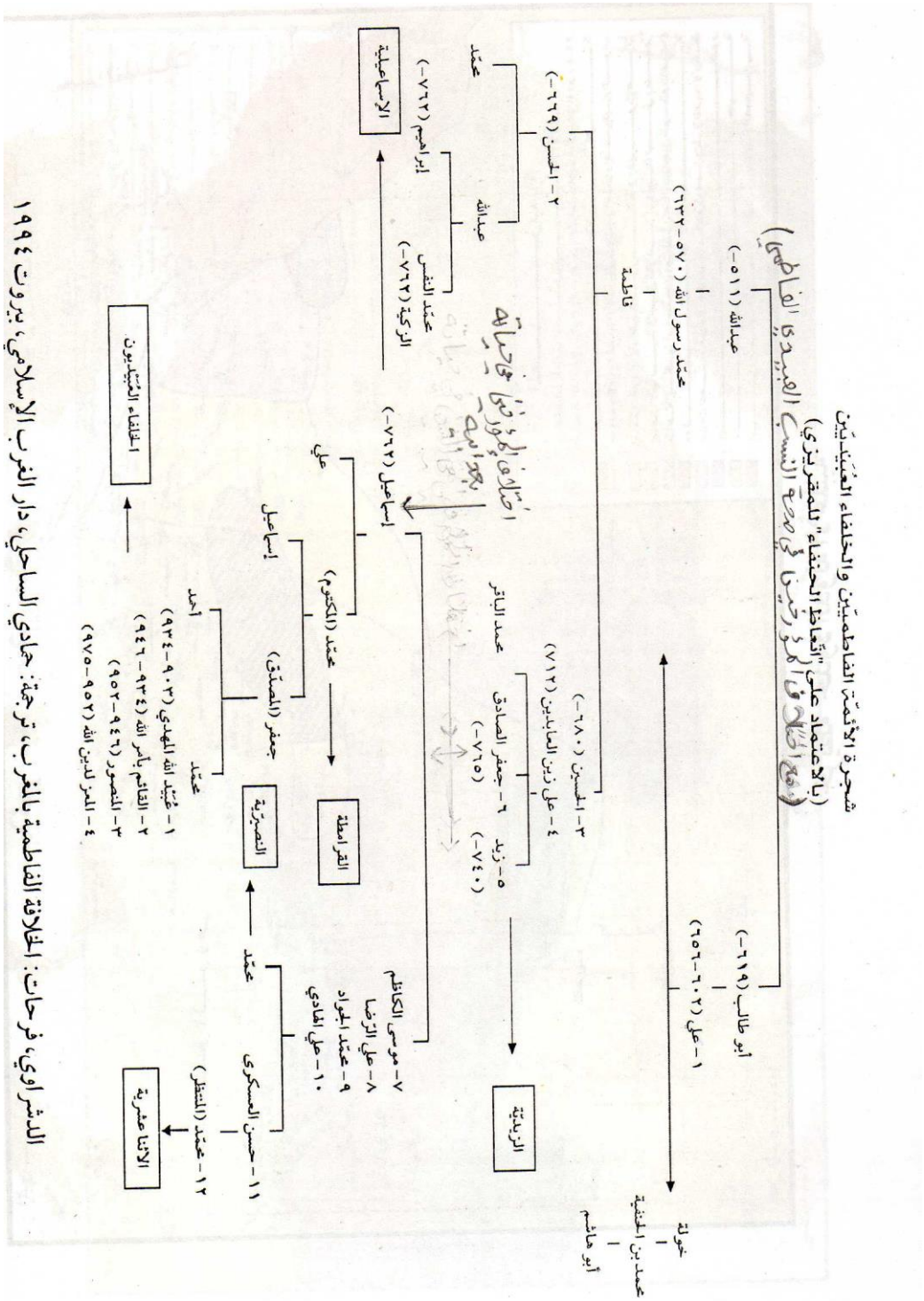

[1] – فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب –التاريخ السياسي و المؤسسات– ، تعريب : حمادي الساحلي ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : دار الغرب الإسلامي للنشر و التوزيع ، 1414هـ–1994م ، ص77.

الملحق رقم (09): مقال للخيفة المعز لدين الله العبيدي يشيد بفضل قبيلة كتامة في تأسيس دولتهم ببلاد المغرب الإسلامي [1]

ملحق ٧

فى فضل كتامة على الفاطميين(١)

يقول المعز لدين الله فى كتامة : « بارك الله فيهم ، وكثر أعدادهم! فما أسرنى بهم وباحتفالهم ! وما أحب إلىّ أشخاصهم ، وأزين فى عينى مناظرهم . ثم نظر عم إلىّ فقال(٢) : أرأيت مثلهم فى بهائهم ، وجمال مراكبهم ، وحسن مناظرهم ؟ أما أنى ربما أقول فى نفسى إذا أعجبنى ذلك منهم : إن ذلك لفرط محبتى لهم ، فقلت : هم والله على ماوصفهم أمير المؤمنين عند الولى والعدو . ولقد اتصل بنا من غير وجه ، أن مخلدا وأصحابه اللعناء كانوا يقولون أيام الفتنة ، وهم يقاتلونهم : أما ركوب كتامة وجمالهم فيه ، فما ندعيه ولا ننازعهم فيه ، فقال : هم والله الذين أذاقوهم طعم الموت، وأحلوهم محل الذل ، وأخرجوهم قسرا بظبات السيوف وحدّ الرماح ، حتى ألحقوهم بقنن الجبال فى أطراف البلاد ، ثم استنزلوهم منها قسرا ، وأبادوهم قتلا ، بنصر الله لوليه وبركة مقامه وسعادة جده وأيامه ، وطاعتهم له ، وصبرهم معه .

فقال بعض العبيد الصقالبة : فنحن يا أمير المؤمنين ، فما ترى أنا قصرنا ، وقد كان لنا من العناء والجهاد كمثل ما كان لغيرنا ، فمن نازعنا ذلك فليعد مشاهدنا ووقائعنا ومقاماتنا ، ومن استشهد منا . فقال عم : لا سواء بهم(٣) . إنا ملكنا كم ولم نملكهم بكم . أرأيت لو تركت أنت وأمثالك فى بلدانكم ، أكنتم تأتوننا ؟ قال : لا ! قال : فهؤلاء أتونا طائعين ، وبذلوا لنا أنفسهم راغبين ، مضى على ذلك أسلافهم ، وثبت عليه أخلافهم ، للسلف منا وللخلف ، قرنا فقرنا ، وجيلا فجيلا . والله ماوفت أمة من الأمم لنبى من الأنبياء ، ولإمام من الأئمة ، ولا لملك من ملوك الدنيا ، ولا وفى لها ، وفاءهم لنا ووفاءنا لهم ، إلا وقد تداخل أولئك الفشل ، واعتراهم الخلل ، وحال عليهم ملوك الدنيا ، واستأثروا غيرهم دونهم ، واطرحوهم وأوقعوا بهم . وهؤلاء أجدادهم مع أجدادنا وآباؤهم مع آبائنا ، وهم معنا ، وكذلك يكون أعقابهم مع أعقابنا إلى يوم الدين إن شاء الله . »

[1] – حسن إبراهيم حسن ، طه أحمد شرف ، المرجع السابق ، ص ص329–330.

الملحق رقم (10): خريطة توضح المناطق التي شملتها أحداث ثورة أبي يزيد الخارجي [1]

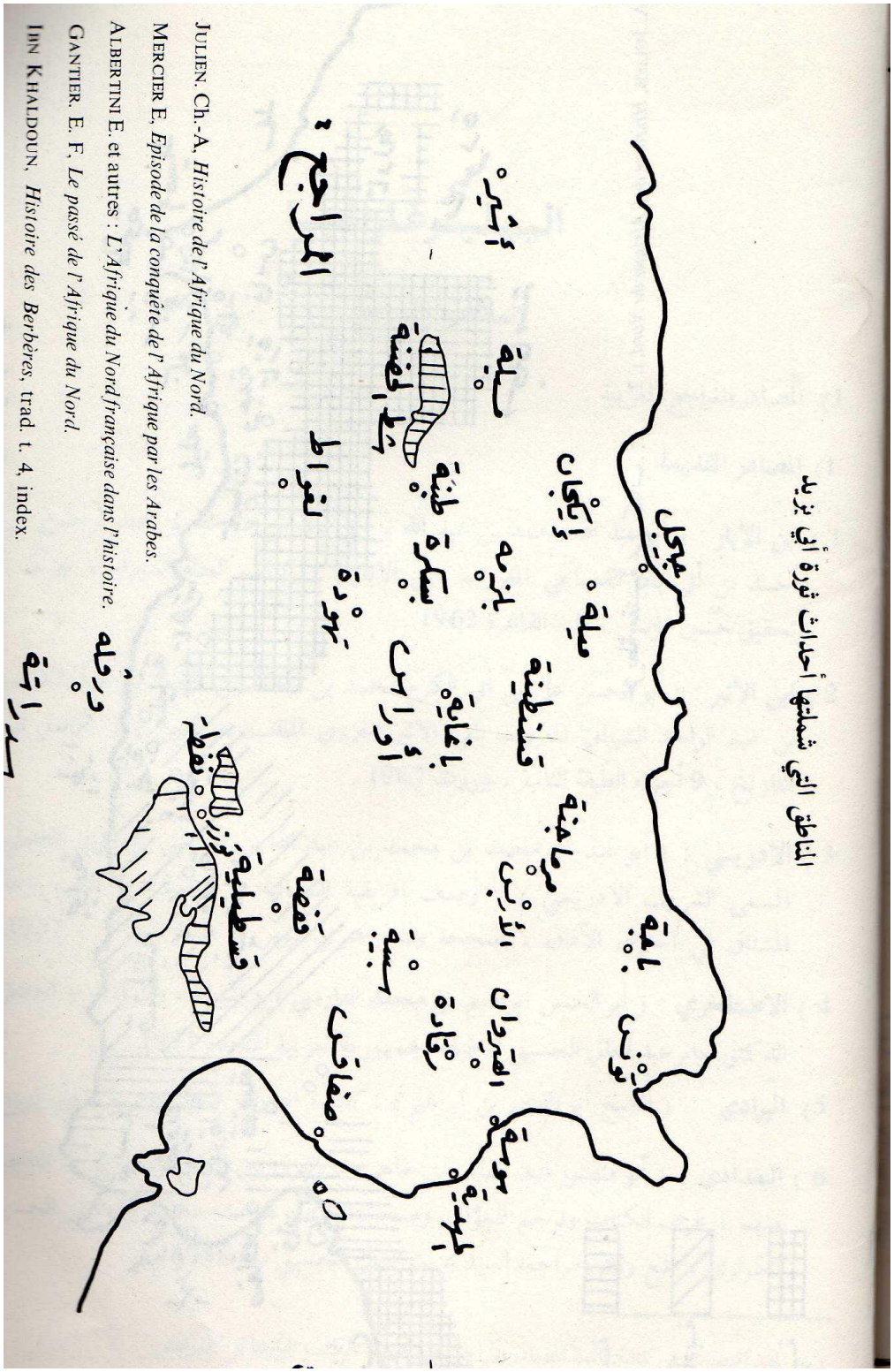

JULIEN. Ch.-A, *Histoire de l'Afrique du Nord.*

MERCIER E, *Episode de la conquête de l'Afrique par les Arabes.*

ALBERTINI E. et autres : *L'Afrique du Nord française dans l'histoire.*

GANTIER. E. F, *Le passé de l'Afrique du Nord.*

IBN KHALDOUN, *Histoire des Berbères*, trad. t. 4, index.

[1] – محمد بن عميرة ، المرجع السابق ، ص317.

الملحق رقم (11): المناظرات الشهيرة التي جرت بين الإمام المالكي أبي سعيد عثمان الحداد مع رجال الدولة العبيدية حول عدة مسائل من الدين[1]

« المجلس الأول »

قال أبو عُثمانَ سَعيدُ بن محمدٍ : أتانى رسولُه (يَعنِي : أبا العبَّاسِ) ؛ فدَخلتُ عليه ، فى قَصرِ إبراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ الأغلَبِ — : وحوْلَه وُجوهُ أصحابِه ، ومعِى موسى القَطَّانُ . — فسلَّمتُ وجلَستُ ؛ وقد كان أتاه قبلَ ذلك جميعُ أهلِ بلدِنا (أعنِي : من أهلِ العلمِ) ؛ بغيرِ إرسالٍ.

فقلتُ له : قد كان مَن كان قبلَك فى هذا القصرِ ؛ وقد علِمَ اللهُ وعلِمَ مَن حَضَرَ — : من أصحابِنا . — : أنى لم أكُنْ بجيَّاءِ الملوكِ ، ولا آتِى أحداً منهم : بغيرِ رسولٍ .

فتكلَّمَ ؛ ثم قال لى : مِن أينَ قلتَ بالقِياسِ ؟ .

(قال) [قلتُ] : قلتُه بكتابِ اللهِ .

قال : وأينَ هو فى كتابِ اللهِ ؟ .

قلتُ : قال اللهُ : (يا أيُّها الذينَ آمنُوا لا تقتُلُوا الصَّيْدَ : وأنتُمْ حُرُمٌ ؛ ومَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّداً : فجَزاءٌ مِثلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ، يَحْكُمُ به ذَوا عَدْلٍ مِنكُمْ : ٥—٩٥ .)

فالصَّيدُ : مَنصُوصٌ ؛ والذى أمرْنا : أن نُمَثِّلَه بالمَنصُوصِ ؛ ليس : بمَنصُوصٍ .

فعلِمْنا بذلك : أنَّ مِن دينِ اللهِ ، تَمثيلَ ما لم يُنَصَّ : بما نُصَّ .

(قال أبو عُثمانَ) : [ثم قال] : ومَن ذَوا عَدلٍ ؟ . (وأومَأَ : إلى أنهم قومٌ دونَ قومٍ) .

فقلتُ : هم الذين قال اللهُ فيهم — فى المُراجَعةِ من الطَّلاقِ — : (وأشهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنكُمْ : ٦٥—٢) .

(قال أبو عُثمانَ) : وأجابَه موسى القَطَّانُ — من فَوْرِى — بحديثِ عليٍّ فى الخمرِ : إذ قال فى السَّكرانِ : « إذا سَكِرَ : هَذَى ؛ وإذا هَذَى : افترى » ؛ [فـ] وَجبَ عليه ضَربُ ثمانينَ ، أدْنى أنْ يُضرَبَ ثمانينَ .

فقال له : ألم يَقلْ النبيُّ صلى الله عليه [وسلم] : عليٌّ أفضلُكم » ؟ ! .

(قال أبو عُثمانَ) : فقلتُ لِموسى — وهو إلى جَنْبِى — : وفى الحديثِ : « ومُعاذٌ أعلمُكم : بالحلالِ والحرامِ ؛ وعُمرُ أقْواكم : فى دينِ اللهِ » .

فكلَّمه بذلك : فغَضِبَ ، وقال : يكون أقْواهم فى دينِ اللهِ ، مَن فَرَّ بالرَّايةِ يومَ خَيْبَرَ ؟ ! .

فقال له موسى : ما سمِعْنا بهذا .

(قال أبو عثمان) : فقلتُ : قال اللهُ : (إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقتالٍ ، أوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ : ٨—١٦) . فعُمَرُ : مِمَّن تحرَّفَ لقتالٍ أو تحيَّزَ إلى فِئةٍ .

[1] – الخشني ، المصدر السابق ، ص258–259.

فقال : وأيُّ فئةٍ أكثرُ من النبيِّ ؟ ! : وقد كان حاضراً ، ولم يتحيَّزْ إليه .

فقلتُ : جاء عنه صلى الله عليه [وسلم] ، أنَّه قال : « عُمرُ : فِئةٌ » ؛ فمَن تحيَّزَ إلى عُمرَ : فقد تحيَّزَ إلى فِئةٍ .

فسكتَ ؛ فحرَّكه بعضُ أصحابه ، وقال : ألا تسمعُ ما يقولُ هذا الشيخُ ؟ !.

فقال . صدَق . أو نحوَ هذا : من القولِ ، سمعتُها أنا منه ، ومَن كان يليه .

(قال أبو عُثمانَ) : ثم عطفَ ، فقال : أنتم تُبغضون عليًّا ؛ يا أهلَ المدينةِ .

(قال أبو عُثمانَ) : [فقلتُ] : عَلَى مُبغِض عليٍّ : لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ ؛ وكيفَ أُبغضُ عليًّا : وقد سمعتُ سَحنونَ بن سَعيدٍ — : وهو إمامُ أهلِ المدينةِ بالمغربِ . — يقولُ : « عليُّ بن أبي طالبٍ إمامي في دِيني : أهتدي بهَدْيه ، وأستنُّ بسُنَّتِه ؛ رحمةُ اللهِ عليه » ؛ ؟ ! .

فقال لي : بلْ صلواتُ اللهِ عليه .

(قال) : فرفعتُ صوتي ، وقلتُ : إنَّ الصلاةَ — في كلامِ العربِ — : الدُّعاء . وقلتُ : قال الأعشَى :

تقول بِنْتي — وقد قرَّبتُ مُرْتحِلاً — : يا ربِّ ؛ جنِّبْ أبي الأوصابَ والوجَعا

عليكِ مِثلُ الذي صلَّيتِ ؛ فاغتمِضي نَوْماً : فإنَّ لِجنبِ المرءِ مُضطجَعا

(قال أبو عثمانَ) : ثم قلتُ : نعمْ ؛ فصلَّى اللهُ عَلَى عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، والحسَنِ والحسينِ ، وأهلِ طاعةِ اللهِ أجمعينَ مِن أهلِ السَّموات والأرضينَ

(قال أبو عُثمان) : ثم قال لي : أليس عليٌّ مَولاكَ ؟ ! يقولُ النبيُّ : « اللَّهمَّ : والِ مَن والاهُ ، وعادِ مَن عاداهُ .

(قال) : قلتُ : هو مَولايَ : بالمعنى الذي أنا به مَولاهُ ؛ ولا وَلايةَ ، لا ولا عَتاقةَ ؛ لأنَّ المَوْلَى — في كلامِ العربِ — مُتصرِّفٌ : يكونُ المَوْلَى[1] ؛ ويكونُ : ابنَ العمِّ : ويكونُ : المُعتِقَ ؛ ويكونُ : المُنعَمَ عليه .

ثم قلتُ : قال اللهُ — حكايةً عن زكريَّاءَ — : (وإنِّي خِفتُ المَوالِيَ مِن ورائي : ١٩ — ٥) ؛ يُريدُ : العَصَبةَ .

وقال : (ذلكَ : بأنَّ اللهَ مَولَى الَّذينَ آمنُوا ؛ وأنَّ الكافرينَ لا مَولَى لهُمْ : ٤٧ — ١١) ؛ يُريدُ : أنَّ اللهَ وَليُّ المؤمنينَ ؛ وأنَّ الكافرينَ لا وَليَّ لهم .

وقال في المؤمنينَ : (بعضُهمْ أولياءُ بعضٍ : ٩ — ٧١) ؛ فعليٌّ مَولَى المؤمنينَ : لأنه وليُّهم ؛ وهم مَواليه : بأنهم أولياؤه . فعليٌّ مَولايَ : بالمعنى الذي أنا به مَولاهُ .

(قال أبو عُثمان) : ثم قال لي : فالحديثُ الآخرُ : « أنتَ منِّي : بمنزلةِ هارونَ مِن موسى » ، ؟ .

(قال) : قلتُ : هارونُ كان حُجَّةً[2] : في حياةِ مُوسى ؛ وعليٌّ لم يكنْ حُجةً : في زمانِ محمدٍ صلى الله عليه [وسلم] ؛ ولم يكنْ بأخيه . وإنَّما كان له : وَزيراً ؛ والمؤمنون : وُزراءُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلَّم .

(قال) : ثم قال لي : أليس عليٌّ بأفضلِهم ؟ ! .

(قال) : فقلتُ له : الحقُّ مُتَّفقٌ عليه ، غيرُ مُختلَفٍ فيه .

قال لي : نعمْ .

---

(١) أي : السيد المعتق ؛ وراجع : المصباح لمزيد الفائدة .

(٢) أي : نبيا معصوما ينزل الوحي عليه ، ويجب اتباعه .

---

[1] – الخشني ، المصدر السابق ، ص 260–261.

(قال) : فقلتُ له : قد مَلَكْتَ مَدائنَ كثيرةً ، قبلَ مَدينتِنا هذه — : وهي أعظمُ مَدينةٍ . — واستَفاضَ الخَبَرُ عنك : أنّك لم تُكْرِهْ أحداً — : خالَفَكَ في مذهبِك . — : على الدُّخولِ فيه . فاسْلُكْ بنا ، مَسْلَكَ غيرِنا .

(قال) : فألحَّ عليه بعضُ أصحابِه — : في قَصْدِنا[1] . — فقال بقولِ — كما قال سَعيدٌ[2] — : « وإنْ كانَتْ طائفةٌ مِنْهُمْ آمَنُوا بالَّذي أُرْسِلْتُ بِهِ ، وطائفةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا — : فاصْبِرُوا حَتّى يَحْكُمَ اللهُ [بيْنَنا] ؛ وهُوَ خَيْرُ الحاكِمينَ » . ثُمّ : خَرَجْنا .

* * *

« المجلس الثاني »

قال أبو عُثمان : ثُمّ دَخَلْتُ عليه في مجلسٍ ثانٍ ، فأقْبَلَ : يَسألُ مَن حَضَر — : من المَدَنيّينَ ، والعِراقيّينَ . — : الشّنّةُ ما هيَ ؟ .

فقال بعضُهم : الشّنّةُ ، الشّنّةُ ! ! . وما دَرى أحدٌ منهم : ما يُجيبُ .

(قال) : ثُمّ حَوّلَ وجْهَهُ إليّ ، وقال : بَلَغَني : أنّك تقولُ بالكتابِ والشّنّةِ ؛ ولكنّ الشّنّةَ : ما هيَ ؟ .

فقلتُ له : الشّنّةُ محصُورَةٌ في ثلاثةِ أوْجُهٍ .

فقال : وَجِّهْها .

(١) أي : مماثل لما حكاه سعيد . وفي الأصل : « سعيت » وهو تصحيف .
(٢) أي : في العدل معنا . وقوله : فقال ؛ أي : ذلك البعض ؛ مقتبسا آية الأعراف (٨٧) : ببعض تصرف ، والزيادة الآتية : من الطابع الأول .

فقلتُ : الائتِمارُ بما أمَرَ به رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ، والانْتِهاءُ بنَهْيِه ، والإيتِّساءُ به : في فِعلِه صلى الله عليه [وسلم] .

(قال) : فقال لي : فإذا اخْتُلِفَ عليك ، فيما نُقِلَ إليك عنه : من الحديثِ . ؟

(قال) : قلتُ : أطلُبُ الدّليلَ على مَوضِعِ الحقّ في أحدِ الأحاديثِ ؛ ويكونُ سَبيلي في ذلك : سَبيلَ مَن شَهِدَ عندَه شهودٌ ، فاخْتَلَفُوا في شهادتِهم : فقال بعضُهم : أعلَمُ ؛ وقال بعضُهم : لا أعلَمُ . فلابُدّ مِن طلَبِ الدّليلِ على مَوضعِ الحقّ : في إحدَى الشّهاداتِ .

فقال أبو العبّاسِ : أناظِرُكم على أنّي إنْ وجَدتُ الحقّ في مَذهبِكم : رَجَعتُ إليه ؛ وإنْ وَجَدتُم الحقّ في مَذهَبي : رَجَعتُم إليه . أليْسَ هذا الإنصافَ : كما قال اللهُ : (قُلْ : فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ — هُوَ أهْدَى مِنْهُما — : أتَّبِعْهُ ؛ إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ : ٢٨ — ٤٩) ؛ ؟ ! .

(قال أبو عُثمان) : فقلتُ له : أبَى اللهُ ما ذَكَرْتَ ؛ ولَمْ تَدْرِ ما أرادَ اللهُ . إنّما أرادَ : النّفْيَ لِأنْ يَأْتُوا بكتابٍ هو : أهْدَى مِنهما ؛ لا : على أنّه يُمكنُ أنْ يَأْتُوا بكتابٍ أو بسُورةٍ : مِن مِثْلِه ؛ وهو القائلُ : (قُلْ : لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ والجِنُّ على أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القُرْآنِ — : لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ؛ ولَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهيراً : ١٧ — ٨٨) . فنَفَى عنهم : الإتْيانَ بكتابٍ هو : أهْدَى منهما كما قال عز وجل : (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وادْعُوا[1] شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ؛ إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ . فإنْ لَمْ تَفْعَلُوا ولَنْ تَفْعَلُوا : ٢ — ٢٣ و ٢٤) . فعُلِمَ بذلك : أنّه إنّما دعاهم عَجْزُهم عن الإتْيانِ بسُورةٍ : مِن مِثْلِه .

(١) بالأصل : « وادعوا من استطعتم » وهو تصرف من ناسخ أو طابع : ناشىء من الاشتباه بآية يونس : (١٠/٣٨) .

[1] – الخشني ، المصدر السابق ، ص 262–263.

(قال) : فبَدَرَ إليَّ ابنُ عَبدونٍ ، وقال لي : يا أبا عُثمان ؛ الحَقْ بنا[1] ، فنَهَضْنا ؛ فقال لي : — بعدَ الخروجِ — خِفْنا[2] : أنْ يَطَّرِدَ الكلامُ ؛ فبادَرْناكَ بالقيامِ .

* * *

« المجلس الثالث »

قال أبو عُثمان : دَخَلْتُ عليه ، فأجلَسَني معَه في مكانه : وهو يقولُ لرجلٍ — من أهلِ العِراقِ — : المُعَلِّمُ يكونُ أعلَمَ مِن المُتعلِّمِ أبداً ؛ والعِراقيُّ يقولُ : نعمْ ؛ وأهلُ المجلسِ لا ينطِقُون .

(قال) : فقلتُ : بقِي شيءٌ ؟ أو أتكلَّمُ ؟ .

فتمادَى ، وقال : أليس المُتعلِّمُ يكونُ أبداً : مُحتاجاً إلى المُعلِّمِ ؟ ! والعِراقيُّ يقولُ : نعمْ .

(قال أبو عُثمان) : وفَهِمتُ مُرادَه وقَصْدَه ، و [أنَّه] إنَّما أرادَ : تَوْكيدَ الطَّعْنِ عَلَى أبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ : إذْ سألَ عليًّا عن فَرْضِ الجَدَّةِ ؛ وذَكَرَ لي مَعْنى ذلك ؛ فَبَدَرْتُ وقلتُ : أسمَعُ كلاماً يَجِبُ للهِ عليَّ فيه : أن لا أسكُتَ .

فقال لي : وما ذلك ؟ .

(٢) هذا هو الظاهر الصحيح . وفي الأصل : « ينالنا » ؛ وهو تحريف .
(٣) بالأصل : « حقنا » ؛ وهو عبث وتصحيف .

فقلتُ المتعلِّمُ يكونُ : أعلَمَ من المعلِّمِ وأفقَهَ ؛ ويكونُ أفضَلَ منه أيضاً .

فقال لي : وما دَليلُكَ عَلَى ذلك ؟ .

(قال) : قلتُ : رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ؛ حيثُ يقول : « رُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَن هو أفقَهُ منه ؛ ورُبَّ حامِلِ فِقْهٍ غيرِ فَقيهٍ » .

(قال) : قلتُ : وأخرَى[1] : ما هو مَعروفٌ بيْنَ الخَليقةِ : أنَّ المُعلِّمَ يُعلِّمُ الصِّبْيانَ ، فلا يَزالُ يُعلِّمُ : حتَّى يَكْبَرَ الصَّبِيُّ ؛ فيُعطِي اللهُ الصبيَّ — : من الفَهمِ بخاصِّ القرآنِ وعامِّه ؛ وغيرِ ذلك : من أسْبابِ العِلمِ ووُجُوهِه — ما لا يَقدِرُ عليه مُعلِّمُه .

قال لي : أذكُرْ : من خاصِّ القرآنِ وعامِّه شيئاً .

فقلتُ : نعمْ ؛ قال اللهُ : ﴿وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ : ٢ — ٢٢١﴾ ؛ فكان ظاهِرُها : العُمومَ .

فلمَّا قال في مَوضعٍ آخَرَ : ﴿يَسْأَلُونَكَ : مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ؟ قل: أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ؛ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ : حِلٌّ لَكُمْ ؛ وَطَعَامُكُمْ : حِلٌّ لَهُمْ ؛ وَالْمُحْصَنَاتُ : مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ ؛ وَالْمُحْصَنَاتُ : مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ : ٥ — ٤ و ٥﴾ ؛ دَلَّ على الآيةِ الأولى : أنَّه إنَّما أرادَ بها : الخصوصَ والمشرِكاتِ غيرَ الكتابيَّاتِ .

(قال أبو عثمانَ) : ثم قال لي : فمَن المُحْصَناتُ ؟ .

(قال) : قلتُ : العَفائفُ .

فقال : المُحصَناتُ المتزوِّجاتُ .

(١) أي : وحجة أخرى على ذلك .

[1] – الخشني ، المصدر السابق ، ص 264–265.

(قال) : فقلت له : الإحصانُ[1] في كلامِ العَرَبِ – التي نَزَل بلسانِها القرآنُ : الإحْرازُ ؛ فمن أحرَزَ شيئاً : فقد أحْصَنَه . فالإيمانُ : إحْرازٌ لِدمِ صاحبِه ومالِه.

والعِتقُ يُحْصِنُ المَمْلوكَ : لأنه يُحرِزُه مِن أنْ يَجرِيَ عليه ما يَجرِي عَلى المَملوكِ.

والتَّزويجُ يُحصِنُ الفَرْجَ : مِن أنْ يكونَ له مُباحاً ما كان له قبْلَ التَّزويجِ .

والعَفافُ إحْصانٌ : لأنها أحْرزَتْ فرجَها : بالعَفافِ.

(قال أبو عثمانَ) : فقال لي : ما الإحْصانُ عندي إلاَّ النكاحُ .

(قال) : فقلت له : مُنزِّلُ الفُرقانِ يأبَى ما ذكرْتَ – :

قال اللهُ جلَّ وعزَّ : (وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا : ٦٦–١٢) ؛ يُريدُ : أعفَّتْه ؟

قال : أعفَّتْه .

(قال) [قلتُ] : نعمْ أعفَّتْه

وقال: (مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ ٤ – ٢٥) ؛ يقولُ : عَفائفَ غيرَ زَوانٍ .

قال : فقد قال في الإماء : (فَإِذَا أُحْصِنَّ فإن أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ : فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ : مِنَ الْعَذَابِ : ٤ – ٢٥) ؛ فكيفَ يقول : العَذابُ على المُحصَناتِ ؛ وهُنَّ عندك : قد يَكُنَّ عَفائفَ . ؟ !

(قال) : قلتُ سمَّاهُنَّ : بمتقدِّمِ أسمائِهنَّ ، قبْلَ زِنائِهنَّ . قال اللهُ تبارك وتعالى : (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ : ٤ – ١٢) – : وقد انْفَصَمَتْ

(١) للشافعي (رضي الله عنه) : كلام جامع عن معاني الإحصان ، ومفيد في هذا المقام فراجعه : في الرسالة ١٣٣ – ١٣٧ ، وأحكام القرآن ١/٣٠٧ – ٣١٢ و ٢/١٨٤ – ١٨٥ وانظر : آداب الشافعي لابن أبي حاتم الرازي ٢٩٦ .

العِصْمَةُ : بالمَوتِ . – يريدُ : اللاَّتي كُنَّ أزواجَكم . وهذا كثيرٌ .

(قال أبو عثمانَ) : وذكَرْتُ أشياءَ : من ذلك فعارَضَني بعضُ أحداثِ العِراقيِّين ؛ فقلت له : أمْسِكْ يا حَدَثُ . (قال) : فلم يَنْطِقْ .

فقال : لي أبو العبَّاسِ : فعَذابُ المُحْصَناتِ : الرَّجْمُ ؛ فكيفَ يُعقَلُ نِصْفُ الرَّجمِ : وقد يُقْتَلُ[1] بواحدةٍ ، وربَّما لم يُقتَلْ بأكثرَ من ذلك ؟ ! .

(قال) : فقلتُ : هذا ممَّا كُنَّا فيه ؛ أرادَ : خاصًّا دونَ عامٍّ ؛ أرادَ : نصفَ ما عليهن : من عَذابِ الجَلْدِ ؛ دونَ الرَّجمِ .

فقال لي : ومَن يقولُ بالجَلْدِ مع الرَّجمِ ؟ .

(قال) : قلتُ : عليُّ بن أبي طالبٍ[2] (رضي الله عنه) : جَلَد شُراحَةَ مائةً ورَجَمَه ؛ وقال : « جَلَدْتُك : بكتابِ اللهِ ؛ ورَجَمْتُك بسُنَّةِ رسولِ اللهِ . » .

(قال) : فقال لي : ياشيخُ ؛ أنت تَلُوذُ .

(قال) : فقلتُ : ليسَ أنا الذي ألوذُ – : لأنِّي أنا المُجيبُ . – وأنتَ الذي تَلوذُ : لأنِّي إذا وَقَفْتُك – من المسألةِ – على حدٍّ : لُذْتَ أنتَ إلى مسألةٍ أخْرَى : غيرِ ما سألْتُني عنه .

(قال) : ثم صِحْتُ : ألا أحدٌ يكتُبُ ما أقولُ ويقولُ ؟ . فوَقَى اللهُ شرَّه[3] .

قال : فكأنَّك تقولُ : إنَّك أعلَمُ الخَلْقِ ؟ ! .

(قال) : قلتُ : أمَّا بِدِينِي : فنَعَمْ ؛ لأن دِيني هو الحقُّ : الذي ليس الحقُّ في سِواهُ.

(١) أي : من يراد رجمه . وانظر في هذا البحث : أحكام القرآن وهامشه ١/٣٠٨ .
(٢) خلافا لبعض الصحابة : كابن عباس ؛ وبعض الأئمة : كالشافعي ؛ في أن الجلد قد نسخ : بحديث عمر ، وحديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني . انظر : أحكام القرآن وهامشه ٢/٣٠٥ – ٣٠٧ .
(٣) يعني : فلم يغضب أبو العباس ، ولم يأمر بالتنكيل به .

[1] – الخشني ، المصدر السابق ، ص 266–267.

قال : أفما تحتاج فيه إلى زيادة ؟ ! .

(قال) : قلتُ : لا .

قال لي : فأنتَ — إذاً — أعلمُ من موسى : حين قال للخضر : (هل أتبعك على أن تعلّمن مما علّمت رشداً : ١٨ — ٦٦) ؟ ! .

(قال) قلتُ : قائلُ هذا القول ، غالطٌ[1] على موسى في نبوّته : إذ يزعمُ : أنّ الله اصطفاهُ برسالته ، وبكلامه ونبوّته ؛ وهو يحتاجُ إلى أن يعلمَ — بعدَ ذلك — شيئاً : من دينه . معاذَ الله .

إنّما كان العلمُ — الذي كان عندَ الخضر — : علمَ سفينةٍ كان خرّقها : لعلّه بالملك الذي يأخذُ كلّ سفينةٍ غصباً ؛ وغلاماً[2] قتله : لعلّه بكفره وإيمان أبويه ؛ وجداراً أقامه : علماً بالكنز الذي كان تحته . وذلك : لا يزيدُ في دين موسى شيئاً .

(قال أبو عثمان) : ثم قال لي : فأنا أسألك .

(قال) : قلتُ أوردْ أبداً ؛ وعليّ الإصدارُ بالحقّ : بلا تنوّي[3] .

(قال) : قال لي : ما تفسير « الله » ؟ .

(قال) : قلتُ ذو الإلاهة .

قال : وما الإلاهةُ ؟ . قلتُ : الرّبوبيّةُ .

---

(١) أي : من زعم أن موسى (عليه السلام) كان محتاجا إلى معرفة شيء من دينه ؛ من طريق الخضر — : فقد غلط حقه ، وازدراه واحتقره . وفي الأصل : « غامض » ؛ هو تصحيف .

(٢) يعني : وعلم غلام . . . وعلم جدار . ولعل أصلهما : « وغلام . . . وجدار » .

(٣) أي : بلا استثناء ؛ انظر المختار : (ثنى) . وعبارة الأصل : « مثنوية » ؛ ولعلها مصحفة عما ذكرنا .

قال : وما الرّبوبيّة ؟ . (قال) : قلتُ : الملك للأشياء .

(قال) : فقال لي : فقريشٌ كانت في جاهليّتها تعرفُ الله ؟ .

قلتُ : لا . قال : لا ؟ .

قلتُ : لا ؛ لأنّها كانت تقولُ : الله ذو الشّركاء ، والآلهة ؛ فلم تعرفه : إذ قالت : ذو الشّركاء ؛ وإنما يعرفُ الله مَن قال : إنّ الله وحده ، لا شريك له .

قال : فمَن « الذين آمنوا » ؟ .

(قال) : قلتُ : نحنُ ومَن ترى ؛ وأومأتُ[1] إلى أصحابنا : وهم بين يديه .

فقال[2] : مَن « الذين هادوا » ؟ .

(قال) : قلتُ : هذا : من ذاك الذي تقدّم ذكره[3] ؛ سمّاهم بمتقدّم كلمة — : كانت منهم يأتونها ، وكانوا بها مسلمين . — يقولون : هدنا إليك .

قال : فمَن « النّصارى » ؟ .

(قال) : قلتُ : المتكلّمون في المسيح صلّى الله على نبيّنا محمد وعليه .

قال : فمَن « الصّابئون » ؟ .

(قال) : قلتُ : هم : الذين عبدوا الملائكة ، وزعموا : أنّهم بناتُ الله . —

(قال أبو عثمان) : وهذا قولُ أهل العلم ؛ فبدأتُ بجوابهم : قبلَ أن أجيبه بكلام المتكلّمين . —

(قال أبو عثمان) : فقال لي : هم الذين عبدوا الملائكة ؟ ! .

(قال) : قلتُ : نعم ؛ وزعم هشام[4] : أنّهم أصلُ المنانيّة[5] .

---

(١) بالأصل : « واوميت » ؛ وهو خطأ كما نص عليه في المختار : (و م أ) .

(٢) بالأصل : « وقال » ؛ والظاهر أنه مصحف عنه .

(٣) عند الكلام على آية النساء (٣/٢٥) : ص ٢٦٦ .

(٤) المراد به : هشام بن الحكم ؛ أحد كبار الرافضة ، وزعيم الفرقة الهشامية .

(٥) كذا بالأصل . ويقال لهم : المانوية ؛ أتباع ماني الفارسي . راجع : اعتقادات الفرق للفخر الرازي (ص ٨٨) .

---

[1] – الخشني ، المصدر السابق ، ص 267–268.

قال : فمَن « الذين أشركوا » ؟ .

(قال) : قلتُ : هم : الذين عَبدُوا الأصنامَ ؛ الذين أرسَلَ إليهم رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) ، عليّ بن أبي طالب — بآيةٍ من سُورةِ [براءةَ] (بَراءةٌ مِنَ اللهِ وَرسولِهِ ، إلى الذينَ عاهَدتُمْ : مِنَ المُشركينَ ؛ فَسيحُوا في الأرضِ أربَعةَ أشهُرٍ : ٩ — ١ و ٢) .

(قال) : فقال لي : وما كانتْ تَعبُدُ قُريشٌ ؟ . قلتُ : الأصنامَ .

قال لي : وما الأصنامُ ؟ . قلتُ : الحِجارةُ .

قال لي : والحِجارةُ كانتْ [تُعبَدُ] ؟ ! . (عَلَى النَّكيرِ : لِأنْ تكونَ الحِجارةُ هي الأصنامَ) .

(قال) : قلتُ : نعمْ ؛ والعُزّى كانتْ تُعبَدُ : وهي شَجرةٌ ؛ والشِّعرَى كانتْ تُعبَدُ : وهي نَجمٌ ؛ .

[قال] : اللهُ يقولُ : (أمَّن لاَّ يَهدِي إلاَّ أنْ يُهدَى : ١٠ — ٣٥) ؛ فكيفَ تقولُ : إنها الحِجارةُ ؛ والحِجارةُ لا تَهدِي إذا هُدِيَتْ : لأنها ليستْ مِن ذَواتِ العَقلِ . ؟ ! .

فارَضَى بعضُ أهلِ المجلسِ — : كالمُبينِ له . — فقال : كيفَ تعقل[1] الحِجارةُ : وليستْ من ذَواتِ النُّطقِ . ؟ .

(قال) . فقلتُ للمُعارِضِ : أمثِلكَ ؛ مالكَ ولذا ؟ ! .

ثم قلتُ : قد أخبرَنا الله : أنَّ الجُلودَ تَنطقُ في الآخرةِ ؛ وليستْ من ذَواتِ النُّطقِ .

(قال) فقال : نُسِبَ إليها النُّطقُ عَلَى المجازِ ؛ والنُّطقُ للأفواهِ .

(١) بالأصل : « تفعل » ؛ وهو تصحيف .

(قال) : فقلتُ : مُنزِّلُ الفُرقانِ يأبَى ما ذكرتَ : قال الله : (اليَومَ : نَختِمُ عَلَى أفواهِهِمْ ، وَتُكلِّمُنا أيدِيهِمْ ، وَتَشهَدُ أرجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكسِبُونَ[1] ٣٦ — ٦٥) — (قال : أبو عثمانَ) : وأشَرتُ بإصبَعَيَّ السَّبّابةِ إلى فَمِي ، فقلتُ : خَتَمَ اللهُ على أفواهِهِم . — ثم نَفَى بقولِهِ : (وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ : لِمَ شَهِدتُمْ : عَلَيْنا ؟ قالوا : أنطَقَنا اللهُ الذي أنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ : ٤١ — ٢٤) .

وما الفَرقُ بينَ جِسمِكَ وأجسامِنا والحِجارةِ ، إلاَّ : أنَّه عَقَّلَنا اللهُ : فعَقَلْنا ؛ ولو لم يُعقِّلْنا : ما عَقَلْنا . ؟ ! .

وكذلكَ الحِجارةُ : إذا شاءَ [اللهُ] أنْ يُعقِّلَها : عَقَلتْ .

هذا الجَبلُ لمَّا عَقَّلَه الله عقلَ جَلالٍ تَجلِّيهِ : أنْدَكَّ ؛ قال اللهُ تبارك وتعالى : (فَلَمَّا تَجلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ : جَعَلَهُ دَكّاً : ٧ — ١٤٣) .

* * *

« المجلس الرابع »

قال أبو عثمانَ : هذا مَجلِسٌ دارَ بيني وبينَه : ما رأيتُه أقرَبَ إلى الإنصافِ منه فيه ؛ وكأنَّه — : في مُناظَرتِهِ لي . — إنما يُناظِرُني عن مَذهبِ غيرِه .

وذلكَ : أنَّ المسألةَ جَرَتْ بيْنَنا وبينه ، في بابِ : « الفاضِلِ والمَفضُولِ » ؛ لأنَّ مِن أصلِ مَذهبِه ، القولَ : بأنَّه لا يَجوزُ تَقديمُ المفضُولِ على الفاضلِ ، بعد الاتِّفاقِ — من الخَصمَيْنِ — : على الفاضِلِ .

(١) بالأصل : « يعملون » ؛ وهو تصحيف بالمعنى

[1] – الخشني ، المصدر السابق ، ص 269–270.

فقال لي : أليس قولك : إجازة تقديم المفضول على الفاضل . ؟ ! .

فقلت : أعزك [الله] بتوفيقه ؛ أنا متبع — في ذلك — لكتاب الله ، وسنة نبيه عليه السلام . وذلك لا يخفى عن ذي لب : نظر في كتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ ولا يعدوها إلى غيرها .

قال لي : وأين تجد ذلك : في كتاب الله . ؟ .

(قال) : قلت له : قال الله :) وقال لهم نبيهم : إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ؛ قالوا : أنى يكون له الملك علينا : ونحن أحق منه [بالملك] ؛ [ولم يؤت سعة من المال] ؟ ! قال : إن الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطة في العلم والجسم : ٢ — ٢٤٧) .

فقال عند [ذ] لك — كالمغضب — : ليس القصة كما توهمت .

فقلت له : والأمر الذي لم أتوهمه — : وفيه الحق عندك . — هل إلى ذكره من سبيل ؟ .

فقال : نعم ؛ ذكرت خبر طالوت ، واحتججت فيه : بقول نبيهم وقول أهل الجيش .

فقلت له : قال الله : (وقال لهم نبيهم : إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) ؛ فاقصد إلى موضوع حجتك ها هنا .

ثم قلت : أعز الله الأمير ؛ لما كان خروج طالوت من فوق إذن نبيهم ، ثبت : أن الله قدم المفضول على الفاضل ؛ إذ كنا لا نشك — نحن ومن خالفنا — : أن نبيهم أفضل من طالوت وطالوت هو المفضول .

فقال لي : وهكذا اعتقادك ؟ .

فقلت : نعم ؛ أيها الأمير .

فقال لجميع من حضره — ممن حوله : من أهل المجلس — : افهموا عنا ؛

(ثم أومأ إلي ، وقال لي) : إنما كان خروج طالوت : من تحت يد نبيهم ؛ لا كما توهمت : أنه من فوق إذنه . لأن نبيهم هو الذي أخبرهم : أن طالوت مقدم على الجيش ؛ فلما كان هذا هكذا : كان الفاضل بعد هو المفضول . فقد تبين فساد قولك وتناقضه .

فقلت له : إني — : بإذنك . — أستوفي حجتي ؛ فإن أذنت لي في الكلام : أتيت على ما أريد .

فقال لي : قل ، ولا تبق : من حجتك ؛ شيئا .

فقلت له : نفس الآية لي شاهد ؛ ولا تكون الحجة من غيرها .

وذلك : أن الله أخبر عن نبيهم : أنه قال لهم : (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) ؛ ولم يقل : إني بعثته لكم . فلما جاء الخبر من نبيهم ، وأضافه إلى الله ، لا إلى نفسه — : وجب بهذا : أن أمر طالوت من فوق إذن نبيهم ، وكذلك قالت الآية .

ثم قلت له : وهذه سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ فانظر منها : إلى تقديم المفضول على الفاضل ؛ وهو مالا ينكره أحد .

من ذلك : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمر على جيش : عمرو بن العاص ؛ فكان : يقسم الفيء ، ويأمر وينهى : فيطاع ؛ ويصلي لهم الصلوات ؛ ويشاورونه ويستأذنونه : في جميع شأنهم . وتحت يديه في الجيش : أبو بكر وعمر ؛ وهما جميعا أفضل منه : لا يشك في ذلك أحد .

وأيضا : أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر على جيش : زيد بن حارثة ؛ فكان : يفعل في ذلك ، وفيمن تحت يده : من المسلمين — : كفعل عمرو بن العاص ، فيمن تحت يده من المسلمين — : وتحت يديه في الجيش : ذو الجناحين جعفر بن أبي طالب ؛ وهو أفضل من زيد بن حارثة .

[1] – الخشني ، المصدر السابق ، ص 271–272.

فلمّا ثبتَ ذلك عندنا ، وقام مَقامَ العِيانِ — : جاز للأمّةِ : تقديمُ المَفضولِ عَلَى الفاضِلِ .

فقال لى : نحنُ لا نقولُ كقولِكَ : إنّ للأمّةِ : أنْ تجتمعَ ، فتقدّمَ عَلَى نفسِها إماماً . وإنّما يكونُ الإمامُ : مَن اصطفاهُ اللهُ ورسولُه . وأمّا مَن لم يُقدّمْه اللهُ عَلَى خلقِه ، ولم يُقدّمْه رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) — : فكيفَ له التّقديمُ ؟ ! :

فقلتُ : أعزّ اللهُ السّيدَ ؛ إنّ الذى اصطفاهُ اللهُ ورسولُه ، لا يعدُو إحدَى مَنزلتَيْنِ : إمّا أنْ ينطقَ به كتابٌ ناطقٌ ، أو سُنّةٌ ثابتةٌ عن رسولِ اللهِ .

ولمّا لم نجدْ فى كتابِ اللهِ : أنّ اللهَ نصَبَ إماماً ، أو فرَضَ طاعتَه — : ورسولُه[1] لم يُقِمْ إنساناً بعَيْنِه ، فيقولَ : « أيُّها الناسُ : هذا وصيّى وخليفتى مِن بعدِى » ؛ وكان يقولُ صباحاً ومَساء : « خلّفْتُ فيكم ما إنْ تمسّكتُمْ به : لم تضلّوا ؛ كتابَ ربّى ، وحَوارِىّ أصحابى » ؛ وعلّمنا[2] : الحلالَ والحرامَ ، وما نأتى وما نذَرُ . — : كان مَن اجتمعَ عليه المسلمونَ : ثابتَ الأمرِ صحيحَ الأحكامِ ؛ يعمَلُ : بكتابِ اللهِ ، وسُنّةِ رسولِه . وما لم نجدْه[3] فى كتابِ اللهِ ، ولا فى سُنّةِ رسولِ اللهِ — فهو مأخوذٌ : مِن الاجتهادِ . ومن أتباعِ السّلَفِ المتقدّمينَ .

هذا : قولُنا ؛ والأمرُ : على ذلك ؛ إلى هذا الوقتِ .

فقال لى : قد ثبتَ فسادُ هذا عليك ، فى صَدْرِ مُناظرتِنا : ممّا أوْرَدْتُه عليك فى تقديمِ المَفضولِ عَلَى الفاضِلِ[4] .

---

(١) بالأصل : « ولا رسوله » ؛ والظاهر : ما أثبتنا ؛ وأن الزيادة من الناسخ أو الطابع . وإلا : كان الكلام غير مستقيم المعنى ، ومحتاجا إلى تعديل آخر . فتأمل .
(٢) بالأصل : « علمنا » ؛ وزيادة الواو متعينة ، » وجواب (لما) قوله : « كان » الآتى .
(٣) بالأصل : « نجده » بالتاء ، ولعله مصحف عما أثبتنا . (٤) انظر صفحة : ٢٧٢

فلمّا سمعتُ كلامَ رجلٍ يُباهِتُ العِيانَ ، ويَزُولُ عن الحقّ — : رأيتُ الصّوابَ : فى الإعراضِ عن مُعارضتِه .

وذلك : أنّى لم أحتجّ عليه بحُجّةٍ : عقلٍ ، ولا وَزْنٍ : من قِياسٍ . وإنّما قابلتُه : بكتابِ اللهِ ، وأفعالِ نبيّه (صلى الله عليه وسلم) وإجماعِ المسلمينَ . وجَعَلَ : يُدْخِلُ علىّ كثرةَ الاستفهامِ ، وكثرةَ التّكرارِ — : بلا حُجّةٍ حاسِمَةٍ ، ولا بُرْهانٍ مُبينٍ . نعُوذُ باللهِ : من الحَيْرةِ فى الدّينِ ؛ وإيّاهُ أسألُ المَعُونةَ والتّوفيقَ .

---

[1] – الخشني ، المصدر السابق ، ص 273–274.

الفهـــــــــــــــــــــــــــــارس

فهرس الأعلام :

*-الرسول محمد – عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: 18-28-36-48-55-57-58-62-75-78-79-83-84-

– أ–

- أبو الطاهر إسماعيل: 39-40-41-49-

- أبو القاسم محمد: 33-35-36-37-38-70-85-89-

- أبو تميم سعد: 26-27-40-41-49-51-91-82-

-أبا زاكي تمام بن معارك: 33-

-إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي: 13-14-

-إبراهيم بن حسن بن إسحاق القيرواني: 73-

-إبراهيم بن عبيد الله الزبيري: 70-85-

-ابن أبي العافية: 37-

-ابن أبي دينار: 39-

-ابن أبي زيد القيرواني: 17-19-70-

-ابن الأثير: 37-40-60-

-ابن تيمية: 24-

-ابن حنبل: 79-

-ابن حوشب: 30-

-ابن خلكان: 26-27-

-ابن عذراى المراكشي: 35-51-62-

-ابن شرف: 93-

-أبو إسحاق إبراهيم السبائي: 76-82-88-

-أبو البشر محمد بن أحمد بن يونس السنوسي: 72-

-أبو الحسن بن القابسي: 54-68-

-أبو العرب التميمي: 88-

-أبو الفضل المميسي: 82-83-

-أبو القاسم الحسن بن مفرِّج: 81-

-أبو القاسم الطرزي: 69-

-أبو القاسم الفزاري: 85-

-أبو المهاجر دينار: 12-

-أبو بكر بن اللباد: 70-84-88-

-أبو جعفر المعافري: 62-

-أبو جعفر البغدادي: 37-

-أبو جعفر المنصور: 14-

-أبو حفص بن مسرور العسال: 82-

-أبو خزر الزناتي: 52-

-أبو سفيان: 28-29-30-

-أبو عبد الله محمد بن بسطام بن رجاء الضبي: 72-

-أبو عبد الله محمد بن نضيف البزاز: 72-

-أبو عثمان سعيد بن الحداد: 79-80-85-

-أبو علي بن خلدون: 70-

-أبو علي حسن بن مفرج الفقيه: 71-

-أبو محمد بن التبان: 70-78-

-أبو محمد عبد الله التاهرتي: 72-

-أبو محمد عبد الله بن أبي هاشم مسرور التجيبي: 54-

-أبو محمد يونس بن محمد الورداني: 72-

-أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري: 37-38-39-49-57-82-83-88-

-أبي إسحاق الضبي: 63-68-69-78-

-أبي بكر ابن هذيل: 63-68-69-

-أبي بكر الصديق – رضي الله عنه -: 58-78-85-

-أبي جعفر بن المعافري الأندلسي: 69-

-أبي سعيد بن أشرس: 19-

-أبو عبد الله الشيعي: 30-31-32-33-35-45-46-47-50-59-70-76-78-80-

-أبو العباس المخطوم: 33-35-59-63-80-

-أبي عمرو بن راشد: 19-

-أحمد بن نصر: 71-

-أحمد بن نصر الداودي: 72-

-أحمد بن زياد: 71-

-أسد بن الفرات: 19-

-إسماعيل بن جعفر: 11-23-25-

-الأغلب بن سالم بن عقال التميمي: 14-

-الحسين بن علي- رضي الله عنهما -: 84-

-الحلواني: 28-29-30-

-محمد الخشني: 62-79-

-الزاهد الشذوني:69-

-الشريف: 61-

-الطاهر البغدادي: 23-

-الطاهر الزاوي: 42-

-الطائع العباسي: 27-

-العزيز بالله27-

-القاضي النعمان: 48-91-

-القاضي عياض: 19- 62-

-القاضي النفطي: 64-

-القاضي إسحاق بن منهال: 64-

-الكاهنة: 13-

-المستنصر: 27-

-المعز بن باديس: 92-93-

-ب-

-بلكين بن زيري الصنهاجي: 41-92-

-ت-

-تقي الدين المقريزي: 25-26-37-

-ج-

-جبريل-عليه السلام-: 78-

-جبلة بن حمود الصدفي: 76-81-

-جرجير: 11-

-جعفر الصادق: 23-25-28-62-

-جوهر الصقلي: 36-41-

-ح-

-حسان بن النعمان: 12-

-حكم بن محمد بن هشام المقرئ: 70-

-خ-

-خلف بن أبي القاسم البراذعي: 73-76-

-ر-

-ربيع القطان: 82-83-88-

-ز-

-زهير بن قيس البلوي: 12-

-زيادة الله الأول: 15-

-س-

-سحنون بن سعيد التنوخي: 19-

-سهل الوراق: 86-

-ش-

-شمس الدين الذهبي: 26-34-

- شمس الدين عبد الله محمد المقدسي: 80-

-ع-

-عائشة بنت الصديق- رضي الله عنها -: 78-

-عبد الرحمان الدباغ: 57-63-64-

-عبد الرحمان بن خلدون: 25-28-

-عبد الصمد: 75-

-عبد الله بن سعد بن أبي السرح: 11-

-عبيد الله الملقب بالمهدي: 23-26-33-34-35-36-37-40-45-47-48-49-52-56-60-61-62-63-64-68-69-71-76-81-89-

-عثمان بن عفان- رضي الله عنه -: 10-58-85-

-عروس المؤذن: 64-69-

-عقبة بن نافع: 12-16-

-علي بن زياد: 18-19-

-علي بن أبي طالب: 55-57-68-69-71-74-78-79-85-

-عمر بن الخطاب– رضي الله عنه -: 10-47-58-68-78-85-

-عمر بن عبد العزيز: 17-

-عمرو بن العاص: 10-

-ف-

-فاطمة الزهراء- رضي الله عنها –: 78-79-

-ك-

-كافور الإخشيدي: 41-

-كسيلة: 12-

-ل-

-لسان الدين بن الخطيب: 36-

-م-

-مالك بن أنس: 17-18-19-52-62-79-

-محمد أبو زهرة: 55-

-محمد بن أبي المنظور الأنصاري: 39-

-محمد بن إسماعيل: 23-

-محمد بن سحنون: 85-88-

-محمد بن عمر المروزي: 48-62-63-64-69-

-محمد بن هانىء الأندلسي: 41-

-محمد بن يزيد القرشي: 13-

-معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنه -: 11-

-معاوية بن حديج: 11-

-موسى بن نصير: 13-16-17-

-ميسرة المطغري: 14-

-ميسور الفتى: 37-

-ي-

-يزيد بن حاتم: 14-

-يزيد بن معاوية: 12-

-يعقوب بن إسحاق: 37-

فهرس المدن و الأمكنة:

-أ-

-إفريقية: 10-11-12-13-14-15-16-17-18-19-20-22-25-28-29-31-32-33-36-37-39-41-42-49-52-54-55-56-57-59-60-61-64-67-68-71-72-74-75-77-79-80-81-83-84-86-87-89-90-91-93-

-الأحساء: 40-

-الإربس: 29-

-الأندلس: 27-34-41-

-البحرين: 38-40-

-البصرة: 18-

-الحامة: 51-

-الحجاز: 40-

-الشمال الإفريقي: 28-

-العالم الإسلامي: 28-40-44-

-العباسية: 15-

-القاهرة: 25-42-

-القيروان: 11-12-16-20-25-35-36-38-39-46-49-57-59-62-64-72-73-74-76-77-80-81-83-88-

-الكوفة: 18-

-الكوفة: 30-

-المدينة المنورة: 20-

-المشرق: 11-13-14-17-18-24-27-34-42-72-89-

-المغرب الأدنى: 15-

-المغرب الإسلامي: 10-12-13-15-19-20-22-26-28-30-31-32-33-34-36-37-39-41-42-44-46-47-49-50-52-57-59-64-67-73-77-86-87-

-المغرب الأقصى: 12-

-المغرب الأوسط: 12-

-المهدية: 33-36-37-38-68-83-

-الناظور: 29-

-اليمن: 28-30-31-

-اليونان: 24-

-إيران: 28-

-أيكجان: 47-

-ب-

-برقة: 10-

-بغداد: 34-89-

-بلاد الزاب: 32-

-بلاد الشام: 34-40-

-بلاد العراق: 36-

-بنزرت: 11-

-ت-

-تالا: 29-

-تهودة: 12-

-تيهرت: 33-50-51-

-ج-

-جبال الأوراس: 13-

-جبل القرن: 11-

-جربة: 11-

-جنوة: 36-37-

-خ-

-خراسان: 28-

-ر-

-رقادة: 15-32-35-56-59-60-81-

-س-

-سبيطلة: 11-

-سجلماسة: 33-34-47-51-62-

-سلمية: 34-36-

-سوجمار: 29-

-سوسة: 11-72-

-ص-

-صقلية: 13-15-73-

-ط-

-طرابلس: 10-12-17-36-

-طنجة: 17-

-غ-

-غدير خُم: 58-

-ف-

-فاس: 37-

-فج الأخيار: 31-

-ق-

-قرطاجنة: 13-

-قسطيلية: 29-51-

-ك-

-كتامة: 28-29-31-32-33-

-م-

-مرماجنة: 28-29-

-مسجد السبت:

-مصر: 10-27-34-40-41-89-82-93-

-مكة المكرمة: 31-

-ميلة: 12-

-ن-

-نفطة: 29-

فهرس الأمم و القبائل:

-أ-

-الأغالبة: 14-15-32-51-61-76-

-البربر: 12-13-17-28- 29

-الروم: 12-13-24-37-40-

-العبيديون: 11-15-20-23-25-26-27-39-46-48-49-50-51-54-57-60-61-67-68-70-71-72-73-74-75-77-81-82-83-85-88-89-90-91-82-

-العرب: 16-

-العلوُّيون: 25-

-الفاطميون: 25-26-58-

-المشارقة: 17-24-

-المغاربة: 16-17-

-اليهود: 41-

-أهل البيت- رضي الله عنهم -: 25-26-29- 44-76-

-أهل كتامة: 35-36-41-46-60-90-

-ب-

-بني العباس: 14-15-26-34-40-49-58-

-بني سكتان: 31-

-بني هاشم: 28-

-ق-

-قرامطة البحرين: 39

-ص-

-صنهاجة: 92-

فهرس الفرق و المذاهب:

-الإباضية الوهابية: 52-

-الخوارج: 14-20-50-51-52-82-

-الخوارج الإباضية: 38-44-50-51-

-الخوارج الصفرية: 44-50-82-

- الشيعة: 10-11-15-20-22-23-24-25-28-30-32-33-34-44-47-55-57-58-61-62-67-68-70-71-73-77-80-81-83-84-85-86-87-88-92-93-

-الصوفية الشرقية: 24-

-الفلسفة الإغريقية: 58-

-الفلسفة الأفلاطونية: 55-

-الفلسفة الفارسية: 24-58-

-الفلسفة الهندية: 24-58-

-الفلسفة اليونانية: 24-

-القرامطة: 40-

-المذهب الإسماعيلي: 10-11-22-23-24-28-29-30-33-34-44-45-46-47-48-49-52-54-55-57-58-59-60-62-64-84-88-

-المذهب الباطني: 24-41-

-المذهب الحنفي: 19-80

-المذهب المالكي: 10-17-19-20-44-47-49-50-52-55-57-58-59-60-64-67-68-74-77-78-81-83-86-90-91-93-

-المذهب النكاري: 39-

-المهدوية: 58-59-

-أهل السنة والجماعة: 57-60-62-63-78-82-85-

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع.
- السنة النبوية.

أوّلا: المصادر:

1-. ابن الحجاج الإمام أبي الحسين مسلم القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن ، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ، مج1 ، ط1 ؛ الرياض – السعودية : دار طيبة للنشر و التوزيع ، 1427هـ-2006م .

2-. ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ط1؛ تونس : مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية ، 1286هـ-1869م .

3-. ابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الجزري ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : دار ابن حزم للنشر و التوزيع ، 1433هـ-2012م .

4-. (ـــــــ

9-. ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ، فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تح و تص و إخراج : محب الدين الخطيب ، مر : قصي محب الدين الخطيب ، ج7 ، ط1 ؛ القاهرة – مصر : دار الريان للتراث للنشر و التوزيع ، 1407هـ–1986م .

10-. ابن حزم الظاهري علي بن أحمد ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تح : (محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمن عميرة) ، ج4 ، ط2 ؛ بيروت – لبنان : دار الجيل للنشر والتوزيع ،1416هـ – 1996م .

11-. ابن حوقل أبي القاسم ، صورة الأرض ، بيروت – لبنان ، منشورات دار مكتبة الحياة ، 1416هـ –1996م .

12-. ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، مر : سهيل زكار ، ج1 ، ج4 ، ج6 ، بيروت – لبنان : دار الفكر للنشر و التوزيع ، 1421هـ–2000م .

13-. ابن خلكان أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، ج1 ، ج3 ، ج5 ، بيروت – لبنان : دار صادر للنشر والتوزيع .

14-. ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تح : مأمون بن محي الدين الجنان ، ط1 ؛ بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع ، 1417هـ–1996م .

15-. ابن محمد التميمي المغربي أبي حنيفة النعمان ، إفتتاح الدعوة ، بيروت – لبنان : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، 1426هـ–2005م .

16-. (ـــــــ

19-. أحمد بن سعيد الدرجيني أبي العباس ، طبقات المشائخ بالمغرب ، تح : إبراهيم طلاي ، ج1 ، قسنطينة – الجزائر : مطبعة البعث للنشر و التوزيع .

20-. الأشعري أبي الحسن ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج1 ، صيدا – بيروت : المكتبة العصرية للنشر والتوزيع ، 1411هـ-1999م .

21-. البغدادي أبي منصور بن محمد ، الفرق بين الفرق ، تح : محمد عثمان الخشت ، القاهرة – مصر : مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع .

22-. البكري أبي عبيد ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك و الممالك ، القاهرة : دار الكتاب الإسلامي للنشر و التوزيع .

23-. البلاذري أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر ، فتوح البلدان ، تح و تق : عبد الله أنيس الطباع ، بيروت – لبنان : مؤسسة المعارف للنشر ، 1407هـ -1987م .

24-. التجاني أبو محمد ، رحلة التجاني ، تق : حسن حسني عبد الوهاب ، ليبيا – تونس : الدار العربية للنشر والتوزيع ، 1415هـ-1981م .

25-. التميمي أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم ، كتاب المحن ، تح : يحيى وهيب الجبوري ، ط3 ؛ بيروت – لبنان : دار الغرب الإسلامي ، 1427هـ-2006م .

26-. (ـــــــ

31-. الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، ط2 ؛ بيروت – لبنان : مكتبة لبنان للنشر و التوزيع ، 1404هـ-1984م .

32-. الخشني أبي عبد الله محمد بن الحارث بن أسد ، قضاة قرطبة و علماء إفريقية ، تص و مر : عزت العطار الحسيني ، ط2 ؛ القاهرة – مصر : مكتبة الخانجي للنشر و التوزيع ، 1415هـ-1994م .

33-. الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، أكم و تع : أبو القاسم أبو الفضل بن عيسى بن ناجي التنوخي ، تح و تع : محمد ماضور ، ج2 ،ج3 ، تونس : المكتبة العتيقة للنشر و التوزيع .

34-. الدواداري بن أيبك ، الدرة المضنية في أخبار الدولة الفاطمية ، تح : صلاح الدين المنجد ، القاهرة – مصر : مطبعة طيبة للنشر والتوزيع ، 1380 هـ-1961م .

35-. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، الإعلام بوفيات الأعلام ، تح : (مصطفي بن علي عوض ، ربيع أبو بكر عبد الباقي) ، ج1 ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : مؤسسة الكتب الثقافية للنشر و التوزيع ، 1413هـ-1993م .

36-. (ـــــــ

42-. الغزالي أبي حامد ، فضائح الباطنية ، مر : محمد علي قطب ، صيدا – بيروت : المكتبة العصرية للنشر والتوزيع ، 1422هـ -2001م .

43-. القيرواني الرقيق ، تاريخ إفريقية و المغرب ، تق و تح و تع : محمد زينهم محمد عزب ، ط1 ؛ القاهرة – مصر : دار الفرجاني للنشر و التوزيع ، 1414هـ-1994م .

44-. المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية ، تح و مر : (بشير بكوش ، محمد العروسي مطوي) ، ج1 ، ج2 ، ط2 ؛ بيروت – لبنان : دار الغرب الإسلامي للنشر و التوزيع ، 1414هـ-1994م .

45-. الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية ، تح : أحمد مبارك البغدادي ، ط1 ؛ الكويت : دار ابن قتيبة للنشر والتوزيع ، 1409هـ-1989م .

46-. المراكشي ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تح و مر : (ج. س كولان ، ليفي بروفنسال) ، ج1 ، ط2 ؛ بيروت – لبنان : دار الثقافة للنشر و التوزيع ، 1403هـ-1983م .

47-. المقريزي تقي الدين أحمد بن علي ، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تح : جمال الدين الشيال ، ج1 ، ط2 ؛ القاهرة – مصر : لجنة إحياء التراث الإسلامي ، 1416هـ-1996م .

48-. (ـــــــ

52-. الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، أخرجه : جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، ج2 ، المغرب : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ، 1401هـ-1981م .

53-. على بن حماد محمد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تح : (التهامي نقرة ، عبد الحليم عويس) ، القاهرة – مصر : دار الصحوة للنشر و التوزيع .

54-. عماد الدين الداعي إدريس ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب – القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار- ، تح : محمد اليعلاوي ، ط1 ، بيروت – لبنان : دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع ، 1405هـ-1985م .

55-. عياض بن موسى اليحصبي القاضي أبي الفضل ، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام علماء مذهب مالك ، ضبط و تص : محمد سالم هاشم ، ج1 ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع ، 1418هـ-1998م .

56-. (ـــــــ

ثانيا: المراجع :

أ/- باللغة العربية:

1-. ابن عميرة محمد ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب للنشر و التوزيع ، 1404هـ-1984م .

2-. أبو زهرة محمد ، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد و تاريخ المذاهب الفقهية ، ج1 ، القاهرة – مصر : دار الفكر العربي للنشر و التوزيع .

3-. أحمد جلي أحمد محمد ، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين – الخوارج والشيعة – ، ط2 ؛ السعودية : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، 1408هـ-1988 م .

4-. إدريس الهادي روجي ، الدولة الصنهاجية ، تر : حمادي الساحلي ، ج1 ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : دار الغرب الإسلامي ، 1412هـ-1992م .

5-. الأعظمي محمد حسين ، عبقرية الفاطميين – أضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين- ، القاهرة – مصر : منشورات مكتبة دار الحياة .

6-. التهامي إبراهيم ، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : مؤسسة الرسالة للنشر و التوزيع ، 1426هـ-2005م .

7-. الجيدي عمر ، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ، ط1 ؛ الرباط – المغرب : الهلال العربية للطباعة و النشر ، 1414هـ-1993م .

8-. الخربوطلي علي حسين ، أبو عبد الله الشيعي – مؤسس الدولة الفاطمية – ، مصر : المطبعة الفنية الحديثة للنشر والتوزيع ، 1392هـ-1972م .

9-. الخميس عثمان بن محمد ، حقبة من التاريخ ، ط3 ؛ القاهرة – مصر : مكتبة الإمام البخاري ، 1427هـ-2006م .

10-. الدشراوي فرحات ، الخلافة الفاطمية بالمغرب -التاريخ السياسي و المؤسسات- ، تعريب : حمادي الساحلي ، ط1 ؛ بيروت – لبنان : دار الغرب الإسلامي للنشر و التوزيع ، 1414هـ-1994م.

11-. الزاوي الطاهر أحمد ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ط4 ؛ بيروت – لبنان : دار المدار الإسلامي للنشر و التوزيع ، 1425هـ– 2004م .

12-. الزركلي خير الدين ، الأعلام ، ج3 ، ط15 ؛ بيروت – لبنان : دار العلم للملايين للنشر و التوزيع ، 1423هـ–2002م .

13-. السلومي سليمان عبد الله ، أصول الإسماعيلية – دراسة، تحليل، نقد – ، ج1 ، ط1 ؛ الرياض – السعودية : دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، 1422هـ –2001م .

14-. الصلابي علي محمد ، الدولة الفاطمية ، ط1 ؛ مصر– القاهرة : دار بن الجوزي للنشر والتوزيع ، 1428هـ–2007م .

15-. (ـــــــــــــــــــ) ، الصراع بين أهل السنة و الرافضة نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية ، ط1 ؛ الإمارات – الشارقة : مكتبة الصحابة للنشر ، القاهرة – عين شمس : مكتبة التابعين للنشر ،1427هـ–2007م .

16-. الطالبي محمد ، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض ، تونس : الجامعة التونسية للنشر و التوزيع ، 1388هـ–1968م ، ص285 .

17-. الغرياني محمد عز الدين ، المذهب المالكي النشأة و الموطن وأثره في الإستقرار الإجتماعي ، طرابلس – ليبيا : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية .

18-. العثيمين محمد بن صالح ، مذكرة فقه ، تح : صلاح الدين محمود السعيد ، ج1 ، ط1 ؛ القاهرة – المنصورة : دار الغد الجديد للنشر والتوزيع ، 1428هـ–2007م .

19-. (ـــــــــــــــــــ) ، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ج1 ، ط2 ؛ جدة – الرياض : دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع ، 1419هـ–1998م .

20-. القصير سيف الدين ، ابن حوشب و الحركة الفاطمية في اليمن ، دمشق – سوريا : دار الينابيع للطباعة و النشر و التوزيع .

21-. القطان مناع ، تاريخ التشريع الإسلامي ، ط5 ؛ القاهرة – مصر : مكتبة وهبة للنشر والتوزيع ، 1422هـ–2001م .

22-. اللاذقي محي الدين ، ثلاثية الحلم القرمطي ، ط1 ؛ القاهرة : مكتبة مذبولي للنشر و التوزيع ، 1413هـ–1993م .

23-. المالكي محمد بن علوي ، إمام دار الهجرة مالك بن أنس ، ط2 ؛ بيروت – لبنان : دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع ، 1431هـ–2010م.

24-. الموسى سعد بن موسى ، الإمام الذهبي وموقفه من الدولة العبيدية نسبا و معتقدا ، ط1 ؛ دار القاسم للنشر و التوزيع ، 1427هـ-2006م .

25-. الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج 2 ، تق وتص : محمد الميلي ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب .

26-. المامي محمد المختار محمد ، المذهب المالكي – مدارسه و مؤلفاته ، خصائصه و سماته – ، ط1 ؛ العين- الإمارات : مركز زايد للتراث و التاريخ ، 1422هـ-2002م .

27-. – الهنتاتي نجم الدين ، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي ، تونس : منشورات تبر الزمان للنشر و التوزيع ، 1425هـ-2004م .

28-. أمين أحمد ، فجر الإسلام ، القاهرة – مصر : مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة ، 1433هـ-2012م .

29-. أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر – تفسير جديد – ، القاهرة – مصر: الهيئة المصرية للكتاب للنشر والتوزيع ، 1428 هـ-2007م .

30-. بروكلمان كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، تر : (نبيه أمني فارس ، منير البعلبكي) ، ط5 ؛ بيروت – لبنان : دار العلم للملايين للنشر والتوزيع ، 1387 هـ-1968 م .

31-. بلهواري فاطمة ، الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي ، تلمسان – الجزائر : دار المسك للنشر و التوزيع ، 1432هـ-2011م .

32-. جمال الدين عبد الله محمد ، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش ، القاهرة – مصر : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1411هـ-1991م .

33-. حسن حسن إبراهيم ، شرف طه أحمد ، عبيد الله المهدي إمام الشيعية الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، الأزهر – مصر : مكتبة النهضة المصرية للنشر والتوزيع .

34-. حواله يوسف بن أحمد ، الحياة العلمية في إفريقية " المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90/450هـ)، ج2 ، ط1 ؛ مكة مكرمة : مركز البحوث و الدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى ، 1421هـ-2000م .

35-. حسين محمد كامل ، في أدب مصر الفاطمية ، القاهرة – مصر : مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة ، 1433هـ- 2012م .

36-. زيتون محمد محمد ، القيروان ودورها في الحضارة العربية الإسلامية ، ط1 ؛ القاهرة – مصر : دار المنار للنشر و التوزيع ، 1408هـ-1988م .

37-. سامعي إسماعيل ، قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي ، الجزائر : الديوان المطبوعات الجامعية ، 1433هـ-2012م .

38-. شهبي عبد العزيز ، تاريخ المغرب الإسلامي ، ط1 ؛ الأبيار- الجزائر : مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع ، 1434هـ-2012م .

39-. شواط الحسين بن محمد ، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري ، ج1 ، ط1 ؛ الرياض – السعودية : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، 1411هـ-1990م .

40-. ظهير إحسان إلاهي ، الإسماعيلية – تاريخ و عقائد – ، لاهور- باكستان : إدارة ترجمان السنة للنشر والتوزيع .

41-. (ـــــــــــــــ) ، الشيعة والتشيع – فرق و تاريخ – ، ط1 ؛ لاهور- باكستان : إدارة ترجمان السنة للنشر والتوزيع ، 1415هـ-1995م .

42-. عبد الحميد سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال ، ج1 ، ج2 ، الإسكندرية – مصر : منشأة المعارف للنشر و التوزيع .

43-. عبد الرؤوف الفقي عصام الدين ، تاريخ المغرب و الأندلس ، القاهرة – مصر : مكتبة نهضة المشرق للنشر والتوزيع .

44-. عبد العزيز محمد عادل ، التربية الإسلامية في المغرب – أصولها المشرقية وتأثيراها الأندلسية – ، مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1407هـ-1987م .

45-. عبد الرازق محمود إسماعيل ، الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الرابع هجري ، الدار البيضاء – المغرب : دار الثقافة للنشر و التوزيع ، 1406هـ-1985م .

46-. لقبال موسى ، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها) ، ط1 ؛ الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1391هـ-1971م .

47-. (ـــــــــــ) ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1399هـ-1979م .

48-. لويس برنارد ، أصول الإسماعيلية و الفاطمية و القرمطية ، مر : خليل أحمد خليل ، ط1 ؛ دار الحداثة للنشر والتوزيع ،1401هـ-1980م .

49-. المجذوب عبد العزيز ، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية ، تق : علي الشابي ، تونس : الدار التونسية للنشر و التوزيع ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1395 هـ-1975 م.

50-. محمد الصادق عبد المنعم ، في تاريخ المغرب الإسلامي – دراسة للحياة السياسية و الاقتصادية بإفريقية (261-365هـ/875-975م) – ، ط 1 ؛ القاهرة – مصر : دار الفكر العربي للنشر و التوزيع ، 1453هـ-2014 م .

51-. محمد كرو أبو القاسم ، عصر القيروان ، ط2 ؛ دمشق : دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، 1409هـ-1989 .

52-. مؤنس حسين ، أطلس تاريخ الإسلام ، ط1 ؛ القاهرة – مصر : الزهراء للإعلام العربي للنشر و التوزيع ، 1407هـ-1987م .

53-. (ـــــــــــ) ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، القاهرة – مصر : دار الرشاد للنشر و التوزيع

54-. هاينز هالم ، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم ، إعداد : صحيفة صوت الأخدود الإلكترونية ، http://www.okhdood.com

ب/- باللغة الفرنسية:

1-. dominique sourdel , lislam médievel , Presses universitaires de france, paris , 1979 .

2-. mohammed ben abi el raini el kairaouani , histoire de l'afrique , traduite de larabe par : pellisier et rémusat , commission académique sciences historiques et geographiques , paris .

ثالثا: المجلات و الدوريات والمقالات:

1-. المنصوري الطاهر ، علماء القيروان أمام المذهب الفاطمي ، ضمن كتاب الصراع المذهبي ببلاد المغرب ، تنسيق : حسن حافظي علوي ، الدار البيضاء – المغرب : كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط ، 1429هـ- 2008م .

2-. السلامى رشيد ، حول حسم الخلاف المذهبي بين السنة و الشيعة بإفريقية في عهد المعز بن باديس الزيري ، ضمن كتاب الصراع المذهبي ببلاد المغرب ، تنسيق : حسن حافظي علوي ، الدار البيضاء – المغرب : كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط ، 1429هـ- 2008م .

3-. بوعبدلي المهدي ، مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ –نشأتها تطورها آثارها- ، مجلة الأصالة ، العدد7 ، مج 02 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان ، 1432هـ- 2011م .

4-. سرور محمد جمال الدين ، الفاطميون و فلسطين ، مجلة المؤرخ المصري دراسات و بحوث تاريخية ، العدد1 ، جامعة القاهرة ،كلية الآداب قسم التاريخ ، يناير 1988م.

5-. علي مكي محمود ، التشيع في الأندلس إلى نهاية ملوك الطوائف ، صحيفة المعهد المصرية للدراسات الإسلامية ، العدد 1-2 ، مدريد ، 1954م .

6-. مرمول محمد الصالح ، (المكانة التاريخية للشرق الجزائري في نهاية القرن الثالث الهجري) ، مجلة الأصالة ، العدد 64 ، مج20 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان ، 1432هـ- 2011م .

7-. نسيم نوار : الخلافة الأموية في الأندلس في عهد الناصر والمستنصر (ما بين التحديات الداخلية و العلاقات الخارجية ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد 01 ، مركز البصيرة ، الجزائر ، ديسمبر 2013م.

رابعا: الرسائل الجامعية:

1-. ابن أحمد فلاح بن إسماعيل ، العلاقة بين التشيع و التصوف ، رسالة دكتوراه في العقيدة ، إشراف : عبد الله بن محمد الغنيمان ، قسم الدراسات العليا ، كلية الدعوة و أصول الدين ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، المملكة العربية السعودية ، 1411هـ-1990م .

2-. باديس أوكيل مصطفى ، إنتشار الإسلام في بلاد المغرب و آثاره على المجتمع خلال القرن الأول الهجري ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف : صالح بن قربة ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة الجزائر ، 1426هـ-2005م .

3-. بوراس رفيق : الأوضاع الإجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296-362هـ/908-972م) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف : محمد الصالح مرمول ، قسم التاريخ و الآثار ، كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية ، جامعة منتوري قسنطينة ، 1427هـ-2008م .

4-. كعوان حفيظ ، أثر فقهاء المالكية الإجتماعي و الثقافي بإفريقية من ق(2 – 5هـ/8-11م) ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف : إسماعيل سامعي ، قسم التاريخ و علم الآثار ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة ، 1430هـ-2009م.

5-. علياء هاشم ذنون محمد المشهداني ، فقهاء المالكية دراسة في علاقتهم العلمية في الأندلس و المغرب حتى منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي ، مذكرة مكملة لنيل شهادة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي ، إشراف : مزاحم علاوي الشاهري ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، 1424هـ-2003م .

الفهرس

الفهـــــــرس

إهداء

شكر و عرفان

مقدمة.....أ-ح

فصل تمهيدي.....**10**

الفصل الأول:

الخلافة العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي (296-362هـ/909-973م).

المبحث الأول: مرحلة الدعوة الإسماعيلية ببلاد المغرب الإسلامي.....**23**

أوَّلا: طبيعة المذهب الإسماعيلي.....23

ثانيا: نسب العبيديين.....25

ثالثا: جهود الدعاة الحلواني و أبو سفيان.....28

رابعا: جهود أبي عبد الله الداعي.....30

المبحث الثاني: خلفاء الدولة العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي.....**35**

أوَّلا: عبيد الله المهدي (297-322هـ/910-934م).....35

ثانيا: القائم بأمر الله أبو القاسم محمد (322-334هـ/934-945م).....37

ثالثا: المنصور بنصر الله أبو الطاهر إسماعيل (334هـ-341هـ/945-952م).....39

رابعا: المعز لدين الله أبو تميم سعد (341-362هـ/953-973م).....41

الفصل الثاني:

ملابسات الصراع المذهبي ومظاهر محنة فقهاء المالكية بإفريقية

خلال الفترة (ق3-4هـ/9-10م).

المبحث الأول: السياسة المذهبية العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي.....46

أوَّلا: نشر المذهب الإسماعيلي.....46

ثانيا: قمع المذاهب الأخرى.....51

1)- المذهب الخارجي.....51

2)- المذهب المالكي.....53

المبحث الثاني: أسباب الصراع المذهبي الشيعي – المالكي بإفريقية.....55

أوَّلا: الأسباب الدينية (عقائديا وفقهيا).....55

ثانيا: الأسباب السياسية.....57

المبحث الثالث: مظاهر محنة فقهاء المالكية بإفريقية.....60

أوَّلا: الإنحرافات العبيدية.....60

ثانيا: محنة فقهاء المالكية.....62

الفصل الثالث:

جهود فقهاء المالكية في مقاومة التشيع العبيدي و أثر الصراع بإفريقية خلال ق(3-4هـ/9-10م).

المبحث الأول: مواقف فقهاء المالكية من فتنة التشيع العبيدي.....68

أوَّلا: الموقف الإيجابي.....68

ثانيا: الموقف السلبي.....71

المبحث الثاني: أساليب مقاومة فقهاء المالكية للتشيع العبيدي.....75

أوَّلا: المقاومة السلبية.....75

ثانيا: المقاومة العلمية (المناظرات).....77

ثالثا: المقاومة المسلحة.....81

رابعا: أساليب أخرى في المقاومة.....84

المبحث الثالث: أثر الصراع المذهبي الشيعي – المالكي بإفريقية.....88

أوَّلا: الأثر العلمي.....88

1): تطور حركة التعليم المذهبي.....88

أ) – عقد المجالس العلمية المذهبية.....88

ب) – الحركة التأليفية المذهبية.....90

ثانيا: الأثر الإجتماعي.....91

ثالثا: الأثر السياسي.....93

خاتمة.....97

الملاحق.....100

الفهارس.....121

البيبليوغرافيا.....137

الفهرس 151

الملخص

تتضمن هذه المذكرة الصراع المذهبي الذي كان قائما بين السنة المالكية و الشيعة الإسماعيلية بإفريقية خلال العصر الوسيط، وتكشف أكثر عن طبيعة هذا الصراع و ملابساته وأسبابه الحقيقية، وتبرز تلك السياسة المذهبية العبيدية ببلاد المغرب الإسلامي عامة وإفريقية خاصة القائمة على سياسة الهدم و البناء، ما أدت إلى تعرض فقهاء المالكية إلى محنة لم يشهدها طيلة وجودهم بإفريقية.

كما تسلط الضوء أكثر على تلك الجهود التي بذلها فقهاء المالكية، ومختلف الأساليب وطرق المقاومة التي تمثلوها من مقاومة سلبية وأخرى جدلية وأخرى مسلحة وغيرها من الأساليب في مقاومة المد العبيدي الشيعي بإفريقية ، ومدى تأثير ذلك الصراع الطويل على مختلف أوجه الحياة بإفريقية.

الكلمات المفتاحية: إفريقية – الفقهاء المالكية – الشيعة العبيدية – الصراع المذهبي – المذهب المالكي

Résumé:(ترجمة بالفرنسية)

Cette note contient le conflit sectaire qui existait entre malékites an et Ismaili Shia par africaine pendant le Moyen Age, et de révéler davantage sur la nature de ce conflit et les circonstances des causes réelles, et met en évidence la politique de sectaire Ubaydi dans le secteur privé en général et africaine Maghreb islamique basé sur la politique de démolition et de construction, ce qui a conduit à l'exposition à la situation critique des savants malékites pas vu tout au long de leur présence en Afrique.

Il souligne également davantage sur les efforts déployés par les savants malékites, et différents styles et méthodes de résistance qui Tmtheloha de résistance passive et d'autres méthodes armés et d'autres argumentatives et d'autres à résister à la marée Obeidi chiite en Afrique, et l'impact de ce long conflit sur les divers aspects de la vie en Afrique.

Les mots clés:

Afrique - juristes malékites - chiites Ubaydi - conflit sectaire– école malékite.

Abstrad:(ترجمة بالإنجليزية)

This note contains the sectarian conflict that existed between Maalikis year and Ismaili Shia by African during the Middle Ages, and reveal more about the nature of this conflict and circumstances of the real causes, and high lights the policy of sectarian Ubaydi in the Islamic Maghreb general and African private based on the policy of demolition and construction, what led to exposure to the plight of scholars Maalikis not seen throughout their presence by African.

It also high lights more on those efforts by scholars Maalikis, and various styles and methods of resistance that Tmtheloha of passive resistance and other argumentative and other armed and other methods to resist the tide Obeidi Shiite by African, and the impact of that long conflict on various aspects of life by African.

Key words :

African - jurists Maalikis - Shiites Ubaydi - sectarian conflict– Maliki school.